اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة ـ كليـــــــــة الاداب
الدراسات العليا ـ الدكتـــــــــوراه

الاثر الدلاليّ للقرآن الكريم في نهج البلاغة

اطروحة تقدّم بها

هــادي شـــــندوخ حمـــيد

إلى مجلس كلية الاداب ـ جامعة البـــصرة وهـــي جزء من متطلّبـــــات نيل درجة دكتـــــــــــوراه

فلسفة في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الاستاذ الدكتور عدنان عبد الكريم جمعة

١٤٢٩ ه ٢٠٠٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ
مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ
إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

(الواقعة:٧٧، ٧٨، ٧٩)

اقرار المشرف

اشهد ان اعداد هذه الاطروحةالموسومةب(الاثر الدلالي للقران الكريم في نهج البلاغة)للطالب هادي شندوخ حميد جرى باشرافي في قسم اللغة العربية . كلية الاداب . جامعة البصرة وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربيةوادابها.

المشرف :
الاسم :عدنان عبد الكريم جمعة
المرتبة العلمية: استاذ.
التوقيع :
التاريخ: /٨ /٢٠٠٨

بناء على التوصيات ارشح هذه الاطروحة للمناقشة
رئيس لجنة الدراسات العليا بالقسم
الاسم :عبد الحسين علك المبارك
المرتبة العلمية: استاذ.
التوقيع :
التاريخ: /٨ / ٢٠٠٨
.

توصية رئيس قسم اللغة العربية
بناء على التوصيات ارشح هذه الاطروحة للمناقشة لدراستها وبيان الراي فيها

الاسم :ماجد عبد الحميد الكعبي
المرتبة العلمية: استاذ مساعد
التاريخ: / ٨ / ٢٠٠٨
التوقيع:

شكر وتقدير

قال تعالى (وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)(النساء: من الآية٨٦)

فلعلي لاامتلك الاحسن، اما الرد فاقول:كثيرون هم الذين احسنوا واغرقوا الباحث والبحث بفيض عطائهم ،في مقدمتهم استاذي الفاضل الدكتور عدنان عبد الكريم جمعة ،فقد كان لخلقه الرفيع وتواضعه الجم ،ورحابة صدره ،وسداد توجيهه ، الفضل والمنة في اخراج هذا البحث الى النور.

وشكري وتقديري الى اساتذتي الاجلاء في قسم اللغة العربية كلية الاداب جامعة البصرة (الاستاذ الدكتور مصطفى عبد اللطيف ،والاستاذ الدكتور عبد الحسين المبارك،والدكتور فالح كامل اسكندر)لما اولوه من رعاية وعناية بطلابهم طوال السنة التحضيرية وبعدها.

ومن الوفاء ان لاانسى زملائي الاعزاء في قسم اللغة العربية كلية الاداب جامعة ذي قار اذ كانوا حاضرين ومقومين البحث بما قدموه من آراء او مصادر اودعم يشد من ازر الباحث ،ولاسيما الدكتور حيدر مصطفى والاستاذ احمد علي حنيحن والاستاذ احمد خضير. والاخ العزيزحكيم الموسوي.

والشكر موصول الى موظفي مكتبة كلية الاداب والمكتبة المركزية في جامعة ذي قار ، وفي جامعة البصرة والى كادر موظفي مكتبة الدراسات العليا في كلية الاداب جامعة بغداد ،والى الاخوة في مكتبة الروضة الحيدرية في النجف الاشرف.و في مكتبة الامام الصادق (ع) في الشطرة . اما من اسهم في اخراج هذه الاطروحة طباعة ،الاخوة (الاستاذ حيدر والاستاذ جاسم والاستاذ سعد) فلا امتلك غير الدعاء لهم بالتوفيق والسداد .

عنوان الاطروحة :الاثر الدلالي للقران الكريم في نهج البلاغة
صاحب الاطروحة :هادي شنـــــــــــــــــــــــــدوخ حميد
تاريخ الناقشة :٤ /١٢ /٢٠٠٨
اسم المشرف :١ .د . عدنان عبد الكريم جمعة

الخـــــــــــــــــــــــلاصة

اذا كان النشاط الانساني بمجمله نشاط سيميائي دلالي على حـــــــد تعبير بيرس فان البحث المختار(الاثر الدلالي للقران الكريم في نهج البلاغة) له مايبرره ،فهو يبحث عن الفـــكر الانساني في استجلاء ه وفهمه للنص القراني بطريقة تنـــــــتظم من مقدمة وخمـــــــــسة فصول الاول تضمن بيان سلطة النـــص القراني في نهج البلاغـة الدينية والادبية واليات قراءة النص في نـــهج البـــلاغة اما الفصل الثاني، فقد تناول الدلالة الصوتية وهو على مباحث ثـــــلاثة الاول التكرار ودلالته والثاني محاكاة الاصوات والثالـــث الفاصـــــــــلة ودلالتها وفي الفصل الثالث كانت الدلالة الصرفية وتشمل دلالـــــة صيغ الاسم ودلالات صيغ الجموع ودلالات اخرى في المـــــبحث الاول اما الثاني فكان لدلالات صيغ الفعل ، اما الفصـــــــــل الرابع فخصص للدلالة النحوية وهو على مباحث ثلاثة الاول دلالة معاني الكلام والثاني دلالة بنية الكلام والثالث دلالة عوارض بناء الجـملة وفي الفصل الخامس جاء دور الدلالة السياقية وهو على مـــــبحثين الاول السياق اللغوي والثاني سياق الحال تلي ذلك خاتمة بنـــــتائج البحث وقائمة بمظان البحث ومراجعه . وفي الـــنهاية هي محاولة اراد الباحث من خلالها بيان التفكير القراني عند الامـــام علي (ع) في كتابه نهج البلاغة .

كشاف المحتوى

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ – ت
الفصل الأول : سلطة النص القرآني واليات قراءته في نهج البلاغة	١ – ٥٠
المبحث الأول:سلطة النص القرآني (الدينية والأدبية)	١ – ٢٥
إجراء تطبيقي:أولا:مشاهد القيامة في نهج البلاغة	٦ . ١٤
ثانـــيا:أوصاف الدنيا في نهج البلاغة	١٤– ٢٥
المبحث الثاني:آليات قراءة النص القرآني في النهج	٢٥– ٥٠
أولا :التفسير	٢٨– ٣٤
ثانيا :التأويل	٣٤– ٤١
ثالثا :الشرح	٤١– ٤٤
رابعا :الذوق	٤٤– ٥٠
الفصل الثاني:الـــدلالة الصوتيـــة	٥٠– ٨٢
مدخل : موسيقى الكلام في نهج البلاغة	٥٠– ٥٦
المبحث الأول: التكرار ودلالتـــه	٥٦– ٦٥
المبحث الثاني :محاكاة الأصـوات	٦٥– ٧٤
المبحث الثالث :التـناسب اللفظي	٧٤ – ٨٢
الفصل الثالث : الـــدلالة الصرفيـــة	٨٢– ١٠٤
المبحث الأول:دلالات صيغ الاسم	٨٢– ٩٧

الموضوع	الصفحة
دلالات صيـغ الجمـوع	٨٩- ٩٥
دلالات أخـــرى	٩٥- ٩٧
المبحث الثاني :دلالات صيغ الفعل	٩٧- ١٠٤
الفصل الرابع :الــدلالة النحويــة	١٠٤ - ١٣٦
المبحث الأول : دلالة معاني الكـلام	١٠٤- ١١٤
أولا :الجملة الخبريـة	١٠٤- ١٠٩
ثانيا :الجملة الإنشائيـة	١٠٩- ١١٤
المبحث الثاني :دلالة بنية الكـلام	١١٤ . ١٢٣
أولا : الجملة الاسمية	١١٤- ١١٨
ثانيا: الجملة الفعلية	١١٨- ١٢٣
المبحث الثالث :دلالة عوارض بناء الجملة	١٢٣- ١٣٦
أولاً : الحذف والذكر	١٢٣- ١٢٦
ثانياً :التقديم والتأخير	١٢٦- ١٣٠
ثالثا :التعريف والتنكير	١٣٠- ١٣٦
الفصل الخامس : الـدلالة السياقيــة	١٣٦- ١٥٨
المبحث الأول:السياق اللغوي	١٣٦- ١٥٠
المبحث الثاني:سياق الحـال	١٥٠- ١٥٨
خاتمة البحث والنتائــج	١٥٨. ١٦٢
مصادر البحث ومراجــعه	١٦٢- ١٨١

الموضوع	الصفحة
ملخص الأطروحة باللغة الانكليزية	

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	ص	س
خديجة الحيشي	خديجة الحديثي		٢١
المبدع الذي	والمبدع الذي		٢٢
بمناجاة	بمنجاة		٢٣
اعلم يهم	اعلم بهم		٣٣
التعبير في البنية	التغيير في البنية		٥٧
ملحا فنيا	ملمحا فنيا		٥٧
ثارة الانفعال	إثارة الانفعال		٥٩
تفسير الطبري:	تفسير الطبري:		٦٧
للمعنى	في المعنى		٧٠
زيادة هامش رقم (٩)في المتن	حذفه		٧١
الغض	الغصن		٧٥
مشيد	مشيدا		٧٧
لزيت	لزبت		٧٨
فرصة التاثير	فرصة التاثر		٨٤
بغض الخلائق	أبغض الخلائق		٨٦
بدل على تثبيت	يدل على تثبيت		٨٦
نفي فعلتها	نفي فعليتها		١٠٣
قال الراوندي مكرر	حذفه في المرة الثانية	١٠٦	١٠٧/
حقيقة منهما	حقيقة منها		١٠٩
وينهم	بينهم		١١١
التيخرج	التي يخرج		١١٢
وسلطنته كيوم	وسلطته كاليوم		١١٩
الخطوة	الحظوة		١٢١
تكرار النار	حذف المكرر		١٢٣
وإقدام	والاقدام		١٢٣

تكرار السطرين الاخيرين.....حذف احدهما.....١٢٣ /١٢٤

الخطأ.....الصواب.....ص.....س

بتا .....بها.....١٢٤

احداث.....الاحداث.....١٢٥

فطرية.....قوية.....١٢٥

لرب.....للرب.....١٢٥

تكرار كلمة توظيف.....حذفها.....١٢٦

دفعاكم.....دفعكم ١٢٦

مع التفكك.....معه التفكك.....١٢٦

زيادة الوثقى على العروة.....حذفها.....١٢٧

لمقتض.....لمقتضى.....

١٢٨

فقدم ذل المدى.....فقدم ذا المدى.....١٣١

تكرار هامش (٩)..... هامش (٩) الثانية يصبح(١٠) ١٣١

هامة.....مهمة.....١٣١

فناء.....فناء.....١٣٢

تمتدد.....تتمدد.....١٣٦

يشترك في.....يشترك فيه.....١٣٧

ابو يوسف.....ابو يوسف(ع).....١٣٨

لكي.....ولكي.....١٣٩

لانه.....أنه.....١٤١

تكرار مما عليه .....حذفها.....١٤١

ماله.....مما له.....١٤١

فاعملوا.....فاعلموا.....١٤٢

تكرار هامش رقم(٣) في المتن.....بعد اية البقرة يكون هامش(٢).....١٤٢

وفي المقطع اخر.....وفي المقطع الاخر.....١٤٣

في نهاية.....في النهاية.....١٤٥

هذ.....هذه.....١٤٩

موظف.....موقف ١٥٠
قضاء.....إفضاء ١٥٠
خطا.....خطأ..... ١٥١.....
ارجلهم.....ارجلكم ..... ١٥٣ .....
المسبب.....المسيب..... ١٥٣ .....
زيادة الجزء في تذكرة الخواص.....حذفه..... ١٥٣ .....

الرموز المستعملة في الاطروحة

خ.....خطبة

ك.....كتاب او رساله

(ص).....صلى الله عليه واله وسلم

(ع).....عليه السلام

نت.....انتــرت

ط.....طبـــعة

د.ت.....من دون تاريخ

م.ن.....المصدر نفسه

ينظر.....التصرف في النص

((.....)).....نقل النص من دون تصرف

الرقم الذي بعد الخطبة او الكتاب او الحكمة هو الجـــزء والـذي يليه رقم الصفحة.

النسخة المعتمدة في توثيق نصوص نهج البلاغة للشـــارح ابن ابي الحديد المعتزلي ،تحقيق الدكتور محمد ابي الفضل ابراهيم .

بِسْمِ اللّه الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

المقــدمة..

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على النبي المختار رحمة للعالمين أبي القاسم محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين وبعد ..

القران الكريم كتاب الله الخالد ومعجزته الكبرى المنزل بألفاظ لها من السحر والبيان مافاق اسلوب البلغاء وبيان الشعراء وأذهل العقول واخذ الألباب بروعة تأثيره وجمال بيانه ،فمنه واليه كان الفيض المعرفي من الدراسات اللغوية والبلاغية والنقدية والتفسيرية ،وهي تسعى جاهدة لفهم كلام الله واظهار إعجازه المؤثر في النفوس بذلك التشكل اللغوي الساحر وهو تشكل تتباين في كشفه العقول والأذواق .فالقرآن لايعرف فضله وأساليبه إلا من خبر لغة العرب وعرف أساليبها وافانين أقوالها ،ليتمكن بعد ذلك من بيان أسراره . والمتفق عليه في سبر أغوار تلك الخبرة والمعرفة هو الإمام علي بن ابي طالب (ع) إذ قيل في كلامه ((دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين))[1]؛ لما فيه من مسحة جمالية وعبق من الكلام الإلهي المشرق بأ لفاظ لها من القوة والبيان في التأثير بمكان ، أطلق عليها الشريف الرضي مجتمعة (نهج البلاغة)استشعارا ببلاغة هذا الكلام وإدراكا لمراميه الجمالية، الأمر الذي دفع الدارسين على اختلاف توجهاتهم من شراح ونقاد ولغويين وأكاديميين إلى استجلاء خصائص هذا النص واستظهار تفرده التعبيري من البيان والإبداع . أفاد الباحث من تلك التوجهات في الوقوف على ظاهرة لم يفصل فيها ويعطى حقها من البحث ،ألا هي التوظيف القرآني في نهج البلاغة ،إذ شرع البحث عنها ومتابعة الشراح في رصدها منذ دراسة الباحث في رسالته للماجستير (الحذف صوره ودلالاته في نهج البلاغة) حتى تيقن أن ذلك الموضوع بحاجة إلى لّم ماتفرق واستقراء ماحاط بذلك ؛ لغرض الإفادة منها ومن ثم توجيه الدرس صوبها فكانت النتيجة بعد القراءة إشارات لاتتعدى التعبير (وهذا مأخوذ من القرآن)عند الشراح في أثناء تعليقهم على نصوص نهج البلاغة .

أما غير الشراح فقد كتبت مجموعة من المؤلفات تستنطق ذلك الموضوع أي القرآن في نهج البلاغة فكان (تجلي القرآن في نهج البلاغة) لمحمد تقي مصباح اليزدي و(الإمام علي ومدرسة القران) لنعمة هادي الساعدي و(علي والقران) لمحمد جواد مغنية و(مصحف علي) للشيخ الكوراني ،وهي في اغلبها قراءات تاريخية عقائدية تصف علاقة الإمام بالقران أكثر مما تعمد إلى بيان الدلالة القرآنية عند الإمام (ع) ،فضلا عما كتبه الباحث كاظم عبد فريح (الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة) دراسة اسلوبية في بحثه للدكتوراه الذي شكل إضاءة للباحث في دراسته على الرغم من اختلاف المنهج و مسلك التناول في دراسة النصوص النهجية .

(١) شرح نهج البلاغة :ابن ابي الحديد :١ /٤٩

إذن فمن تلك التوجهات أدركت الصلة بين البلاغتين القرآنية والنهجية ،وبما فيها من متسع يتيح للباحث أن يلج هذا المسلك بدراسة تحمل عنوان (الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة) بعد التعديل والمشورة من الأستاذ المشرف في اختيار هذا العنوان ، ولغرض الكشف عن ذلك الأثر توزعت خطة البحث على مقدمة وخمسة فصول:الفصل الأول ،كان بعنوان (سلطة النص القرآني واليات قراءته في نهج البلاغة) متضمنا مبحثين الأول :سلطة النص القرآني(الدينية والأدبية) تحدث فيه عن مفهوم السلطة القرآنية وإجراءين تطبيقيين هما مشاهد القيامة ووصف الدنيا في نهج البلاغة، أما المبحث الثاني فكان عنوانا لآليات قراءة النص القرآني في النهج إذ تناولت بعض آليات القراءة مثل التفسير والتأويل والشرح والذوق .

أما الفصل الثاني فقد تضمن الحديث عن الدلالة الصوتية بمباحثها الثلاثة الأول التكرار ودلالته الصوتية والثاني محاكاة الأصوات والثالث التناسب اللفظي ، وفي الفصل الثالث كانت الدلالة الصرفية وهي على مبحثين الأول دلالات صيغ الاسم وفيه دلالات صيغ الجموع ودلالات أخرى والثاني دلالات صيغ الفعل .

أما الفصل الرابع فجاءت الدلالة النحوية وقد عقدت على ثلاثة مباحث الأول دلالة معاني الكلام وفيه دلالة الجملة الخبرية والإنشائية والثاني دلالة بنية الجملة، الاسمية والفعلية والثالث دلالة عوارض بناء الجملة ويشمل الحذف والذكر والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير،

وفي الفصل الخامس كانت الدلالة السياقية وتشمل مبحثين الأول السياق اللغوي والثاني سياق الحال يلي ذلك خاتمة بنتائج البحث ومن ثم قائمة بمظان البحث ومراجعه.

ولا يفوتني أن اذكر الرغبة في عمل معجم يضم الألفاظ القرآنية في نهج البلاغة غير أني وجدت احد الباحثين قد سبقني في ذلك بعمل اسمه (الألفاظ القرآنية في نهج البلاغة) للباحث محمد جعفر الحكيم وهو على طريقة معاجم الألفاظ.

أما لماذا لم أصنف الألفاظ القرآنية على طريقة معجمات المعاني ؛ فلأن ذلك عمل واسع ويحتاج إلى دراسة قائمة بذاتها ومع ذلك عقدت لها مثالين تطبيقيين ، هما : مشاهد القيامة وأوصاف الدنيا في الفصل الأول .

أما أهم مظان البحث التي أفاد منها الباحث في دراسته فأولها القران الكريم وتفاسيره، فشروح نهج البلاغة والكتب المتعلقة بالنهج أو بالإمام علي (ع) من قريب أو بعيد ثم المعاجم اللغوية وكتب اللغة والنحو القديمة والحديثة والدراسات البلاغية والأسلوبية أيضا سيجدها القارئ مبسوطة في قائمة المصادر والمراجع.

وبعد فهي محاولة توخى البحث فيها بيان الدلالة القرآنية في كلام الإمام علي (ع) من خلال التشكلات اللغوية المختلفة التي يتركب منها الكلام عامدا إلى استظهار تلك الدلالات بما تناثر من لمسات بيانية في كتب اللغة فضلا عما فهمه الباحث في توجيه دلالة النص .

ولا تخلو هذه المحاولة من كد ومعاناة يستشعرها من ولج هذا المسلك وعرف مشاق البحث وصعوباته،فان شابها نقص فذلك من قصور الانسان وتقصيره ،وان كانت الأخرى فبتوفيق الله.

وفي الختام أرى من الوفاء أن أزجي شكري الوافر إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عدنان عبد الكريم جمعة لما أولاه من متابعة ومناقشة وتقويم وصبر على الباحث مدة الكتابة، فله مني اخلص الدعوات بالتوفيق والسداد ومزيد من العطاء ولا أنسى كل من مد لي يد العون في إتمام هذا البحث وانجازه فللجميع دعائي ماحييت راجيا من الله أن يمن عليهم بفضله في الدنيا والآخرة ،

وأخيرا الله اسأل أن يغفر لي في عملي هذا ويتجاوز عن سيئاتي فلربما زل القلم أو غلب الهوى في أن أعدو على القران الكريم أو كلام أمير المؤمنين (ع) بغير علم أو قصد فرجائي المغفرة ونوالي الثواب في سطور قد خطتها أنامل باحث قد جبل على النقص والقصور { رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وارحمنا } البقرة (٢٨٦) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ألبـــــــاحث

٢٠٠٨/ ١٢/ ٤

المبحث الأول.....سلطة النص القرآني (الدينية والأدبية)

إذا كان النص القرآني هو خطاب عقل[1] فان ذلك يعني استحضار الممارسة القرائية التامة لتفكيك النص وفهم خفاياه عند القارئ ؛ لما في ذلك من سلطة منوطة بالمتلقي ، تجعله قادرا على إنتاج الدلالة من وراء ذلك التعاطي القائم على التأمل والحوار.

أما لماذا هذا التأكيد في تلك الجدلية بين (النص والقارئ)؛ فلان معرفة أسرار النص وجمالياته لاتكتمل من دون الوقوف على ميول المنشئ أو مقصديته في ذلك المنجز الكلامي ، من هنا تعددت زوايا البحث في رؤية المفسرين للنص القرآني ، تبعا لاختلاف ميولهم الثقافية التي تنعكس بدورها على إستجلاء دلالات النص القرآني .

يقول احد الباحثين : ((فخصائص اللغة دائما ما تأتي مرتبطة بخصائص الأمة التي تتكلمها ..فكل امة تتكلم كما تفكر))[2] ، فحصيلة التفكير إذنيكون ذلك التجسد الكلامي ، وهو تجسد مملوءٌ بالدلالات المختلفة المناسبة لدواعي الكلام ؛لذا كان من الأولى إيضاح خصائص ذلك الفهم عند متلقي النص، والإمام (ع) مثّل هنا دور المتلقي المستنطق للقرآن المبّين لإشاراته.

أما طرائق الكشف عن تجليات ذلك الفهم فهي تستلزم بيان مكانة النص القرآني وسلطته على الإمام ، بما يمثله القرآن من نص مفتوح على دلالات غير محددة تستوعب الزمان والمكان ((فالنص الذي ينحدر مع كل قراءة ويستطيع عبور الأزمنة والأمكنة فهو قادر على طرح قراءات متعددة))[3] وهذا ما أفاده(ع) في تنوع نصوصه وانفتاح دلالاتها لما أخذه من القرآن الكريم ونظمه في ذلك المسلك ،بما يمتلكه القرآن من تفرد في التعبير وجمالية في البيان على اختلاف موضوعاته ((إن اسلوب القرآن الرائع ليس له نظير سابق ولا نظير لاحق في اللغة العربية، ومن ثم حاول الأدباء أن يصوغوا آثارهم الأدبية من شعر ونثر مهتدين بهدي ديباجته الكريمة وحاشيته الرقيقة وعباراته السلسة وعكف عليه علماء اللغة وفنونها فهّيمن على عقولهم وامتلك مقادة أذواقهم حتى أينعت ثماره في جميع فنونهم فظهرت للقرآن نتائج فريدة في اللغة والأدب والبلاغة والنقد))[4] وهي نتائج محكومة بالأثر الوجداني الذي لُطلق من فضاء القرآن وما خلّفه في إيقاظ الجذوى الإنسانية لتلمس الآفاق المعجزة التي تحدث عنها، بل وصل ذلك التأثير إلى درجة استحسان ذكره والاستشهاد بآياته في محافلهم.

---

[1]- ينظر : نحن والتراث قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي : محمد عابد الجابري : ٥١

[2] -منهجية القرآن المعرفية: محمد أبو القاسم حاج حمد:٩٩

[3] - نظرية النص من بنية المعنى إلى سيمائية الدال : حسين خمري :٤١

[4]- نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم: احمد سيد محمد عمار:١٨٤

يقول الجاحظ : ((وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع آي من القرآن ، فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وسلس الموقع))[١] .

فضلا عن ذلك أضاف القرآن الكريم مجالا رحبا للتأمل والتفكير في رحاب عوالم الدنيا والآخرة ولفت انتباه الإنسان إلى مسائل تعد الغاية في خلقه كاليوم الآخر، وما فيه من حساب أو جزاء يقدم عليه الإنسان بعد الرحيل عن هذه الحياة، هذه القضايا وغيرها كانت من المحركات الأساسية في الخطاب القرآني نحو الإنسان ، صيغت بأسلوب له أثره ووقعه في السامع ترغيبا أو ترهيبا ، أو غير ذلك بهذه البنية الخطابية القرآنية التي مثلت سلطتها وتجلياتها على نصوص الإمام (ع) ، فانطلاقته كانت حيث ينطلق القرآن وموضوعاته موضوعات القرآن الكريم في اغلبها ،((فقد تكلم الإمام (ع) عن الله وصفاته وعن النبوة واليوم الآخر. ومنهجه في إثبات وجود الله تعالى عين منهج القرآن وهو الاعتماد على منطق الحس والعقل وما فيه من صنعة وقصد وحكمة وتدبير يشمل ويعم جميع الكائنات من الذرة إلى أعظم المجرات))[٢] .

فهو يتتلمذ للقرآن الكريم ويستوحيه نصاً في عرفان إسلامه وتقرير إيمانه فكانت نظرته إلى الخلق والخالق نظرة قرآنية يبتكر ما شاء ابتكار التلميذ في الحكاية عن الأستاذ[٣] . فقد تحدث كثيرا عن عظمة الله في خلقه (إنسانا وحيواناً ونباتاً) وما أبدعه الله سبحانه من آيات مودعة في تلك المخلوقات، وإذا تحدث عن الإنسان لم يدع شيئاً إلا وفصّل فيه ابتداءًمن خلقه وحتى قيامه بين يدي الخالق العظيم ((فكلامه عام غير محدود بحدود الزمان والمكان أو الأشخاص بشكل خاص بل هو يخاطب الإنسان ولذلك فكلامه لا يعرف حداً للزمان والمكان))[٤] ، زد على ذلك انه تكلم في ما لا معرفة واسعة فيه عند متلقي ذلك العصر كدقائق التوحيد في الصفات والأفعال الإلهية ، وحقائق اليوم الآخر، ومكاشفات الحساب، وغيرها.

وهو أمر مرهون بأثر القرآن فيه ((فالقرآن الكريم أعجز الإنسان العربي مع أن موضوع مطالبه كان يغاير الكلام المتداول في عصرهمتعلقاً بعالم آخر غير هذا العالم ، ومع ذلك أصبح مفتتح عهد جديد للأدب في العرب بل العالم وقد تأثر به نهج البلاغة في هذه الناحية أيضا كسائر الخصائص والصفات فهو في الحقيقة وليد القرآن الكريم))[٥] أما باعثه للخوض في تلك المسائل فهو ((محاولة لتفسير ما ورد منها في القرآن الكريم))[٦] فالقرآن الكريم كان دافعه في بسط كثير من العلوم أو الإلماح إليها، كاللغة والتفسير والفقه وعلم الكلام والتصوف وغيرها.

---

[١] - **البيان والتبيين : الجاحظ : ١ / ١١٨**
[٢] - **في ظلال نهج البلاغة : محمد جواد مغنيه : ١ /٩**
[٣] -**ينظر : عبقرية الإمام علي: عباس العقاد: ٤٩**
[٤] -**في رحاب نهج البلاغة: مرتضى مطهري: ٣٣ ، ٣٤**
[٥] - **م.ن : ٣٤**
[٦] - **م .ن : ٥٥**

((فتحسسه عن الإسلام كان يقوده إلى عدّه ديناً منقذاً ، وأنّه اللسان العربي المبين والوجه الآخر لتلك المسؤولية الكبرى ، فالإسلام حمل على الأبجدية العربية وكتاب الله انزل بلسان عربي مبين، فما فرط الإمام (ع) بهذا الهم ولا فارق هذا الهاجس الذي عاش مسكوناً به))[١] .

فاللغة والدين كانتا صورة واحدة عنده (ع)، وهو أمر مرتبط ببنية الثقافة التي شكلت في إطارها اللغة [٢] . فالثقافة السائدة عصر نزول القرآن، هي ثقافة جل توجهاتها كان صوب القرآن الكريم ومعرفة أسراره، فالقرآن كان ((هو الباعث على اهتمام علماء اللغة بجمع الشواهد اللغوية وتقعيد اللغة))[٣] ولا تعد تلك الملازمة عيبا أو خللا في منظومة الفكر العربي كما يرى الدكتور المسدي ((قد يكون للعنصر الديني أثره في الغفلة عن التراث اللغوي العربي، ذلك أن قضايا اللغة قد كانت ملابسة لقضايا المعتقد في كل الحضارات التي عرفت بكتاب سماوي وقد نتج عن ذلك حاجز من المحظورات بين الأمم في قضايا اللغة قداسة أو تدنيساً ، لاسيما وان التراث اللغوي كثيراً ما كان مستوعباً كلياً أو جزئياً بمنظومات الدين والتشريع))[٤] فإنْ صح ذلك في باقي الأمم لا يمكن قبوله في التراث اللغوي العربي، فلولا المعتقد أي القرآن لما كانت العربية فقد ((كان محوراً لجميع الدراسات العربية التي قامت في الأساس لخدمته ومن بينها الدراسات اللغوية ولولاه لاندثرت اللغة العربية الفصحى))[٥].

فمنه كانت انطلاقة الإمام (ع) في بذر مراحل تأسيس العربية أو النحو العربي، فالأصول الأولى تجلّت على يديه، قال أبو الأسود الدؤلي : ((دخلت على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فرايته مطرقا مفكرا فقلت فيم تفكر يا أمير المؤمنين فقال ((إني سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن اصنع كتاباً في أصول العربية فقلت : إن فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة ثم أتيته بعد ثلاثة فالقي إلي صحيفة فيها ((بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله: اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولافعل ثم قال تتبعه وزد فيه ما وقع لك ، واعلم يا أبا الأسود أنّ الأسماء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر ، وإنما تتفاضل العلماء في معرفة ماليس بظاهر ولا مضمر)) قال أبو الأسود فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه، فكان ذلك من حروف النصب فذكرت منها (إن وأن وليت ولعل وكأن) ولم اذكر لكن، فقال لم تركتها فقلت لم احسبها منها فقال بل هي منها فزدها فيها))[٦] ، وعليه يمكن البناء من ذلك النص وغيره انطلاقة الحركة اللغوية والتوسع في رحابها لغرض صيانة القرآن الكريم . فالعامل الديني قد دفع العرب

---

١ - الصورة الفنية في نهج البلاغة: خالد محيي الدين البرادعي ، ١٦٠ (بحث)
٢ -ينظر : النص، السلطة، الحقيقة، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة: نصر حامد أبو زيد: ٩٢
٣ - المدخل إلى دراسة النحو العربي في ضوء اللغات السامية :عبد المجيد عابدين : ١٠٢
٤ - الفكر العربي والألسنية: عبد السلام المسدي : ٣٠ .
٥ - فصول في فقه العربية :رمضان عبد التواب : ١١٥
٦- أمالي الزجاجي :٢٣٨، ٢٣٩ وينظر : نزهة الالباء في طبقات الأدباء :١٨ ، وينظر :المدارس النحوية :خديجة ألحديثي : ٥٨

أولا إلى حفظ نص القرآن فضلا عن عوامل أخرى كالعامل القومي والسياسي.[١] بشكل عام وعلى الإمام علي (ع) بشكل خاص .فالسلطة الدينية للنص القرآني جعلت من الإمام (ع) يستشعر ذلك الخطر في اللحن مما قاده إلى إرساء أصول ذلك العلم وهي ((عظيمة لان الابتداء بها أصعب من تحصيل المجلدات الضخام التي دوّنها النحاة بعد تقدم العلم وتكاثر الناظرين فيه))[٢] ،يضاف إلى ذلك علمه بالتفسير والإشارات التي صدرت منه في تفسير القرآن، فهو مسلك يبرز الدوافع الدينية عنده (ع) في حرصه على بيان معاني القرآن الكريم وكشف دلالاته.أما ما يؤكد أسبقيته وفهمه لتفسير القرآن فقد وردت إشارات كثيرة تثبت ذلك قال ابن عطية: ((فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ويتلوه عبد الله بن عباس وهو تجرّد للأمر وكّمله .. وقال ابن عباس ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي ابن أبي طالب))[٣] ولا يعني ذلك الأخذ الاقتصار على منهج واحد في التعاطي مع القرآن ،مثل ما ورد عند ابن عباس ، بل إن الإمام (ع) كان يؤسس لكيفية التعامل مع القرآن وفهمه بالطرائق المشروعة التي لاتؤول إلى الانزلاق ،أي التفسير بالرأي وغيرها، تاركا للمفسر استعمال ما يريده في تعاطيه مع النص، ولعل معرفته بالتأويل إذ كان ((من اعلم الصحابة بمواقع التنزيل ومعرفة التأويل))[٤]. أعطت فسحة واسعة للمتلقي في سلوك تلك المعرفة في استنطاق القرآن.

فضلا عن ذلك ، ان الانشغال بتلك المعرفة القرآنية ، والولع بالتفسير أدى فيما بعد إلى النظر في ذلك العلم، نظرة دينية مفادها العقاب في الآخرة إن لم ينصب الاهتمام على دراسته ((إذ أصبح علما شرعيا يتجدد لا بالاحتمال والإمكان بل بالاقتضاء والوجوب حتى خشي بعض علماء الدين على مر الزمان عقاب الآخرة إن هم لم يتوجوا حياتهم بتفسير القرآن))[٥] الذي تختلف فيه الرؤى والمناهج، على وفق ما يتعلق بالروافد المعرفية والميول التي يتحرك بها نحو النص . ففيما يخص الملكة الإبداعية وقنواتها عند الإمام (ع) في التفرد بفهم القرآن وهيمنة النص عليه يرتبط بجذور تتعلق بحفظ القرآن وجمعه فالبدء كان حفظه القرآن. قال السلمي : ((مارأيت ابن أنثى اقرأ من علي عرض القرآن على النبي وهو من الذين حفظوه بلا شك عندنا))[٦] وتأتي بعد ذلك مرحلة الجمع ، إذ تشير بعض الروايات إلى انقطاعه فترة الخلفاء الثلاثة في جمع القرآن وحفظه[٧] . وهو أمر دفع بعض الباحثين في عدّه سبباً

---

[١] -ينظر : الأصول دراسة ابستمولوجية في الفكر اللغوي عند العرب :تمام حسان :٢٦ ـ٢٧و المدارس النحوية :خديجة ألحديثي :٦٤ ـ٦٥

[٢] - عبقرية الإمام علي : ٢٠١

[٣] - تفسير القرطبي :١ / ٢٧

[٤] - التفسير والمفسرون : الذهبي : ١ / ٨٩ ، وينظر :أبو عمرو بن العلاء وجهوده في القراءة والنحو : د . زهير غازي زاهد : ١١٣

[٥] -الفكر العربي والألسنية: ٢١

[٦] - الفهرست : ابن النديم : ٣٠

[٧] ـ ينظر : علوم نهج البلاغة :محسن باقر الموسوي :٩

في إبرازه خطيبا ((إن انهماك عليٍ في جمع القرآن وقراءته كان من الأسباب التي جعلت من هذا الرجل خطيبا مصقعا))[١] وهي في نهايتها قنوات كاشفة عن حضور النص القرآني في توجهات الإمام وتجليها في نصوصه ،يقول (ع) : ((ما من آية إلا وقد علمت فيمن نزلت وأين نزلت في سهل أو في جبل، وان بين جوانحي لعلما جما، سلوني قبل أن تفقدوني فأنكم إن فقدتموني لم تجدوا من يحدثكم مثل حديثي))[٢] ،وما ظهر من تنوع في نصوصه في الحديث عن التقوى والدعاء والموعظة والجنة والنار والعذاب والقيامة والحساب وغيرها. دليل على تجلي سلطة النص القرآني بحضورها الديني في سياقات الإمام (ع) الكلامية. لما للنص الديني من سلطة استطاعت أن تفرض نفسها بشكل كبير على النص البشري والأدبي بالذات ، ولاسيما إنّ الخطاب الديني يزخر بالأفكار والمواقف والعقائد[٣] ولتوضيح تلك السلطة سيقف البحث على مثالين تطبيقين ،يراد منهما بيان الدلالة القرآنية وتمثلاتها في كلام الإمام(ع) الأول (مشاهد القيامة) والثاني (اوصاف الدنيا) لما يلحظ فيهما من تكثيف واضح في نصوص الإمام (ع) ، وبالاتجاهات التي رسمها القرآن في ذلك . أما لماذا القيامة؟ فلأنها تتوزع معظم سور القرآن.. ولما يتوافر فيها من الصور والحركة والإيقاع.. فلا تكاد سورة واحدة من سور القرآن تخلو من ذكر أو إشارة أو تلميح إليها[٤]،استهدف القرآن الكريم في اغلبها أسلوب الترغيب بعرض مشاهد النعيم والجنان أو الترهيب بذكر فظاعة العذاب وشدته، لشد الإنسان وإعداده لتلقي ذلك اليوم، وبأسلوب يقرب ذلك العرض من النفس الإنسانية ويؤثر فيها .وهذا ما استلهمه الإمام علي (ع) في نهجه، حيث التمثل المكثف لتلك المشاهد وعرضها في اغلب خطبه، ودون ذلك في رسائله وحكمه، الغاية، تذكير الإنسان وتنبيهه إلى ذلك المصير (تشويقاً وتحذيراً) لما ينتظر في ذلك الموقف من جانب واثبات قدرة الخالق جلّ وعلا في ذلك التدبير المتقن القائم على نظام دقيق في خلق تلك العوالم وما فيها من جانب آخر، مشكلاً ذلك في اغلب خطبه الوعظية بأسلوب مؤثر في النفس . أما تجليات ذلك التمثل فيمكن أن يلحظ في استعمال الإمام(ع) لأسماء القيامة ومشاهدها، نتيجة تأثره بالقرآن الكريم وانعكاس ذلك الطابع التصويري عليه.

أولاً : مشاهد القيامة في نهج البلاغة. ١. أسماء القيامة .

---

[١] - **أسطورة الأدب الرفيع : علي الوردي :٢٠٨**
[٢] - **أمالي الشيخ المفيد:٩٨**
[٣] -**ينظر : الخطاب والتأويل: نصر حامد أبو زيد: ١١٧ ، ١٢٩ ، ١٣٣**
[٤] -**ينظر : مشاهد القيامة في القرآن : سيد قطب : ٨**

أورد القرآن الكريم أسماء مختلفة للقيامة تتلاءم وسياقاتها وتأثيرها في السامع((لتوحي هذه الأسماء في أماكنها بالمعاني التي يستدعيها المقام، فهو اليوم الآخر والآخرة عندما يكون في مقابلة الحديث عن الدنيا وموازنته بها، أو عند الحديث عنه ملاحظاً فيه هذا التقابل ... ويدعى بيوم القيامة مثيرا في النفس هذه الحركة المائجة المضطربة التي ينبعث فيها الأموات من أجداثهم كالجراد المبثوث ، وبيوم الدين ملحوظاً فيه انه اليوم الذي يجزى فيه كل إنسان بعمله خيراً أو شراً ، وبيوم الفصل إذ فيه يفصل بين الصواب والباطل فصلاً عملياً لا شبهةً فيه، وبيوم البعث لأنه يوم الحياة بعد الموت، فإذا دعي بالساعة كان ملاحظاً فيه عنصر المفاجأة والمباغتة ، أو بالحاقة فلان وجودها حق لا مرية فيه ، أو بالقارعة فلشدة هولها وما فيها من مصائب وأهوال أو بيوم الآزفة فلأنها شديدة القرب والمفاجأة))[1]، أفاد الإمام (ع) من توظيفها في حقول دلالية مختلفة وبمقاصد متنوعة من نص إلى آخر أما أهم المجالات الدلالية لاستعمالات أسماء يوم القيامة فيمكن فهمها من خلال سياقاتها إذ إن لكل اسم مجالاته الخاصة، ففي استعماله لاسم (المعاد) وهو من العود أي الرجوع إلى الشئ بعد الانصراف عنه أما انصرافاً بالذات أو بالقول أو بالعزيمة .. والمعاد يقول للعود وللزمان الذي يعود فيه وقد يكون للمكان الذي يعود إليه،[2] وكلاهما محقل في القيامة زماناً ومكاناً ، استعمله القرآن بصيغ فعلية مختلفة تدل على عودة الخلق إلى الله سبحانه وتعالى ،[3] أفاد منها الإمام (ع) ووظفها في مجالات مختلفة :.يقول (ع) : ((فَبَادِرُوا الْمَعَادَ وَسَابِقُوا الْآجَالَ فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ وَيَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالارْتِحَالِ وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ))[4] مريدا (تحريك الهمة) في نفوس مخاطبيه قبل الانقطاع عن الحياة وإغلاق باب التوبة، وفي ذلك المجال نفسه أي (تحريك الهمة يقول (ع): ((طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ))[5]، مقدماً ذكر المعاد على العمل، لان من تذكر عمل واستعد لملاقاة ربه.وهو مطلب مرتبط بالتهذيب والإقناع للزوم ذلك المسلك الذي كان في بداية صدر الإسلام الغاية الأولى المسيطرة على أذهان المبدعين والمتذوقين على السواء خاصة إنها كانت تجد مايدعمها في القيم الخلقية التي أرساها الإسلام[6] أما مجال (الخضوع والاستكانة) فيمكن أن يوضع فيها قوله (ع) : ((حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ وَأَزِفَ النُّشُورُ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ وَأَوْجِرَةِ السِّبَاعِ وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ رَعِيلاً صُمُوتاً قِيَاماً صُفُوفاً يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي عَلَيْهِمْ

---

1 - من بلاغة القرآن: احمد احمد بدوي: ٢٨٩
2 - ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني : ٥٩٣، ٥٩٤
3 - ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم :٦٢٦
4 - شرح نهج البلاغة : خ ١٨٤: ١٠ / ٩٢
5 - م .ن :حكمة ٤٢ /١٨ :١٣٦
٦ - ينظر :الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي : جابر عصفور: ٤٠٠

لَبُوسُ الِاسْتِكَانَةِ وَضَرَعُ الِاسْتِسْلَامِ وَالذِّلَّةِ))[1] ،فالمشهد بأسره يتحرك نحو يوم القيامة(مهطعين إلى معاده) مصوراً حال الناس يومئذٍ وما هم فيه من وجل واضطراب ((فمهطعين أي مسرعين إلى معاده سبحانه الذي وعد أن يعيدهم فيه ، ورعيلاً صموتا، الرعيل القطعة من الخيل شبههم في تلاحق بعضهم ببعض برعيل الخيل أي الجملة القليلة منها، لان الإسراع لا يدع أحدا منهم ينفرد عن الآخر))[2] وقد ترد لفظة (المعاد) في سياق آخر لتعطي مجالاً دلالياً آخر يمكن أن يوضع فيه الكلام ، يقول (ع) ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ وَإِلَيْهِ يَعُودُ كَادُّكُمْ وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ))[3] قاصداً تأكيد ذلك (التحقق) الغاية التي بها تنجح الطلبة وتنتهي الرغبة وتقصد السبل واليها يلتجئ من الفزع في يوم المعاد (واليه يكون معادكم). أما مجال (التثبيت) فيتضح في قوله (ع): ((فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ))[4] إذ جاءت لفظة (معاد) في سياق تثبيت التقوى وتوكيدها بالوصف فهي مفتاح وذخيرة يوم القيامة، استعار الإمام (ع) للتقوى لفظ المفتاح بوصفها سبباً للاستقامة على الصواب والقصد في صراط الله المستقيم إلى ثوابه المقيم الذي هو أفضل المطالب، وإن المفتاح سبب للوصول إلى ما يخزن من الأموال النفيسة.[5] وقد تستعمل (الساعة) للدلالة على القيامة، قال تعالى: ((حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا)(الأنعام: ٣١)وقال تعالى ((وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)) (الحجر:٨٥) وغيرها من الآيات الكريمة.[6] استعملها الإمام (ع) في مجالات دلالية مختلفة لها تأثيرها الخاص في السامع، فدلالتها على التهويل مثلا يقول (ع): ((وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الْأَبَاطِيلُ وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ وَصَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ بِغَيْبِهَا فَرَأَوْا مَا وُعِدُوا بِهِ وَحُذِّرُوا وَأُنْذِرُوا بِهِ وَشَهِدُوا مَا كَانُوا عَنْهُ نُحِّيَ وَأُبْعِدُوا))[7] إذ أضفى ما هو محسوس على الصيحة والساعة بوساطة التشبيه فالصيحة أي نفخة الصور قد أتت والساعة قد غشيت الناس، ((وهي من الغشاوة أي ما يغطى به الشئ))[8] للدلالة على تهويل ذلك اليوم ، مبرزاً إياه بأسلوب له وقعه وقوته في سمع المتلقي من حيث تلاحق الجمل وقصرها فضلا عن نسقها الموسيقي المؤكد بـ(قد) .وقد تستعمل في مجال إثبات (قدرة الله سبحانه) ، قال (ع) معلقا على قوله تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)(لقمان: ٣٤))) فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى وقبيح أو جميل وسخي أو بخيل وشقي أو سعيد ..))[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة : خ ٨٢ /٦ : ١٩٧
[2] -نهج البلاغة: صبحي الصالح: ١٣٣
[3] - شرح نهج البلاغة : خ ١٩١ /١٠ : ١٤٧
[4] - م .ن : خ ٢٢٥ /١٣ : ٦
[5] -ينظر : من بلاغة الإمام (ع) في نهج البلاغة : ٤٩٧
[6] -ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٤٧٠ -٤٧١
[7] - شرح نهج البلاغة : خ ١٥٨ / ٩ : ١٦١
[8] -مفردات ألفاظ القرآن: ٦٠٧

فلفظة الساعة تشير في سياقها إلى تفرد الله بهذا العلم ، وهو كمال القدرة الآلهية التي يعجز عنها البشر : ((فقد تفرد الله سبحانه بهذا العلم ولم يطلع عليه أحدا من خلقه وهي الأمور الخمسة المعدودة في الآية المذكورة))[٢] ، أما مجال (التنبيه والتحذير) فيدخل فيه قوله (ع) ((فَإِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ))[٣]، يقول ابن أبي الحديد: ((وان وراءكم الساعة تحدوكم أي تسوقكم وإنما جعلها وراءنا لأنها إذا وجدت ساقت الناس إلى موقف الجزاء كما يسوق الداعي الإبل ، فلما كانت سائقة لنا كانت كالشيء يحفز الإنسان من خلفه ويحركه من ورائه إلى جهة مابين يديه))[٤] ويحتمل أن يكون المعنى وراءكم الساعة تحدوكم، أي أمامكم الموقف والجزاء يسوقكم إما إلى الجنة أو النار، فلفظ (وراء) من المشترك اللفظي ((يقال لمن خلفه نحو قوله تعالى: ((وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) [هود : ٧١] ... ويقال لمن كان قدامه نحو: ((وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ) [الكهف: ٧٩]))[٥] وفي نص آخر يبرز استعمالها للدلالة على (الإنذار والتخويف) ،يقول (ع) :((قَدْ أَنْجَبَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا وَظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا))[٦] وهو كلام يقع ((في مقام التحذير والإنذار بقرب القيامة حيث شبهها بإنسان مقبل واثبت له الوجه الذي هو من خواص المشبه به على سبيل الاستعارة التخييلية ،فان أول ما يبدو من الشخص المقبل وجهه))[٧] ،قاصدا من ذلك إعداد الإنسان لذلك الظهور الذي تبرز فيه الخلائق ، وهو يوم القيامة المعبر عنه بالساعة في كلامه (ع).

ومن أسماء القيامة الأخرى (البعث)، ويراد به الإحياء من الله للموتى ومنه قوله تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ)(البقرة: ٥٦) أي احييناكم وبعث الموت نشرهم ليوم البعث ،[٨] وظفه الإمام (ع) في مجال (التعظيم والقدرة) يقول (ع) ((مَدْخُولُونَ لَقَدْ بُلُوا قَتَاراً وَقُبُوضُونَ حِضَاراً وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً وَكَائِنُونَ رُفَاتاً وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً وَمَدِينُونَ جَزَاءً وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً))[٩] . فمبعوثون أفرادا يراد منه البعث يوم القيامة لملاقاة الجزاء ،وفي الوقت نفسه تبيان غلبة الله سبحانه وقهره لمن تكبر ونازع الله في عظمته فهو المقتدر والرب والقابض... والباعث أما الجمع فهو اليوم الذي تجمع فيه الخلائق يوم القيامة، لذلك سمي بيوم الجمع، قال تعالى: ((يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) [التغابن: ٩] أي يجمع الناس فيه لفصل القضاء بينهم ،[١٠] استلهمه الإمام (ع) ووظفه في مجال (التفخيم والشدة) من

هول ذلك اليوم ، يقول: ((وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ خُضُوعاً قِيَاماً قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً))[1]، عبر ابن أبي الحديد عن هذا المعنى بانه شرح حال يوم القيامة... أي يستقصى في الحساب ويسيل العرق وتتحرك الأرض وتضطرب ثم يحصل الزحام الشديد فيكون هناك الأحسن حالا من وجد لقدميه موضعا ومن وجد مكانا يسعه [2] وقد يسمى يوم القيامة بيوم الحساب أي ما يحاسب عليه الإنسان فيجازى بحسبه[3]، فال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)(ص: ٢٦) ،وقال تعالى : (هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ) [ص : ٥٣] . وغيرها، قد استثمرها الإمام (ع) موظفا إياها في دلالات مقصودة قد بينها السياق ،قال (ع) فعَ((وِدُوا الْكَرَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً))[4] إذ تدل اللفظة (يوم الحساب) على التوبيخ والتأنيب في كلامه (ع) وهذا ما يفصح به عرضها في حديثه (ع) عن الثبات والجهاد ، يقول ابن أبي الحديد : ((عار في الأعقاب أي في الأولاد فان الأبناء يعيرون بفرار الآباء ... ثم قال ونار الحساب لان الفرار من الزحف ذنب عظيم.. قال تعالى((وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ)(الأنفال : ٨]))[5]، وبذلك المقصد ألاستعمالي أراد الإمام (ع) إحراز التأثير في السامع من زاويتين ، الأولى اثر الفر في الدنيا وهو (العار في الأعقاب) والثانية الأثر في الآخرة وهو (النار يوم الحساب) ويدعى ذلك اليوم بـ(القيامة) أيضا ، مثيرا في النفس هذه الحركة المائجة المضطربة التي ينبعث فيها الأموات من أجداثهم كالجراد المبثوث[6] لان أصلها ما يكون من الإنسان من القيام دفعه واحدة ، ادخل فيها الهاء تنبيها على وقوعها دفعة، وقد استعملت بهذا الاسم للدلالة على قيام الساعة ،[7] فضلا عن تسمية سورة بأكملها بهذا الاسم ، استشعارا بما لها من وقع يؤثر ويعيد بناء الإنسان في علاقته مع ربه سبحانه .عني الإمام(ع) باستعماله مفيدا من دلالاته المختلفة التي يمكن أن توظف في مجالات متنوعة، ففي مجال (العدل). يقول (ع) : ((وَاللَّهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ))[8]،فلفظ (يوم القيامة) يمثل مدار النص الذي تكثفت فيه الدلالة وتجمع حوله المعنى،مريدا تحقيق العدل والمساواة وان اضطر إلى تحمل العناء والتعب فهو

أهون من الوفود على الله سبحانه وتعالى بمظالم العباد ، وهي إشارة أراد منها الإمام (ع) التنبيه إلى ذلك السلوك

---

[1] - شرح نهج البلاغة : خ ١٠١ / ٧ : ٨٠
[2] - ينظر : م . ن : " " "
[3] -ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٢٣٢
[4] - شرح نهج البلاغة :. خ ٦٥ / ٥ : ١٣٦
[5] -م . ن : ١٤١
[6] -ينظر: من بلاغة القرآن : ١٨٩
[7] -ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٦٩١
* سورة القيامة
[8] - شرح نهج البلاغة :. خ ٢١٩ / ١١ : ١٨٨

المحذور منه يوم القيامة .وقد تعطي دلالة (بيان العاقبة) ، يقول (ع)((وَاللَّهِ مُعَاوِيَةُ بِأَهْدَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فُجْرَةٌ وَكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ وَلَا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ))[1]، فكل غادر فاجر وكل فاجر كافر ، والكافر عاقبته النار ، يعرف على رؤوس الاشهاد بلواء خاص به قبل عاقبته ، تنكيلا وتحقيرا بمن كان في هذه السمة ،وهو فعل لا يتحقق إلا في ذلك اليوم ، إذ يكشف عن باطن الأعمال وحقائقها ، لذا فمعرفته لا تكون إلا في يوم القيامة وهذا ما صرف المعنى إليه عند الإمام (ع) .وفي نص آخر توظف اللفظة (يوم القيامة) لمعنى جديد ، يقول (ع):. ((إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا وَدَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللَّهِ وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللَّهِ وَمَجَرُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا وَقَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلَائِهَا الْبَلَاءَ وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ وَابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ تَرْغِيباً وَتَرْهِيباً وَتَخْوِيفاً وَتَحْنِيراً فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ النَّدَامَةِ وَحَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَكَّرَتْهُمُ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرُوا وَحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا وَوَعَظَتْهُمْ فَاتَّعَظُوا))[2] يقول ابن أبي الحديد : ((وهذا الفصل كله لمدح الدنيا وهو ينبئ باقتداره (ع) على ما يريد من المعاني لان كلامه كله في ذم الدنيا وهو الآن يمدحها وهو صادق في ذاك وفي هذا))[3]، فضلا عن ذلك لم يجعله مفصولا عن يوم القيامة ، بل ختمه بالجزاء الذي يكون عليه الإنسان يومئذ من خسران أو فوز ، وهو المجال الدلالي الذي يمكن أن تدخل فيه لفظة (يوم القيامة) ، فالفوز هناك لمن اتعظ وتذكر ، والخسران لمن كذب وتولى وأنكر . والفصل كذلك مما استعمل للدلالة على يوم القيامة ، قال تعالى : ((هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) [الصافات :٢١] ، وقال تعالى (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) [الدخان : ٤٠] ،وقال تعالى :(إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ))(الطارق:١٤) ،أي ((إن الوعد بالبعث والإحياء بعد الموت قول فصل أي مقطوع به ولا خلاف ولا ريب فيه))[4] ، وغيرها من الآيات الأخرى ، استلهم منها الإمام (ع) ما يدل على تأكيد حدوث ذلك اليوم وشدة وقوعه قال (ع) : ((وَهَوْلِ الْأَفْئِدَةِ كَاظِمَةً وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيْمَةً وَأَلْجَمَ الْعَرَقُ وَعَظُمَ الشَّفَقُ وَأُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخِطَابِ وَمُقَايَضَةِ الْجَزَاءِ وَنَكَالِ الْعِقَابِ وَنَوَالِ الثَّوَابِ))[5]، وكلها صور تدل على الهول والفزع ((استعير فيها لفظ العرق وكنى به عن غاية ماتجده النفس من كرب وألم الفراق وهيبة الله وعدم الإنس بعد الموت ، أما زبرة الداعي فقد استعار لفظ الزبرة لقهر حكم القضاء للأنفس على مرادها قهرا لا يتمكن معه من الجواب بالامتناع))[6]،

---

[1] - شرح نهج البلاغة : خ ١٩٣ / ١٠ : ١٦٥
[2] - م . ن : حكمة ١٢٧ / ١٨ : ٢٦١
[3] - شرح نهج البلاغة :. حكمة ١٢٧ / ١٨ : ٢٦١
[4] - مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي : ١٠ / ٣٦٦
[5] - شرح نهج البلاغة :. خ ٨٢ / ٦ : ١٩٧
[6] - من بلاغة الإمام (ع) في نهج البلاغة : ٢٦٠

بذلك الفصل ، ((وهو ابانة احد الشيئين من الآخر حتى يكون بينهما فرجة ... وفصل الخطاب ما فيه قطع الحكم))[١] الذي أراد فيه الإمام(ع) البت بين الله وبين عباده في ذلك الموقف[٢] ومثل ذلك قد تكرر في أكثر من نص عنده (ع)* أما يوم الدين فقد ذكره القرآن كثيرا للدلالة على مقاصد متعددة ترتبط بتوحيد الله وقدرته ، أو للفصل بين عباده عند ذلك الجزاء ، استعمله الإمام (ع) في نصين ، كلاهما يشير إلى (تعظيم) ذلك اليوم ، والشهيد فيه، قال (ع) : ((اَللَّهُمَّ دَاحِيَ اَلْمَدْحُوَّاتِ وَ دَاعِمَ اَلْمَسْمُوكَاتِ وَ جَابِلَ اَلْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وَ سَعِيدِهَا كُنْ لِمُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ نَبِيِّكَ وَ رَسُولِكَ اَلْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَ اَلْفَاتِحِ لِمَا اِنْغَلَقَ وَ اَلْمُعْلِنِ اَلْحَقَّ بِالْحَقِّ وَ اَلدَّامِغِ لِصَوْلاَتِ اَلْأَبَاطِيلِ كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ بِأَمْرِكَ طَائِعاً غَيْرَ وَانٍ وَ لاَ وَاهٍ وَ لاَ مُعْتَذِرٍ وَ لاَ نَاكِلٍ وَ لاَ نَاكِصٍ اَلْمُتَوَسِّمِ فِي أَنْبِيَائِكَ اَلْمُرْتَهَنِ فِي مَشِيَّتِكَ اَلْمُضْطَرِبِ فِي رِعَايَتِكَ اَلْمُضْطَهَدِ فِي جَنْبِكَ اَلْمُسْتَوْفِزِ فِي مَرْضَاتِكَ اَلْمُجْتَهِدِ فِي طَاعَتِكَ اَلْمُشْفِقِ مِنْ سَطَوَاتِكَ اَلْمُرْتَقِبِ لِغَلَبَاتِكَ اَلْمُخْتَصِّ بِبُرْهَانِكَ وَ مَا نِيطَ إِلَيْهِ مِنْ كَرَائِمِ اَلْأَمَانَةِ وَ أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اَللَّهُ اَلْحَقُّ اَلْمُبِينُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَ رَسُولُكَ إِلَى اَلْخَلْقِ))[٣]، وفي نص آخر ، يقول (ع) ((حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ وَ أَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ فَهُوَ أَمِينُكَ اَلْمَأْمُونُ وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ اَلدِّينِ وَ بَعِيثُكَ نِعْمَةً وَ رَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً))[٤]، إذ لم يقل (ع) وشهيدك يوم القيامة ، لما في يوم الدين من معنى أوسع واشمل ،((فالدين يقال للطاعة والجزاء))[٥] فهو يوم الحساب وهو يوم الجزاء وهو يوم الطاعة والخضوع لله وهو يوم يعزّ فيه أهل طاعته ويقهر أهل معصيته وهو يوم إعلاء الدين وإظهار شأنه ،[٦] جيء به لصيقا مع ذكر النبي (ص) والثناء عليه ، كونه أعظم شاهد في أعظم يوم يجازى فيه العباد ، فشهيدك ، أي شاهدك ، قال سبحانه : (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً) (النساء:٤١) [٧]

وبذلك الأسلوب يلحظ إن الاستعمال الدلالي مقصود عند الإمام (ع) إذ لا تقف الفكرة على نمط واحد أو شكل محدد الاستعمال، بل ينفتح التوظيف أو التشكل اللغوي عنده (ع) بما يناسبه من مطلب مراد. ومن ذلك ما ذكر، حيث جاء بـ(يوم الدين) وهو يوم الجزاء في معرض مدحه ودعائه للنبي (ص).

٢ . أحداث القيامة :- وهي كثيرة عمد إليها القرآن الكريم وصورها في مشاهد كثيرة ومتنوعة لغرض إحداث الأثر في السامع وتنبيهه إلى ما اعد له في ذلك المصير وبأسلوب مؤثر: ((لقد عني القرآن بمشاهد القيامة ، البعث والحساب والنعيم والعذاب فلم يعد ذلك العالم الآخر الذي وعده الناس بعد هذا العالم الحاضر موصوفا فحسب بل عاد مصورا محسوسا وحيا متحركا وبارزا شاخصا))[٨] يدرك تأثيره لأول

---

[١] -مفردات ألفاظ القرآن: ٦٣٨
[٢] -ينظر: شرح نهج البلاغة : خ ٨٢ / ٦ : ١٩٨
* ينظر : م . ن :خ ١٥٨ / ٩ : ١٦١ ، وينظر : ك ٣ / ١٤ :٢٥
[٣] - شرح نهج البلاغة : خ ٧١ / ٦ : ١١٠
[٤] - م . ن :خ ١٠٥ / ٧ : ١٣٦
[٥] -مفردات ألفاظ القرآن:. ٣٢٢
[٦] -ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : فاضل صالح السامرائي : ٣٠
[٧] -ينظر: شرح نهج البلاغة : خ ٧١ / ٦ : ١١٣
[٨] - مشاهد القيامة في القرآن : ٣٧

وهلة لما فيه من تداخل في الصور وتقارب بين الحسي والذهني ، فضلا عن إضفاء المحسوس على الجمادات ، إحرازا للأثر الذي يراد بيانه . أفاد الإمام (ع) في كثير من نصوصه توظيف ذلك الملحظ ألاستعمالي وبأسلوب مؤثر هدفه (الإنسان) أولا وأخيرا ،وفي مجالات دلالية مختلفة تتنوع بتنوع سياقاتها . من ذلك قوله (ع) : ((حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَ الْأُمُورُ مَقَادِيرَهُ وَ أُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ وَ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ أَمَادَ السَّمَاءَ وَ فَطَرَهَا وَ أَرَجَّ الْأَرْضَ وَ أَرْجَفَهَا وَ قَلَعَ جِبَالَهَا وَ نَسَفَهَا وَ دَكَّ بَعْضَهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلَالِهِ وَ مَخُوفِ سَطْوَتِهِ))[1]، فالرج والرجف والقلع والنسف والدك ، كلها مشاهد قرآنية صورت الحال يوم القيامة ، وما يحدث للإنسان والكون في ذلك الموقف . قام الإمام (ع) بإيرادها في مجال يدل على (السرعة والتتابع) لما في ذلك من إثبات للقدرة والهيمنة التي يقهر الله سبحانه وتعالى بها عباده ، حيث الإلحاق والحق أخر الخلق بأوله أي تساوى الكل في شمول الموت والفناء لهم فالتحق الآخر بالأول ومن ثم أماد السماء أي حركها ، وفطرها أي شقها وارج الأرض زلزلها .. وارجفها جعلها راجفة أي مرتعدة متزلزلة.. ونسفها قلعها من أصولها ودك بعضها بعضا ، صدمه ودقه حتى يكسره ويسويه بالأرض .[2] ومثل ذلك يتكرر عنده (ع) حيث يورد اللفظ المناسب للحدث، يقول (ع)((وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ وَ السَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ وَ بَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ))[3]، فالصيحة المرة الواحدة من الصوت الشديد [4]، والمراد بها نفخة الصور[5]. ساقها الإمام (ع) في صورة التشبيه المحسوس ، فالصيحة لا تأتي وإنما تسمع . كناية عن هولها وإقبالها ذي الاقدام السريع. وغالبا ما يكثف ذكر تلك المشاهد القائمة على التهويل والتفخيم في مواطن التذكير والحث على التقوى ، والعمل للآخرة عند الإمام (ع) من ذلك،قوله (ع) :((أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَ الْقِوَامُ فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا وَ اعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَؤُلْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ وَ أَوْطَانِ السَّعَةِ وَ مَعَاقِلِ الْحِرْزِ وَ مَنَازِلِ الْعِزِّ فَحَيْثُ يَوْمَئِذٍ تَبْهَرُ الْأَبْصَارَ وَ تُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ وَ تُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ وَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ وَ تَبْكَمُّ كُلُّ لَهْجَةٍ وَ تَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ وَ الصُّمُّ الرَّوَاسِخُ فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رِقْرَاقاً وَ مَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ وَ لَا حَمِيمٌ يَنْفَعُ وَ لَا مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ))[6]. حيث لا يدع ذلك التنوع في الأحداث من شخوص الإبصار إلى استواء الجبال منفذا ينفلت منه الإنسان أو يهرب من ملاقاته، بل يفرض عليه الإنابة والرجوع والاستعداد لتحصيل ما يدفع عنه ذلك المشهد المخيف. وهذا ما توخاه الإمام (ع) بنظم أكثر من نص قرآني يتحدث عن ذلك اليوم، زيادة في الترهيب والتأثير في السامع. ويلحظ في نص آخر اقتران الحديث عن مشاهد القيامة بمظاهر العدل الإلهي ومجازاته الحقة لمخلوقاته ، يقول (ع) : ((إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ وَ حَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ وَ لَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُوهُ وَ بِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُهُ وَ بِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَ قِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ ذَرَّةٌ بِصَرْفٍ فِي

---

[1] - شرح نهج البلاغة :. خ ١٠٨ / ٧ : ١٥٩
[2] -ينظر: شرح نهج البلاغة : خ ١٠٨ / ٧ : ١٦٤ـ١٦٥
[3] - م.ن : خ ١٥٧ / ٩ : ١٦١
[4] -ينظر: التبيان في تفسير القرآن : ٩ / ٣٧٦
[5] -ينظر: شرح نهج البلاغة : خ ١٥٧ / ٩ : ١٦٦
[6] - شرح نهج البلاغة : خ ١٨٨ / ١٠ : ١٣٣

اَلْهَوَاءِ وَ لاَ هَمْسُ قَدَمٍ فِي إِرْلاَلٍ بِحَقِّهِ فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ وَ عَلاَئِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ))[1]، والراجفة((من الراء والجيم والفاء أصل يدل على اضطراب ، يقال رجفت الأرض والقلب ، والبحر رجاف لاضطرابه ، وارجف الناس في الشئ إذا خاضوا فيه واضطربوا))[2] أريد بها الصيحة الأولى وحقت بجلائلها القيامة أي بامورها العظام[3] مهد الإمام (ع) لذكرها وثبات وقوعها ثم انعطف على بيان الجزاء والعدل الذي سيجازي الله به عباده ،لان العدل لا يمكن تحققه إلا بعد ذلك الوقوع ، وكأن الراجفة شرط لوقوع ذلك الجزاء ، فضلا عن ذلك فان التقديم بالحديث عن أحوال القيامة وبهذا الحدث (الرجف) المصحوب بـ(إذا) يلفت انتباه المتلقي ويشده إلى ما الذي يحدث بعد ذلك الوقع .وتارة أخرى تأخذ المفردة في تلك المشاهد مسارا دلاليا له مجاله الخاص ، مثال ذلك يقول (ع) : ((وَ اِعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى اَلصِّرَاطِ [اَلسِّرَاطِ] وَ مَزَالِقِ دَحْضِهِ وَ أَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَ تَارَاتِ أَهْوَالِهِ))[4] فالصراط هنا جاء في موضع الوعيد والتهويل ، حيث الاجتياز في مواضع الزلل والانزلاق[5]،وهو أمر صعب لا يمكن استسهاله لما في ذلك العبور من تزاحم وتدافع (فالصراط) هو ((من صرط على وزن (فعال) يدل على الاشتمال كالرباط والشداد فيشتمل على كل السالكين ولا يضيق بهم فهو واسع رحب))[6] ولا أظن انطباق تلك السعة على ذلك الموضع لما في السياق من قرائن تدل على زلل المارّين عليه من المزالق مواضع الزلل والانزلاق والدحض وهو انقلاب الرجل بغتة فيسقط المار [7]، استرجعه الإمام (ع) أي ذلك التصوير تحذيرا وتنبيها من تلك الأهوال ومشاقها.

ثانيا : أوصاف الدنيا في نهج البلاغة.

---

[1] - شرح نهج البلاغة : خ ٢١٨ / ١١ : ١٨٣
[2] - مقاييس اللغة :. ابن فارس : ٢ / ٤٩١
[3] -ينظر: شرح نهج البلاغة : . خ ٢١٨ / ١١ : ١٨٥
[4] - شرح نهج البلاغة : . خ ٨٢ / ٦ : ٢٠٧
[5] -ينظر: نهج البلاغة: صبحي الصالح: ١٣٠
[6] - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : ٤٥
[7] -ينظر: نهج البلاغة: صبحي الصالح: ١٣٠

الكلمات في هذا المبحث مايخص الدنيا وصفاتها وما يتعلق بأحوالها في نظر الإمام (ع) من خلال تحكيم نظرية القرآن على مسارات ذلك الوصف وأبعاده. إذ لم يخرج القرآن الكريم عن إطار التوازن بين الدنيا والآخرةفتارة تُذم أو يذمها إن كانت لنفسها أو مشغلة عن الآخرة وأخرى تمدح إن كانت ممرا أو سبيلا لنيل الكمالات في الحياة الآخرة . وهذا هو منهج الإسلام ((فالحياة في التصور الإسلامي لا يمكن أن تقوم بنفسها لأنها دار موقوتة وجسر للآخرة ومزرعة لها تثمر الأعمال في الدنيا لتحصد في الآخرة فإذا انقطعت عن الآخرة انقطعت عن غايتها وباتت مجرد تمضية زمن فارغ خال من القصد والمتعة ومقومات الحياة))[1]، استلهم الإمام (ع) تلك المعادلة القرآنية وحكَّمها في رسم حقيقة الدنيا تجاه نفسها أولا وفي مقابل الآخرة ثانيا .فمما يدخل في ضمن الإفادة من الدنيا قوله (ع) :« خُذِ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ »[2] وهو أمرٌ بالقناعة أولاً بما تيسر من الدنيا لمن تمكن منها وقوي عليها وبالإجمال في الطلب لمن لم يتمكن منها ، والأجمل في طلب الدنيا طلبها برفق من الوجه الذي ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي [3] وبذلك يسترجع الإمام ويؤكد حقيقة القرآن إزاء الإفادة من الدنيا ،قال تعالى ((وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا))(القصص:٧٧)وغيرها من الآيات التي تؤكد ذلك المسلك ، علماً إن استعمال صيغة الأمر في قوله (ع) : « خُذْ» تدل على الإطلاق في أخذ مما شرعه الله عز وجل للإنسان في هذه الحياة ، ومن ذلك قوله أيضاً« فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ وَلْيُفُكَّ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِيَ وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْخُلُقِ وَالنَّوْتِ غَاءِ الثَّوَابِ فَإِنَّ فَوْزاً بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ الْكُنُوزِ وَتَرْكُ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ »[4]فشرف مكارم الدنيا ونيل فضائل الآخرة يكمن في تحصيل مواضع المعروف ووضعها في حقها ، وهو فوز في الدنيا ونيل لفضائل الآخرة ، أي« متى حصل للإنسان فوز بها فقد حصل له الشرف »[5] يؤازر ذلك المعنى تنكير لفظة (فوز) للدلالة على المبالغة التكثير [6] في إحراز أثار تلك الصفات أو الخصال التي عُدَّت شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة وهو معنى تقصد توجيه النفس وإخضاعها لطاعة الله وامتثال أوامره من ((إيتاء الأقربين المعروف ، وحسن الضيافة وفك الأسير وإعطاء الفقير والغريم أي الذي له الدين أو عليه وجاهدت النفس في أداء حق الله والصبر على النوائب)) [7]، لتكون النهاية الفوز بالدنيا والآخرة ، ويدخل في ذلك قوله (ع) :« أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَكَنَتْ وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ وَأَخَذُوهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ وَالْمَتْجَرِ الرَّبِحِ أَصَابُوا قَوَارِصَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ غَداً

---

[1] -الإنسان في الأدب الإسلامي، تأصيل وتحليل: محمد عادل الهاشمي: ٤٤٨

[2] ـ شرح نهج البلاغة : حكمه ٤٠١/ ١٩ : ٢٩٣.

[3] ـ ينظر: شرح نهج البلاغة: البحراني: ٥/ ٤٣٧

[4] ـ شرح نهج البلاغة: خ ١٤٣/٩: ٥٩

[5] ـ شرح نهج البلاغة: خ ١٤٣/ ٩ :٦٠

[6] ـ ينظر: معاني النحو : فاضل السامرائي :١/ ٣٧

[7] ـ مفردات ألفاظ القرآن:٦٠٦

فِي آخِرَتِهِمْ لاَ تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ وَ لاَ يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ »[1] ولعل ذلك داخل في مجال الإفادة من الدنيا والتنبيه على ما ينبغي أن يُؤخذ منها فالمتقون هم أكثر فائدة من أهل الدنيا إذ حصلوا من اللّذة في دنياهم على أفضل ما حصل لأهلها من لذّاتهم بها مع زيادة الفوز الأكبر في الآخرة بما وعد فيها المتقون ، لأنهم استعملوها على الوجه الذي ينبغي لهم وقد أمروا باستعمالها عليه[2] وإن كانت المزاوجة بين الدنيا والآخرة جلّية من خلال تبيان الجّزاء المعد للإنسان ما بعد هذه الحياة ، والبون الشاسع بينهما ، يظهر من كلامه (ع) في هذا الوصف الترغيب في الدنيا شريطة سلوك سبيل (المتقين) وما أحرزوه في هذه الحياة .فقد ذكر (ع) أنهم شاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في أخرتهم ، أي أنهم نالوا الحياتين وفازوا بملذات الدنيا والآخرة .

ومن باب أخر يتضح مجال الإفادة من الحياة الدنيا والاستئناس بها من خلال صلاح شأن الآخرة ، وهذا ما يمكن أن نضعه في مجال دلالي أخر أسمه (الترابط) يقول (ع):«وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ »[3] فالشرط هنا مبني على سياق تآلف جملتين[4]هما أمر ألآخرة وأمر الدنيا ، بصلاح أمر الآخرة يتحقق صلاح شأن الدنيا للإنسان وهي رابطة وثيقة تستهدف تبيان القدرة الإلهية في تعالق عالمي الدنيا والآخرة بشكل يؤثر سلباً أو إيجاباً في حالة الانفصال بينهما ،من جانب ، ومن أخر يؤكد الإمام (ع) حقيقة سعادة الدنيا وصلاحها للفرد عند العمل للآخرة والتزود لها ، وهو أمُر يترتب عليه حسن الثواب في الدنيا والآخرة(فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ) { إل عمران : ١٤٨} ، وفي ذلك الباب يدخل قوله أيضاً :«النَّاسُ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ يَخْشَى عَلَى مَنْ يَخْلُفُ الْفَقْرَ وَيَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ فَيُفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنْفَعَةِ غَيْرِهِ وَعَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعاً وَمَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعاً فَأَصْبَحَ وَجِيهاً عِنْدَ اللَّهِ لاَ لَهُ لِلَّهِ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ »[5] فقوله ((فجاءه الذي له من الدنيا هو في معرض المدح . أي المكتوب له في اللوح المحفوظ من رزق ونحوه))[6] قد جاء نتيجة العمل للآخرة فترتب عليه الإكرام في الدنيا ومن ثم إحراز الحظين معاً من خلال العلاقة الوطيدة الرابطة بين الفعل وجزاءه المنعكس على الحياة الدنيا دون الاقتصار على الآخرة . وتسير عملية الترابط بين الدنيا والآخرة باتجاه أخر يتبين أثره في كثير من الآيات الكريمة الدالة تارةً على سعادة الدنيا أو الآخرة ، قد استوحاها الإمام(ع) وصوَّرها في كثير من نصوصه ، منها ما ينعكس على الآخرة كقوله (ع):«وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ »[7] وفيه أشارة إلى ((أن الدنيا محل الاستعداد لتحصيل

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة:رسالة ١٥/٢٧: ١٢٤
[2] ـ ينظر: شرح نهج البلاغة:البحراني :٤٢٣/٤
[3] ـ شرح نهج البلاغة : حكمة ١٩/٨٦: ١٩٣
[4] ـ ينظر: التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر : :د، مالك ألمطلبي :٤٤
[5] ـ شرح نهج البلاغة : حكمة ٢٧٥ / ١٩ : ١٣٠
[6] ـ شرح نهج البلاغة:البحراني :٥ / ٣٨٠
[7] ـ شرح نهج البلاغة : خ ١٥٦ / ٩: ١٥٤

الزاد ليوم المعاد وفيها يحصل كمال النفوس الذي تحرز به سعادة الآخرة))[1]وهي أشرف ما أُعدّ للإنسان إكراماً وتعظيماً له ، حيث السبيل هو الدنيا والانطلاق من خلالها إلى ذلك العالم الرحيب المملوء بالكمالات والملذات اللامتناهية ، عن طريق العمل الجاد والمخلص لتلك الدار ، واللطيف في هذا المواضع استعمال الفعل (تحرز) للدلالة على التجدد والحدوث في الحركة العملية للإنسان في هذه الحياة لنيل الآخرة والسعي لها فالدنيا دار عمل والآخرة دارحساب ومثلُه قوله فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ [تَحُوزُونَ] بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً »[2] فالمقصد هنا يختلف عن السابق من حيث أن التزود من الدنيا كفيل بضمان الحفظ والأمان من عذاب الآخرة . ولعلَّ استعمال فعل الأمر (تزودوا) يوحي ببيان دلالتين الأولى : توخي المآل الذي يصير إليه الإنسان في حالة الخروج عن هذه الحياة بغير زاد ، والثانية ، تصيد فرصة البقاء على قيد الحياة للتزود والإعداد لما بعد هذه الدنيا ، لأنَّ التزود هو اخذ الزاد قال تعالى ((وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى))(البقرة: ١٩٧) [3] لان الحياة في هذا العالم مقدمة وتمهيد للحياة الأخروية الخالدة[4] التي وصفت بالإقامة في قولة(ع) : «وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ»[5] والظعن هو الرحيل [6] و الظعينه الهودج أذا كان فيه المرآة[7] أراد به الإمام التعبير عن حركة الدنيا وعدم ثباتها ، فهي دار رحيل ينتقل منها إلى دارٍ أخرى أُعدّت للإنسان ، لذا جاء الطلب بالتزود منها لما هو مقيم وثابت المكنّى عنها بدار الإقامة . وبذلك يتبين عمق الترابط بين الدنيا والآخرة وتلاحمهما في تبلور أو إحداث الأثر الذي يقوم به الإنسان في الحياة الدنيا ومن ثم تجليه بالشكل الذي يحقق له السعادة أو الشقاء في الدارين ، فالدنيا مزرعةُ الآخرة طريقهما قد يوصل إلى العذاب وقد يوصل إلى المغفرة والرضوان[8] ومع تلك المجالات تأخذ أبعاداً أخرى قد أشار أليها الإمام (ع) منها ما يدخل ضمن مجال (الانتقال) كقوله (ع) :«إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ »[9] المجاز من جاز الشيء يجوزه أذا تعداه[10] أي الاجتياز والتخطي من موضع إلى موضع[11]وصفها الإمام بأنها دار مجاز أي يسلك بها إلى الآخرة سلوكاً اختيارياً كسلوك عباد الله الصالحين إليه واضطرارياً كعبور الكل إلى الآخرة بالموت وأراد هنا

الاضطراري[12] أي لامناص من الانتقال إلى دار القرار أي المستقر لإنها النهاية التي يصير إليها

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة البحراني : ٣ /٢٦١
[2] ـ شرح نهج البلاغة: خ ٢٨ / ٢ : ٧٤
[3] ـ ينظر:مفردات ألفاظ القرآن : ٣٨٦
[4] ـ ينظر: تجلي القرآن في نهج البلاغة : محمد تقي مصباح اليزدي : ٤٨
[5] ـ شرح نهج البلاغة : خ ٨٥ / ٦ : ٢٧٢
[6] ـ ينظر: لسان العرب : ٨ /٢٥٣
[7] ـ مفردات ألفاظ القرآن : ٥٣٥
[8] ـ ينظر:الصورة الفنية في المثل القرآني : محمد حسين الصغير :٣٠١
[9] ـ شرح نهج البلاغة : خ ١٩٦ / ١١: ٥
[10] ـ ينظر:لسان العرب : ٤٨٦/١
[11] ـ ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني : ١٥٠
[12] ـ شرح نهج البلاغة البحراني :٥/٤

الإنسان بعد تخطيه عالم الدنيا . ويأتي تأكيد تلك الحقيقة باستعمال بعض الملفوظات اللغوية كالأداة (أنما) التي تفيد الحصر[1] وقصرها على الدنيا لإثبات حقيقة الدنيا بأنها دار تجوز وانتقال إلى ما يقرُّ فيه الإنسان وينال جزاءه . ومثله قوله (ع) :«أَسِفُوا بِالدُّنْيَا غَرَّتْهُمْ وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ بِعِمَارَتِهَا وَالَّتِي رُغِّبْتُمْ فِيهَا وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا»[2] وهنا تبرز ملامح التحذير والاغترار بالدنيا كحالة أنَّت إلى نسيان الآخرة ومنازلها الواجب تعميرها والسعي لها من خلال الحياة الدنيا لذلك جاء التوجيه بصيغة الأمر (سابقوا) مشفوعاً بالدعاء (رحمكم الله) واستعمال صيغة جمع التكسير (منازل) للترغيب في السعي والتحصيل لتلك الكرامات والنعم في الآخرة (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)(الأعلى:١٧) وبالنظر في صور الدنيا الأخرى نلحظ وحدة مشتركة بين بعض الأوصاف يمكن أن ندخله في حقل دلالي جديد أسمه (المقابلة) وهو ما يقصد فيه إلى رصد الفروق الكلية والجزئية بين الدنيا والآخرة . وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في كثير من آياته ، قال تعالى: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)(الأنعام:٣٢) وقوله تعالى :(وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (العنكبوت:٦٤) . وقال تعالى(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً) { الأحزاب :٢٩} وغيرها من الآيات الكريمة التي توضح حقيقة الآخرة والدنيا . من تلك المشاهد أستلهم الإمام بعض الأوصاف وقابل بين الحياتين لمقاصد دلالية تستهدف المتلقي وتحفز تفكيره صوب ما أختاره الله عز وجل وأراده لهذا المخلوق ، قال (ع) «أَنْبِغْ نَعَمَكَ فِي الدُّنْيَا وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نَعَمِ الْآخِرَةِ »[3] أي أن نعم الدنيا أذا قوبلت بنعم الآخرة في الدوام والكثرة والشرف كانت بالقياس إليها في غاية الحقارة[4] وفي هذا شحذ لذهن المتلقي وتحريك نوازعه النفسية للوقوف على دقائق الحياتين وعوالمهما ، ومن ثم الانطلاق إلى ما تصبو إليه النفس وتسكن إليه من نعمٍ مادية ومعنوية يلتذ بها أولاً ويميل إلى كثرتها ثانياً وهذا ما أودع في الآخرة ، وفي نصٍ أُخر يقول (ع) «لِلدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا وَلَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا »[5] وأراد أنها خُلقت للاستعداد فيها وبها لدرك ثواب الله في الآخرة[6] ومن وجهٍ أخر يلحظ بابٌ المقابلة في ذلك ، فالدنيا لم تخلق لنفسها وإنما طريقٌ أو مقدمة للوصول إلى الآخرة ، في حين خلقت الآخرة لغيرها ولنفسها ، لغيرها أي من سعى في صلاحها أنعكس أثر ذلك الإصلاح على مكان السعي والعمل ، وهو الدار الدنيا ولنفسها هي دار جزاء لابدَّ منها ، ومن ثم فالذي يكون لنفسه ولغيره أجدر بالتوجه والكدح نحوه . وفي سياق أخر تتجلى (المقابلة) بملحظ مغاير ،

---

[1] ينظر : معاني النحو :١ /٣٠٠
[2] ـ شرح نهج البلاغة :خ٢٣٤ /١٣ :٧٥
[3] ـ شرح نهج البلاغة : خ ١٠٨ /٧ : ١٥٢
[4] ـ ينظر: شرح نهج البلاغة البحراني ـ :٥٧/٣
[5] ـ شرح نهج البلاغة : حكمه : ٤٧٢/ ٢٠ : ١٥٣
[6] ـ ينظر: شرح نهج البلاغة البحراني : ٤٦١/٥

يقول (ع) :« وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ »[1] ليبين حقيقة النوع الذي يجب أن يسعى إليه لا تحكيم مقاييس الكثرة الملحوظة بالبصر والمدركة بالحواس في هذه الحياة ، فالمقياس الحقيقي هو ما يدوم أثره ولا تذهب لذته وذلك ما اشتملت عليه الآخرة . ويتواصل الإمام بإثارة انتباه المتلقي من خلال تأكيده حقيقة فناء الدنيا وبقاء الآخرة ، وحتمية الانتقال إلى ذلك العالم الثابت ، يقول (ع) «وَجِئْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ وَتَارِكٍ دَارَ الْبَقَاءِ »[2] فالمقابلة بين (عامر وتارك) و (دار الفناء ودار البقاء) توحي بالتوبيخ والتعجب من غفلة الإنسان عن إدراك حقيقة كل من الدارين من خلال الإعمار المفرط لدار الفناء وهذا ما توحي به صيغة أسم الفاعل الدالة على التجدد والاستمرار في التوجه نحو الدنيا والإقبال عليها بنقيض الترك الشديد والإغفال عن الدار الباقية ، التي تمثل الحياة الحقيقية ، قال تعالى (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (العنكبوت:٦٤)[3] وهذا يمثل نمطاً من التأكيد والاسترجاع لمفاهيم القرآن في تصوير حقيقة الدنيا والآخرة ، تقصده الإمام (ع) لمقتضى يكمن في مقام الحال وقتئذ ومخاطبة الإنسان المطلق وتنبيهه لتلك الحقيقة المغفول عنها . وترتبط مجالات لفظ الدنيا بحقل دلالي أخر يستفاد من سياق الكلام هو (التنافر) يقول (ع)«إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ مُتَنَافِرَتَانِ وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَعَادَاهَا »[4] أي أن الإفراط في حب الدنيا والإخلاد إليها يصرف عن الآخرة والانقطاع إلى ألآخرة يبُعد عن ملذات الدنيا لذلك كان عمل كل واحدٍ من الدارين مضادا لعمل الأخرى[5] أما استعارة لفظ (العدو) لهما على ما بينهما من البعد لطالبهما وظاهر كونهما سبيلين مختلفين ، ومن لوازم ما بينهما من العداوة والاختلاف كون المحب لأحدهما مبغضاً للأخرى[6] . ولعلَّ هذا المعنى هو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى :« مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) (الشورى:٢٠) . ومثله قوله (ع) «مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ »[7] فقد أستعار(ع) لفظي الحلاوة والمرارة للذّة والألم وظاهره أن الآم الدنيا اللازمة عن ترك لذّاتها وعدم الالتذاذ بها طلباً للآخرة وشوقاً إلى ثوابها مستلزمه لحلاوة الآخرة ولذاتها وكذلك الابتهاج للذات الدنيا يستلزم الغفلة عن الآخرة وترك العمل لها وذلك مستلزم لعذابها ومستعقب لشقاوتها[8] . أما سر تقديم مرارة الدنيا على حلاوة الآخرة فدلالته على الاهتمام والعناية بالدنيا كونها البداية في طريق نيل الآخرة والتنعم بملذاتها أو الوقوع في عذابها ، وإذا انتقلنا إلى مجالٍ آخر فسوف نجد الإمام (ع) يستوحي بعض الأوصاف القرآنية

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة : خ ١١٣ / ٧ : ١٩٦
[2] ـ شرح نهج البلاغة: حكمة ١٢١ / ١٨ : ٢٥٢
[3] ـ منة المنان في الدفاع عن القرآن: محمد محمد صادق الصدر : ٢٧٥ ـ ٢٧٦
[4] ـ شرح نهج البلاغة : حكمة ١٠٠ /١٨ :٢٠٩
[5] ـ ينظر : المصدر نفسه : المكان نفسه
[6] ـ المصدر نفسه : البحراني : ٢٩٢/٥ وبلاغة الإمام (ع) في نهج البلاغة :٥٩٤
[7] ـ المصدر نفسه : حكمة ٢٤٨ / ١٩ :٧٥
[8] ـ ينظر: شرح نهج البلاغة البحراني : ٣٦٥/٥

في ذم الدنيا والتنفير منها أذا كانت مشغلة له ومباعدته عن دار الحياة الباقية ، يقول (ع) في صفة الدنيا :«الدُّنْيَا تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ تَعَالَى لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لِأَوْلِيَائِهِ وَلَا عِقَاباً لِأَعْدَائِهِ »[1] فالدنيا تضر أي بمحنتها وتغرُّ بزينتها وتمرَّ أي بفراقها إذ من طبيعتها ذلك . واستعار لها وصف الإمرار لما يستلزمه فراقها من الم الجزع والحزن كالمرارة[2]وهو وصف نُكر ملاصق للدنيا في كثير من الآيات ، قال تعالى : فَ(لا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) (لقمان:٣٣) وقال ((وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)) (آل عمران:١٨٥) . وظف الإمام (ع) تلك الاستعمالات بشكل مكثف من الألفاظ (تغر و تضر وتمر) وبصياغة فعلية تدل على استمرارية تلك الصفات لفعل الدنيا بالإنسان لذا جاء التنفير وتأكيد الحذر منها ، ومثله قوله أيضاً :«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا »[3] حيث استعار للدنيا لفظ تغر المؤمِّل ، ووجهه المشابهة استلزام الكون فيها والاغترار بها ومحبتها والتملك لها الهلاك فيها كاستلزام الغرور بالعدو الداهي الذي لا يحب أحداً ، والركون إليها الهلاك[4]ولا تنفس أي لا تضن الدنيا بمن يباري غيره في اقتنائها وعدّها من نفائسه ولا تحرص عليه بل تهلكه[5] أما المخلد فهو المائل إليها ، قال تعالى :« (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ) {الأعراف :١٧٦}[6] لذلك جاء التأكيد بـ (أن) لان أكثر من يغر بالدنيا هو المؤمل والمائل لها ، ذلك أن المؤمل بعض مطالبها لا يزال يتجدد له أمارات خيالية على مطالب وهمية وإنها ممكنة التحصيل نافعة فتوجب له مدَّ الأمل وقد يخترم من دون بلوغها[7] وتارة يستعمل الإمام (ع) الدنيا في مجال (التحذير) من أحوالها وأهوالها ، يقول (ع):«عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ »[8] فلاّن الدنيا ماضيةٌ على سنن أي على طريقة قرن واحدة لا يختلف حكمها فكما كان من شأنها أن أهلكت القرون الماضية وفعلت بهم وبآثارهم ما فعلت وصيرتهم إلى الأحوال المهولة فكذلك فعلها بكم[9] وذلك تحذير يتوخى الاعتبار بمصائر الأمم السالفة والاتعاظ بفعل الله بهم ، فالدنيا ماضية على سنن ، أي مستمرة على وتيرة واحدة في الهدف والغاية ، فسنّة الله لا تتبدل ولا تتحول (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً) (الأحزاب:٦٢) .وقوله تعالى (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) (فاطر:٤٣) . وفي نصٍ أخر يحثّر عليه السلام من الدنيا بملامح أخرى يقول :« وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا وَ

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة : حكمة ٤٢٢/ ٢٠ :٤٢
[2] ـ ينظر: شرح نهج البلاغة البحراني : ٤٤٣/٥
[3] ـ شرح نهج البلاغة: خ ١٧٩ / ١٠ :٤٩
[4] ـ ينظر:من بلاغة الأمام علي (ع) في نهج البلاغة : ٤٠٠
[5] ـ ينظر: نهج البلاغة : صبحي الصالح :٣٢٣
[6] ـ ينظر:شرح نهج البلاغة : خ ١٧٩ / ١٠ :٤٩
[7] ـ ينظر:شرح نهج البلاغة : البحراني :٣ /٣٧١
[8] ـ شرح نهج البلاغة :خ ٢٣٦ /١٣ :٨٤
[9] ـ ينظر: شرح نهج البلاغة : البحراني : ٤/ ٢٠٧

غَرَّتْ بِزِينَتِهَا »[1]ففي النص جعلت الزينة سبباً للغرور والغرور سبب لاستحسانها وعدم التنبه لمعايبها[2] فضلاً عن أن التحذير توخى معنى أخر من حيث أنها ليست بدار (قلعة) أي ليست بمستوطنة ولاهي (نجعة)أي ليست محطّ الرحال ولا مبلغ الآمال[3] .وهذا ما ينبغي التوجه والالتفات إلى حقيقته . فالمقصد عند الإمام الاعتراض عن الحياة التي لا ثمن لها حياة الماديات والملذات والشهوات والترفع عنها إلى حياة أسمى تليق بكرامة الإنسان وتدفعه نحو الحياة الحقيقة [4]ولما كانت الدنيا عالم متعدد الصفات متنوع الأحوال كان لابدَّ من مسلك للتعامل معها وكشف حقيقتها ، وهذا ما يمكن أن ندخله من ضمن مجال (المعرفة) في ضوء كلام الإمام (ع) : يَقُولُ فِي ذِمِّ الدُّنْيَا يُبَصِّرُكَ اللَّهُ عَوْرَاتِهَا)[5] فالمعرفة منوطة بشرط هو الزهد لكي يتحقق الجواب المتمثل بالبصيرة ، أمَّا لماذا الزهد بالذات ؟ فـ لأنَّ الراغب في الدنيا عاشق لها والعاشق لا يرى عيب معشوقه .. فإذا زهد فيها فقد سخطها وإذا سخطها أ بصر عيوبها مشاهدة لا رواية[6]. ومثله قوله أيضاً :«وَانْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا الصَّادِفِينَ عَنْهَا »[7] وهو أمرٌ لترك الاستغراق في الدنيا والإعراض عنها إلا بمقدار الضرورة إلى ما تقوم به الضرورة [8]وحصيلته معرفة الدنيا وحقيقتها التي رسم الله إطارها للإنسان ، من هنا جاء الالزام بالفعل (أنظروا) والمصدر (نظر) لتبيان نوع النظر المتمثل بنظر الزاهدين ؛ لتلمس حقيقة الدنيا وإدراك كنهها العميق .

أّما سلطة القرآن الأدبية واثرها في متلقيه فهي من الوضوح بمكان ، إذ يستشعُرها من كان له أدنى ذوق في العربية ، مع الفارق في مستويات ذلك التذوق بين متلقٍ وأخر ، ولعلَّ ما يروى عن حال الوليد بن المغيرة يشير صراحة إلى تلمس ذلك الأثر الجمالي القرآني ، يقول:« فماذا أقول فيه؟ فو الله ما منكم رجل أعلم مني بالشعر ولا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجنَّ .والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا. والله إن لقوله حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه وإنه ليحطم ما تحته ، وانه ليعلو وما يعلى قال: أبو جهل : والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه .قال فدعني أفكر فيه فلما فكّر قال : إنّ هذا إلا سحرٌ يؤثر ، أما رأيتموه يفرَّق بين الرجل وأهله ومواليه»[9].

وهو ((قول يعبر عن وعي دقيق بالقرآن ، والا لعد ما قاله مجرد هذيان ، وهذا يعني وجود علاقة معنوية بين فحوى ما سمعه وما كان يمتلكه من ثقافة))[10]وهي ثقافة قائمة على تذوق النصوص وأدراك ملاحظها الجمالية ، ساعد القرآن الكريم فيما بعد على تطوير تلك الذائقة وصقلها بمسالك الفن المختلفة إذ

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة : خ١١٢ /٧ : ١٩٢
[2] ـ ينظر: شرح نهج البلاغة : البحراني : ٣ / ٩٤
[3] ـ ينظر : نهج البلاغة ، صبحي الصالح : ٢١٠
[4] ـ ينظر: الإمام علي (ع) ومدرسة القرآن : نعمة هادي ألساعدي :٣٢٣
[5] ـ شرح نهج البلاغة : حكمة : ٣٩٧ /١٩ :٢٧٨
[6] ـ ينظر:المصدر نفسه : المكان نفسه
[7] ـ شرح نهج البلاغة : خ ١٠٢ / ٧ : ٨٣
[8] ـ ينظر: شرح نهج البلاغة :البحراني ٣/ ١٧
[9] ـ السيرة النبوية : ابن هشام :
[10] ـ قراءة معاصرة في أعجاز القرآن : إبراهيم محمود :١٣٧

« أنه ملأ الحياة العقلية والنشاط الفكري للمسلمين قاطبة»[١] بأساليب مختلفة منها أسلوبه الخاص الذي يصوِّر المعاني للمتلقي ويمثلها لمخيلته عن طريق التوسل بصورة حسيَّة أو بلغة المنظور والشاهد العيني[٢] أو غيرها من الأساليب المعجزة فيه ، التي فرضت حضورها وسلطتها على الأدباء والبلغاء ،ولاسيما أنَّ ((الكتابة لا تحدث بشكل معزول أو فردي ولكنها لتفاعل ممتد لعدد لا يحصى من النصوص المخزونة في باطن المبدع))[٣] لعلَّ أولى هذه النصوص التي تجلّت في كلام الإمام (ع) القرآن الكريم ،إذ اصطبغت لغته بأسلوبها وصورها ، بأسلوب القرآن الكريم ، فكلامه (ع) :« هو أول أساليب الإنشاء الفني في اللغة العربية وأول أسلوب ظهرت فيه أثار دراسة القرآن والاستفادة من قدوته »[٤]نتيجةً لما أختزن عنده (ع) من القرآن الكريم سواءًبالحفظ أو الجمع أو التدو ، كلُّها قادت إلى إنعاكس واضح في نصوصه . إذ إنّ« استيعاب لغة القرآن وعناصرها الجمالية والفنية يحتاج من المتلقي إلى آليات كثيرة ومتنوعة ذاتية وموضوعية و مصابرة طويلة فمن لم يمتزج النص القرآني بلحمه ودمه لن يتمكن من انقياد عناصره المكونة له إليه »[٥] وهي آليات قد توافرت في لغة الإمام (ع) ، أشاد بها أهل الذوق والبيان ، لما تلمسوه فيها من خصائص جمالية . وهي خصائص كما أسلفنا إفرازات للأثر القرآني وما تركه فيها من مسحة جمالية .

ولعلَّ الوقوف على جملة من المسالك يضيء لنا أثر القرآن الفني في نهج البلاغة . فتسمية كلام الإمام (ع) بذلك الاسم (نهج البلاغة) له مدخليه ذوقية واضحة في إدراك قيمته الفنية ، فما هو« إلا دلالة على ميول الشريف الرضي الأدبية واتجاهه البلاغي المتذوق لكلام الإمام (ع) على الرغم أن البلاغة ليست مقصودة ولا متعمدة في كلامه (ع) وإنما هي سليقة الإمام »[٦] فالكلام لم يكن هدفاً له بل وسيله إلى أهدافه[٧] يبتغي من خلاله توضيح ما أراده الله سبحانه وأنبياؤه للإنسان في هذه الحياة وما وراءها ، فضلاً عن وفرة الشُّرَّاح وقراءتهم لهذا الكتاب ينبئ بتصورات أدبية وتاريخية واجتماعية لمشاربهم واختلاف تعاطيهم مع النص ، وفي ذلك كله إحساس ببلاغة هذا الكلام وبلوغه مرتبة عليا بعد الكلام الإلهي والحديث النبوي ، ولو وقفنا عند (محمد عبده) من بين الشرَّاح ، وعرفنا أنه ممن أشتغل بتفسير القرآن الكريم وتدريس أمهات البلاغة (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) فعرف مسالك

البلاغة والجمال في النصوص ،لما وجدنا غير بلاغة الإمام (ع) ونسقها المؤثر في العقول والنفوس جواباً لذلك ((فاشتراك المتلقي الذي يشاهد ويحكم على العمل الفني المبدع الذي يؤلف العمل يحدد الموقف

---

[١] ـ المدارس النحوية : د . خديجةالحديثي: ٥٢
[٢] ـ ينظر:الصورة الفنية في ألتراث النقدي والبلاغي : ٣٢٨
[٣] ـ الخطيئة والتكفير : ١٣
[٤] ـ عبقرية الإمام علي : ١٩٨
[٥] ـ التقابل الجمالي في النص القرآني : حسين جمعة : ١٠٥ ـ ١٠٦
[٦] ـ رؤى الحياة في نهج البلاغة : حسن الصفار : ١١
[٧] ـ ينظر: في رحاب نهج البلاغة : ٣٣ ،٣٤

الجمالي في العمل الفني))[1] وهذا ما أستشعره محمد عبده بتجديده لقيمة نهج البلاغة وتلمسه لمواطن البلاغة القرآنية وآثارها في كلام الإمام (ع) .وإذا عرفنا« أن القراءة تفاعل بين موضوع النص والوعي الفردي»[2] أدركنا أن قيمة ذلك التفاعل المنتج للدلالة مرهون بما يحمله المتلقي من ذلك الوعي ، وهو بلاشك يتفاوت في إدراكه المتلقون ، فبقدر المعرفة اللغوية عند القارئ تتجلى قيمة المنجز ، إمَّا لماذا المعرفة اللغوية(اللغة) فلأنها « أهم العناصر الفنية في النص القرآني ثم أن في أي نص أدبي أبداعي ومن ثم في أي أسلوب لغوي أو بلاغي أو نقدي »[3] فضلاً عن « أن النص القرآني رسالة السنية في حد ذاته»[4] تمظهر بهذا الوجود اللغوي ورُكّب ما فيه على أن يبقى بهذا الخلود تتقصده العقول والأذواق لبلوغ أسراره وإدراك إعجازه ، قال أبن خلدون : « إنّ القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه»[5] وهو رأي مردود فكيف يعقل تساوي الإدراك ، وكان فيهم السائل عن معنى لفظٍ أو سبب نزولٍ أو غير ذلك أي إنّ كلام أبن خلدون « ينافي الطبيعة البشرية لأنه يصدق لو كان الناس كلهم على درجة واحدة من الفهم والذكاء والمعرفة »[6] فهناك من يسأل عن معنى (الاب) في قوله تعالى﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ (عبس:٣١)[7] وهناك من يسأل عن ألفاظ القرآن كاملة كما يروى عن نافع بن الأزرق وأسئلته لابن عباس[8].وغيرها من التساؤلات التي تؤكد التباين في معرفته وإدراك أسراره إذن « لم يكونوا جميعهم على مستوى عقلي واحد فبعضهم قد أتاه الله تعالى قوَّة الاستنباط العقلي دون الأخر وبعضهم تلقوا القرآن من رسول الله (ص) فكانوا أدرى من غيرهم بما حول النص من أسباب النزول ومسائل الحلال والحرام وما إلى ذلك»[9] وهذا ما ينطبق على الإمام (ع)إذ توافرت فيه قوة الاستنباط العقلي ، والتلقي من رسول الله ، الأمر الذي يعني وجود مدركات تأثيرية قرآنية تنطبق على المؤلف الإمام(ع) ، ولها انعكاساتها في التشكل الكلامي عنده ، ومن باب أخر تتضح سلطة النص القرآني الأدبية ، وبخاصة في التجلي النصي عنده (ع) ، قال الجاحظ : « فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة أي قوله (ع) : « قيمة كل أمرئٍ مايُحسنه لموجدناها شافيةً كافيةً ومجزئة مغنية بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية وغير مقصّرة عن الغاية وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه وكأن الله عز وجل قد البسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله))[10]، فقد جمع الله له بين الحلاوة والملاحة والطلاوة والفصاحة لم يسقط منه كلمة ولا بادت

---

[1] ـ علم الجمال وقراءات النص الفني : عفيف البهنسي :١٣٣
[2] ـ المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية : وليم راي :٧٣
[3] ـ التقابل الجمالي في النص القرآني :١٠٧
[4] ـ الفكر العربي والألسنة :٢١
[5] ـ المقدمة : أبن خلدون : ٤٢٠
[6] ـ التفسير والمفسرون في العصر الحديث : عبد القادر محمد صالح :٨٤
[7] ـ ينظر: المستدرك على الصحيحين:٥١٤/٢
[8] ـ ينظر:الإعجاز البياني للقرآن: عائشة عبد الرحمن :٣٠٩ ـ ٥٩٧
[9] ـ تطور تفسير القرآن ، قراءة جديدة :د، محسن عبد الحميد: ٢٤
[10] - البيان والتبيين : ١ / ٨٣

حجة اعجز الناطقين وحاز قصب السبق في السابقين ، ألفاظ يشرق عليها نور النبوة ويحير الإفهام والألباب[1] . تلحظ وبوضوح في كلامه (ع) إذ روعي في اغلبها مقاييس الفصاحة . يقول الدكتور علي الوردي: ((أن هناك عدوى تمس القلب والعقل وتصبغ الآثار الأدبية بصبغة ما يقرأ المرء ويسمع وان تكلف الهرب وحسب نفسه بمنجاة من المحاكاة والتقليد))[2]وتلك الصبغة هي آثار القرآن في أساليب الأوائل بتباين مستوياتهم، كما أسلفنا.وإذا كانت الدراسات الحديثة قد أولت عناية خاصة بالمتلقي ودوره في إحياء النص وكشف جمالياته ، فلعل القرآن الكريم كان سباقا في إرساء ملاحظ تلك العناية ففي اغلب خطاباته يفسح المجال للمتلقي ، ويترك له فضاءًرحبا لتصور المعنى المراد ، ناهيك عن الإشارات المباشرة في التدبر والتعقل والتفكر . هذا ما استوعبه الإمام (ع) مدركا تلك الحقيقة القرآنية وما يتوجب على المتلقي في سلطته على النص ، يقول (ع) لابن عباس في حجاجه مع الخوارج : ((لاَ تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ وَيَقُولُونَ))[3] وهو بذلك يشير إلى تعددية القراءة ((مبرزا تجاوب القرآن مع المعاني المختلفة عند قراءته))[4] وهو ما تذهب إليه الدراسات الحديثة ، وتكرر هذا المعنى أيضا في قوله (ع) : ((هَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانٍ وَلاَ بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ))[5] فمهمة الاستنطاق موكولة بالمتلقي لاستظهار حقائقه بإجرائية التفاعل والتعاطي مع النص ((فهناك دائما في كل نص ظلال أو مساحات أو زوايا قصية عن الإدراك المباشر أو الإدراك عبر اللغة وخارج سلطة السياق غير اللغوي ، وبهذا تكون المعاني أو إنتاج الدلالة لا يخرج عن جدلية النص القارئ))[6]،وهي جدلية قديمة يمكن أن تفهم من قوله (ع) السابق.

فالقارئ هو الذي يحرك النص ويحول صمته إلى تفاعل يتعاطى معه من خلال معرفته باللغة من جانب وبخصائص النص ومقوماته من جانب آخر ،يقول أبو زيد: ((إن في أي نص جانبين ،جانب موضوعي يشير إلى اللغة وهو المشترك الذي يجعل عملية الفهم ممكنة وجانب ذاتي يشير إلى فكر المؤلف ويتجلى في استخدامه الخاص للغة ،وهذان الجانبان يشيران إلى تجربة المؤلف التي يسعى القارئ إلى إعادة بنائها بغية فهم المؤلف أو فهم تجربته ،والقارئ يمكن له أن يبدأ من أي الجانبين شاء مادام كل منهما يؤدي به إلى فهم الآخر))[7] وهذا ما تحصل عنده (ع) بامتلاكه لأدوات اللغة ومعرفته بخصائص النص ودفائنه ، فإلماحه إلى تلك العلاقة بين القارئ والنص بتعبير الناطقية ، يدل وبوضوح على تلك القابلية في الفهم ، يقول رولان بارت : ((إن كل إنسان مخبأ في داخل لغته ويحكم عليه من خارجها مع

---

[1] - ينظر: تذكرة الخواص : السبط بن الجوزي : ٦ / ١٢٨
[2] - اسطورة الادب الرفيع : ٢٠٧
[3] - شرح نهج البلاغة : ك ٧٧ /١٨ : ٥٦
[4] - قراءة معاصرة في إعجاز القرآن : ١٢٣
[5] - شرح نهج البلاغة : خ ١٢٥ / ٨ : ٨٣
[6] - الخطاب الأصولي مقدمة تأسيسية لاستكشاف البنية : ٢٢
[7] - إشكاليات القراءة واليات التأويل : نصر حامد أبو زيد : ٢١
٢- الخطيئة والتكفير : ١٤٤

أول إشارة ينطقها مما يضعه في مكانه الكلي))[٢].والمكان الكلي الذي يمكن أن توضع فيه لغة الإمام (ع) هو التأثر بلغة القرآن وعوالمه الرحيبة ،وهذا ماستفصح عنه الشواهد اللاحقة .

المبحث الثاني..... **آليات قراءة النص القرآني في نهج البلاغة**:

تقوم إجرائية تحليل النصوص على مناهج مختلفة ، تختلف بإختلاف توجهات المنشئ والطريقة التي يعمد إليها في ذلك التحليل ، وصولاً إلى امتلاك فهم لمكونات النص ومن ثم إبراز جماليته ، كي يتحقق المنجز الفني وذلك التعاطي ، ولعل أولى أدوات ذلك الفهم معرفة الآليات التي انطلق منها المؤلف في التعامل مع النص لاسيما اذا كان النص المتعاطى معه يشكل ظاهرة بارزة عند ذلك المؤلف فهنا ينبغي استظهار تلك المنطلقات بين المؤلف والنص .

والظاهرة هنا تكثيف النص القرآني عند الإمام (ع) ، اذ اشتغل (ع) في اغلب نصوصه على آلية مطلقة وغير محددة ، فتراه يحكم النص القرآني لما يستلزم طرحه ، أخلاقيا وعقائدياً ولجتماعياً وكونياً وغيرها ، أي لم يكن يعمل بمنحى واحد لاستجلاء الدلالة القرآنية ، بل يوظف الآية في إطار ينفتح على الله سبحانه والإنسان والكون .

أّما ملاحظ التفسير والتأويل والشرح والذوق ، فتارة تقرا من ظاهر النص القرآني الموظف عنده ، او من وراء النص في بعض الأحيان ، عمد إليها الإمام (ع) لتبيين مشكل أو بيان معنى غائب عن الذهن ، او لترسيخ حقيقة بإعادة تكرارها مرة أخرى وهي في النهاية قراءة يراد بها استجلاء فهم النص وإبراز صورته ، لا القراءة التي تبحث في أوجه القراءات من تغير في اللفظ أو الحركات،لأن مشروع القراءة النصية له القدرة في الكشف عن واقع المتكلم أو براعته في ذلك التوجه الكلامي وخصائص النص وطبيعة لغته ، وتعدد المتلقين وقابليتهم في فهم ذلك الخطاب ، من هنا كان مقصد البحث السير في هذا الاتجاه .

وأولى هذه المقاصد بواعث القراءة وتعددها عند الإمام علي (ع) تجاه القرآن . ولعلها بواعث قد أفرزت نتيجة تصورات خاصة او ملتبسة فرضت حاكميتها على القرآن ، وهو ما يفهم من كلامه (ع) يقول : ((وَ آخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَ لَيْسَ بِهِ فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وَ أَضَالِيلَ مِنْ ضُلاَّلٍ وَ نَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً مِنْ حَبَائِلِ [حِبَالِ] غُرُورٍ وَ قَوْلِ زُورٍ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ [رَأْيِهِ] وَ عَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ))[1] وفي نص آخر يقول(ع):((يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى وَ يَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ))[2] وهو بذلك يشير إلى التفسير بالرأي أو ما يمكن أن يسمى الآن بتعدد القراءات [3]، مصوراً استهجان ذلك المنهج في التعاطي مع القرآن لأنه يعكس حقيقة المستنطق وفهمه للنص لا حقيقة المستنطق .وهو توجه قد نهي عنه في كثير من الأحاديث فعن النبي (ص) انه قال : ((من قال في القران بغير علم فليتبوأ مقعده من النار))[4] و ((من قال في القران برأيه فليتبوأ مقعده من النار))[5].

(١) شرح نهج البلاغة : خ ٨٦ / ٦ : ٢٨٩
(٢) م .ن : خ ١٣٨ / ٩ : ٣٢
(٣) ينظر : تعدد القراءات : محمد تقي مصباح اليزدي :٣١
(٤) سنن الترمذي: ٥ / ١٩٩
(٥) م.ن :المكان نفسه

وهي أقوال ذات سلطة مرجعية مدركة لحقيقة الكتاب وعارفة لآليات كشف أسراره; إذ إنّ مهمتها البيان { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }(النحل:٤٤) لاعلى مستوى الألفاظ وحسب بل بيان كيفية التعاطي مع النص القرآني أيضا وهذا ما اجتره (ع) في نصيه السابقين موضحاً خطل ذلك المسلك.

وللمتشابهات دوافع أيضا عند الإمام (ع) اذ ان عدم فهمها يقود إلى فرضية الاحتمالات قال تعالى:((هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا }[آل عمران :٧] ٠ وهذا يعني((ان جماعة من اهل الزيغ ومبتغي الفتنة يسعون في الاضلال بواسطة الآيات المتشابهة))[١]، يوضح ذلك المعنى قول الامام (ع) ((إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلاً وَصِدْقاً وَكَذِباً وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً وَعَامّاً وَخَاصّاً وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً وَحِفْظاً وَوَهَماً وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[٢]وقال (ع) : ((قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ فَرِيضَتَكُمْ مُبَيِّناً حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ رُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ وَأَمْثَالَهُ وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ وَمُحْكَمَهُ وَمُشَابِهَهُمُ [وَمُتَشَابِهَهُ] مُفَسِّراً جُمَلَهُ [جُمَلَهُ] وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ))[٣] وهو بذلك يشير الى إشكاليتين الأولى : – التقول على النبي (ص)، بما في ذلك المتشابه أي إعطاء قراءة لفهم القرآن أو ما وضحه النبي (ص) بشكل آخر لم يذكره الرسول (ص) ، والثانية : توجيه الناس او تحديد آلية الفهم لكل مسائل الحلال والحرام او الخاص والعام والمحكم والمتشابه أي (الشرعية والعقدية) بالرجوع إلى القرآن الكريم ،فمثلاً المتشابه ،لايمكن وجود آية متشابهة لايمكن معرفة مدلولها الحقيقي بل الآيات التي لم تستقل في مداليلها الحقيقية يمكن معرفة تلك المداليل بوساطة آيات أخرى وهذا معنى إرجاع المتشابه الى المحكم فأن ظاهر قوله تعالى { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }[طه:٥]وقوله {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} (الفجر: ٢٢) يدل على الجسمية وان الله تعالى مادة ولكن لو أرجعناهما إلى قوله تعالى{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }[الشورى١١] علمنا ان الاستواء والمجيء ليس بمعنى الاستقرار في مكان أو الانتقال من مكان إلى مكان آخر [٤] ، ومن ثم فهي تداعيات لها وجهتها التي منحتها ذلك الظهور سواء أكانت اجتهادية ام تبتغي الفتنة في العصر الأول ، كان حصيلتها أنها مثلت تعددية القراءة والفهم للنص القرآني باختلاف قابليات القراء لتحصيل الدلالة من ذلك المنجز القرائي . فهي إذن دلالة ((تحمل خصائص التجربة الذاتية))[٥] لكل من تلقى ذلك النص بالفهم المشار إليه.

ومن ملحظ آخر يتمثل الإمام (ع)مساراً جديداً ينطلق فيه من فسحة النص القرآني وانفتاح آفاقه في التواصل مع المتلقي ، وهذا يعني معرفة تلك الصفة وشيوعها الى مستوى يبلغ النهي عن توظيفها ، يقول (ع) لابن عباس : ((لاَ تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ وَيَقُولُونَ))[٦] .

---

(١) القرآن في الاسلام : محمد حسين الطباطبائي : ٤٣
(٢) شرح نهج البلاغة : خ ٢٠٣ / ١١ : ٣٢
(٣) م . ن : خ١ / ١ : ١٢٦
(٤) ينظر :الميزان في تفسير القرآن : ١٤ /١٣٠
(٥) اللسانيات والدلالة : منذر عياشي : ١٢٣
(٦) شرح نهج البلاغة : ك ٧٧/ ١٨ : ٥٦

فقوله (ع) : ((حمال أوجه . وتقول ويقولون)) إشارة جلية تحمل تعددية القراءة لما يكتنزه النص القرآني من حمولة معرفية في ذلك الملحظ المحاجج فيه مع الخوارج وغيره فهو نص ((ممنهج بالاستخدام الآلهي لمفردات اللغة العربية على مستوى الاصطلاح الدقيق، متنزل على مستوى الحرف))[١]وهو على مثال مرسله [٢] ؛ لذا من الصعب الإمساك بحقيقته ، وحمال بما فيها من دلالة المبالغة ، استطاعت أن تصور ذلك المعنى ، وتبرزه ظاهرة لامسها الإمام (ع) في خطابه لابن عباس .

ولم يقف الحفر على ذلك المعنى عند هذا الحد ; إذ يقول (ع) في موطن آخر ينطلق فيه واصفاً فضاء النص القرآني ووجهات فهمه ((إِنَّ ظَاهِرَهُ أَنِيقٌ وَ بَاطِنَهُ عَمِيقٌ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَ لَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ))[٣]وهو تشكيل يستبطن جمالية القرآن ظاهراً وباطناً من جانب ويلفت الى الابعاد العميقة في النص القرآني من جانب آخر; إذ ورد عن الإمام الباقر (ع) انه قال ((يا جابر ان للقرآن بطناً وللبطن بطن وله ظهر وللظهر ظهر ، يا جابر وليس شيء ابعد من عقول الرجال من تفسير القرآن))[٤]وهي مسألة تعني قابلية القرآن لذلك التكّيف من القراءات فقد كان العلماء الربانيون في العصر الإسلامي الأول يتأملون في معاني القرآن الكريم فيستخرجون استنباطات متنوعة مرتبطة بالنص[٥]بشروط منصوص عليها لاتخرج عن إطار العقل والصواب وبملاحظة هذه التصورات واستقطابها للإمام (ع) للوقوف عندها يمكننا القول، إنّ تشظياتها أفرزت محاولات خاصة عنده (ع) لرصد ما يمكن أن يسبر غوره في إنتاج الدلالة القرآنية ، وبملامح دقيقة يقوم عليها ذلك الإنتاج بدءاً بالتفسير يليه التأويل ومن ثم الشرح والذوق.

---

(١) منهجية القـــرآن المعـــرفية : محمد ابو القاسم حاج حمد : ٩٨
(٢) اللـــسانيـــات والـــدلالـــة : ١٢٦
(٣) شرح نهج البلاغة : خ ١٨ / ١ : ٢٦٦
(٤) بحار الانوار : محمد باقر المجلسي : ج ٩٢ / ٨ .
(٥) تطور تفسير القرآن قراءة جديدة : ١٥٤

أولا: آلية التفســـــير

كشف الإمام (ع) في كثير من نصوصه عن رؤية خاصة في التعامل مع القرآن وكيفية استكناه اسراره ، يقول (ع):((ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَ لَنْ يَنْطِقَ))[١] ويقول(ع)((إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً وَ أَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ))[٢] فالتعبير بالاستنطاق الوارد في كلام أمير المؤمنين (ع) يعبر عن روح المنهج الموضوعي في التفسير القائم على أساس محاورة كتاب الله وطرح المفسر للمشاكل الموضوعية على القرآن بقصد الحصول على الإجابة القرآنية عنها [٣]((وهنا يلتحم القرآن مع الواقع،يلتحم القرآن مع الحياة لأن التفسير يبدأ من الواقع وينتهي إلى القرآن ومهمة التفسير الموضوعي دائماً في كل مرحلة وفي كل عصر أن يحمل كل تراث البشرية الذي عاشه، يحمل أفكار عصره يحمل المقولات التي تعلمها في تجربة البشرية ثم يضعها بين يدي القرآن ومن هنا تتحقق المعاصرة القرآنية وتبقى للقرآن حينئذ قدرته على القيمومة دائماً، قدرته على العطاء المستجد دائماً، قدرته على الإبداع))[٤]أما قوله (ع) يصدق بعضه بعضاً فهو إشارة إلى تفسير القرآن بالقرآن لان ذلك المنهج ((أفضل طريقة في سبيل فهم كتاب الله لان فهم القرآن من داخله أقوى وجوه التفسير الصحيح ، فالقرآن الكريم فيه العام والخاص والمبين والمطلق والمقيد والمنسوخ وغير ذلك))[٥]وهو منهج استحسنه جمع من المفسرين [٦]وسار عليه عدد غير قليل من الباحثين في الإعجاز القرآني[٧]، لرصد دقائق الدلالات في ذلك الارتباط بين آيات القرآن الكريم .

ومن هاتين الرؤيتين (الاستنطاقية والاستنتاجية) يتحصل فهم آخر يعود إلى ما طُبِع به العقل العربي بطابع الانتقال الى التفكير عن طريق المبادئ النظرية والمبادئ العلمية وما يصاحب ذلك من تحول في اللغة العربية من اداة وجدانية ووسيلة بلاغية محفزة إلى لغة قادرة على استيعاب لغة العلم[٨]وإلا كيف يمكن استنطاق القرآن بجميع معارفه او استنتاج منظومة متكاملة في موضع معين من خلال الربط بين آياته مالم تتوفر العقلية المؤهلة لذلك ، فضلاً عن ذلك انها قراءة تشير إلى عدّالنص القرآني نصاً كونياً وروحياً وفكرياً ، أي لم تكن تنظر إليه نظرة فطرية تقوم على مقارنته ببلاغة الشعر الجاهلي .. بل نظرة ثقافة ورؤية فكرية شاملة [٩]يمكن من خلالها استظهار مكامن المعرفة المختلفة ،الهادفة إلى إصلاح بنية المجتمع في ضوء الثقافة القرآنية وبلغة يغلب عليها الوعظ والإرشاد ، يرى ريكور إنّ ((اللغة الدينية لغة شعرية وكلمة شعرية هنا لاتعني نوعاً أدبيا يضاف الى النثر لكنه التوظيف الشامل لكل انواعه بصفته مقراً للإبداع الدلالي لاقتراح عالم ما لإثارة فهم جديد للذات))[١٠]ينطلق منه للتكيف مع العوالم المختلفة في الحياة .

---

(١) شرح نهج البلاغة : خ ١٥٩ / ٩ : ١٦٧
(٢) م. ن خ ١٨ / ١ : ٢٦٦
(٣) التفسير والمفسرون : مجلة قضايا إسلامية: ١٨
(٤) المدرسة القرآنية : محمد باقر الصدر : ٢٢ ، وينظر: التفسير والمفسرون : مجلة قضايا إسلامية: ١٨
(٥) تطور تفسير القـرآن قراءة جديدة : محسن عبد الحميد ،٢٦
(٦) ينظر : تفسير القرآن بالقرآن دراسة دلالية : احمد رسن : ٤- ٦ (أطروحة دكتوراه)
(٧) ينظر الإعجاز البياني في القرآن الكريم : عائشة عبد الرحمن ، وينظر : التعبير القرآني ، ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، فاضل السامرائي
(٨) النظرية العربية دراسة إنتاج وتداول : ناظم عودة : ٧٩ (أطروحة دكتوراه)
(٩) نظرية النص : من بنية المعنى إلى سيمائية الدال : حسين خمري : ١٩٦
(١٠) اللغة والتأويل : ٨٠

واذا كان هذا المنجز المنتج يقوم من إجل معرفة اكبر في النص المقدس، فأنه لايقف عند هذا الحد في منطلقات التعاطي مع القرآن عند الامام (ع)؛ اذ تكشف نصوصه عن مسلك أخر في قراءة حقائق القرآن . وهو مسلك يستند الى مرجعيات معروفة عند النبي (ص) في تعاطيه مع القرآن ، يقول رولان بارت : ((ان القارئ لحظة اقباله على النص لايأتي من فراغ بل يأتي محملاً بروافد ثقافية وأعراف لغوية ووعي بالتاريخ الادبي وبمخزون من النصوص السابقة ،فيتم التفسير او التاويل في اطار يضعه المتلقي بما يملك من فهم سابق او معرفة))[١] وهو فهم يعتمد على تفسير القرآن بالسنة ، يقول (ع) ،مبيناً قيمة الرجوع الى السنة النبوية : ((لَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَتَعَالَى وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ سُبْحَانَهُ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِلَى اللَّهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ وَ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ فِيمَا سُنَّ فِينَا وَ فَرَضَ وَ أَمَرَ فِيهِ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ وَ إِنْ حَكَمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ وَ أَوْلاَهُمْ بِهَا))[٢]. وفي نص آخر يقول (ع) : ((فقد قال الله تعالى لقوم أحبّ إرشادهم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} فالرد الى الله ألاخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول ألاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة))[٣] وفي ذلك إطلاق للأخذ بسنة الرسول (ص) في بيان القرآن وغيره أي سواء في الأحكام الشرعية وهي الغالبة او في الأمور العقائدية شرط موافقتها لكتاب الله ، فقد روي عن الامام الصادق (ع) : ((كل شيء مردودٍ إلى الكتاب والسنة وكل حديث لايوافق كتاب الله فهو مزخرف))[٤].

وهناك مستوى آخر يلمح ظهوره عند الإمام (ع) في فهمه القرآن يعرف باسباب النزول وهي المناسبات التي رافقت النص القرآني ولها أثرها في تفسير النص وتحديد معناه[٥]بفارق في الرؤية والمنهج الذي تجلى فيما بعد في المصنفات التفسيرية اذ وردت الإشارة عنده (ع) الى معرفته المطلقة بتلك الأسباب ، يقول (ع) : ((ما أُنزلت سورة الا وانا اعلم فيمن نزلت واين نزلت ومتى نزلت ..))[٦].

ولعلها معرفة تستفاد من قربه (ع) من النبي (ص) حينما كانت تفد اليه الأعراب وتسأله عن القرآن وأسراره ، إذ كان يسمع مايصدر عن النبي (ص) ويعيه فضلاً عن استعداده الذاتي لتلك الحمولة من المعرفة يقول جاك بيرك : ((إنّ متلقي النص قد يصبح جزءاً من دلالة النص))[٧] بالاندماج فيه مباشرة ، أي أنّ الفهم والنص يصبح كينونة واحدة حيث تتمكن الذات من الإصغاء مباشرة لما يقوله النص [٨]

---

(١) فعالية القراءة واشكالية تحديد المعنى :محمد بن احمد جهلان: ٢٥٣ وينظر: نظريات قراءةالنص : لمياء ياعشن: ١١٩ (بحث)
(٢) شرح نهج البلاغة : خ ١٢٥ /٨ : ٨٣
(٣) م. ن : ك/٥٣ :١٧ :٤٢
(٤) بحار الانوار :٣٥ /١٤٨ .
(٥) دراسة المعنى عند الاصولين :طاهر سليمان حموده: ٥٤
(٦) امالي الشيخ المفيد :٩٨
(٧) القرآن وعلم القراءة : جاك بيرك : ٢٠
(٨) اللغة والتاويل : ٣٢

وهذا لايعني حصر الامام (ع) المعرفة القرآنية بأسباب نزولها ، لانه كان في صدد بيان معرفته بالقرآن ، بل ان الامام (ع) يشير في نصوص اخرى الى حركية القرآن فـ (الاية لاتتجمد في النقطة التي انطلقت منها ونزلت فيها لان اسباب النزول لاتمثل الا المنطلق الذي تحركت الفكرة من خلاله بعيداً عن كل ما يحددها ويقيدها في دائرته)[1]، وللتمثيل يقول (ع) : انه لما انزل الله سبحانه قوله : {أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ }[العنكبوت٢]عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ص بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهَا فَقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي)) [2]وذلك يعني ان للاية مصاديق تنطبق فيما بعد ولاتقف عند سبب نزولها ، وغيرها كثير ، قد تمثلها الامام (ع) لفهم التواصل مع القرآن وادراك معانيه ، يقول (ع) : ((الْإِسْلَامُ نَا قَدْ سُمِعَ وَجَاهٌ يُتَنَا لَا تُدْفَعُ وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ))[3]وذلك يشير الى انطباق المعنى القرآني في الآيتين على اهل البيت (ع) حسب ما افاده (ع) من ذلك وهذا هو المعنى الحركي للقرآن .

ومن المفاهيم الاخرى التي يأخذ منها الامام (ع) مصاديق يطبقها على واقع الحياة قوله تعالى : {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً }[الفرقان٦٤] أي يعبدون الله في لياليهم ، لان العبادة في الليل احمز وابعد من الرياء ويقومون بالصلاة ويسجدون فيها[4] وهم المؤمنون بالله المنفتحون على الالوهية المطلقة في حقيقة التوحيد الخاشعون في احساسهم العميق بعبوديتهم لله سبحانه المتحركون في مشاعرهم وافكارهم في خط الممارسة الواعية الراكعون امام الله فيما يمثله الركوع من انفعال بالخضوع لله ، الساجدون فيما يوحي به السجود من انسحاق الإرادة وذوبانها في جنب الله ، القائمون في استسلام الروح والجسد والقلب والضمير بين يدي الله حيث ينام الناس في غفوة الغفلة واسترخاء الجسد ويبيتون في يقظة منفتحة واعية في سجود خاشع وقيام خاضع لله كرمز للقيام الدائم امامه في حركة الحياة كلها[5]

---

(١) من وحي القرآن وثلاثية الظهور والرواية والعقل : محمد حسين فضل الله : ٦٦ (بحث)
(٢) شرح نهج البلاغة : خ ١٥٧ / ٩ : ١٥٧
(٣) م . ن : ك ٢٨ / ١٥ : ١٣٨
(٤) التبيان في تفسير القرآن : الشيخ الطوسي : ٧ / ٥٠٥ ، وينظر : تفسير الصافي : الفيض الكاشاني : ٢٣/٤
(٥) تفسير من وحي القرآن : محمد حسين فضل الله : ١٧

حيث يقول (ع) : ((لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ص فَمَا أَرَى أَحَداً يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً وَقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَ قِيَاماً))[1] اذ خصص اطلاق الاية باصحاب محمد (ص) فيما يمثلونه من مصداق ينطبق عليهم ، ومثله ايضاً قوله (ع) ((إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا وَ اشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا تَرَكَ النَّاسُ بَعْضَ مَا اشْتَغَلُوا بِعَاجِلِهَا فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ وَ تَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيُتْرَكُهُمْ وَ رَأَوْا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالاً وَ ذِكْرَهُمْ لَهَا فَوَاتاً فَوْتاً أَعْدَاءٌ لِمَا أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ النَّاسُ وَ سِلْمٌ لِمَنْ سَلَّمَ مَا عَادَى النَّاسُ بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ وَ بِهِ عَلِمُوا وَعَلَى بِهِمْ قَامَ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى الْكِتَابُ وَ بِهِ قَامُوا لاَ يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ مَا يَرْجُونَ وَ لاَ مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ))[2] وهو تطبيق مفصل يشير الى صفات الاولياء الذين تحدث عنهم القرآن كثيراً *، عمد الامام فيه الى تبيان المفهوم القرآني (الاولياء) بذلك التطبيق المصداقي لدلالات تطلبها المقام او المتلقي الذي لم يعرف حقيقة الاولياء وصفاتهم.

ومن لطائف التفسير عنده (ع) ما ذكره الرضي في روايته ، قال: (ع) لبعض اليهود حين قال لهم: دَفَنْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ فَقِيلَ فَعَ لَهُ إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لاَ فِيهِ وَ لَكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ ((اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون)) [الأعراف : ١٣٨][3] . علق ابن ابي الحديد على ذلك قائلاً : ((ما احسن قوله ((اختلفنا عنه لافيه)) وذلك لان الاختلاف لم يكن في التوحيد والنبوة بل في فروع خارجة عن ذلك نحو الإمامة والميراث والخلاف في الزكاة هل هية واجبة اوم لا . واليهود لم يختلفوا في ذلك بل في التوحيد الذي هو الاصل ، فاليهود سالوا موسى ان يجعل لهم آلهاً كواحد من الأصنام التي راوها على هياة البقر على الرغم من مشاهدتهم الآيات والاعلام وخلاصهم من رق العبودية وعبرهم البحر ومشاهدة غرق فرعون))[4] والإمام بذلك يعمد الى الدقة في الاستعمال اللغوي (اختلفنا عنه لافيه) لتفسير معنى السؤال ، مدركاً مستوى المخاطب وفهمه . فجاء بذلك التشكل اللغوي ، وهو مدخل مقدم في عمل المفسر .

وقد يعلل التفسير الظواهر البينة ويقوم بشرحها وإيضاحها[5] . وصولاً الى تحقيق جملة من الدلالات يمكن استخراجها من النص . من ذلك مثلاً قوله (ع) : ((ثلاث خصال مرجعها على الناس في كتاب الله البغي والنكث والمكر ، قال تعالى : { فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ }[الفتح١٠]وقال تعالى:{ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ }[فاطر٤٣] وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُم عَلَى أَنفُسِكُم }[يونس٢٣][6] اذ استند (ع) على القرآن في تبيان تلك الخصال مختزلاً إياها بذلك التتبع من البغي إلى النكث إلى المكر ، ذات المرجع السيئ على الناس ، فضلاً عن ان حشده لتلك الصفات وجمعها بهذا التشكل ينبئ بقدرته التفسيرية على الربط بين الآيات في حقول دلالية متشابهة.

---

(١) شرح نهج البلاغة : خ ٧/٩٦ :٥٩
(٢) شرح نهج البلاغة : حكمة ٤٤١ / ٢٠ : ٦٧
* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٩٣٣،
(٣) شرح نهج البلاغة :حكمة :٣٢٣ /١٩ :١٨٤ .
(٤) م.ن
(٥) اطياف الوجه الواحد : نعيم اليافي : ١٠٠
(٦) شرح نهج البلاغة :حكمة :

ومثل ذلك قوله (ع) : ((مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةَ وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ وَمَنْ أُعْطِيَ الِاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ، وقال تعالى في الدعاء { ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }[غافر٦٠] وقال تعالى في الاستغفار : { وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً }[النساء١١٠]وقال تعالى في الشكر : { لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ }[إبراهيم٧] وقال تعالى في التوبة : {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ }[النساء١٧][1]وهنا يستجلي الإمام(ع) تلك المعاني القرآنية بذلك التقابل الجزائي ليستهدف اثارة السامع بتكرير ما ذكره الله سبحانه وتعالى في تلك المواضع ، يقول ابن فارس : ((وسنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر))[2] وغاية الإبلاغ هنا ترسيخ تلك المضامين في ذهن المتلقي لغرض المداومة والاستمرار عليها ، لأنها ترتبط بمصيره وتحدد له مآله الذي سيكون عليه ، سواء بتحصيلها أم بفقدانها.

وفي موضع آخر يعمد الإمام (ع) إلى تفصيل النص القرآني وتفسيره بوضوح لتنبيه المخاطب من مزالق عذاب يوم القيامة ، يقول (ع) : ((كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَدُونَكُمُ الْآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالِاسْتِغْفَارُ قال الله تعالى وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ }[الأنفال٣٣][3] قال الرضي رحمه الله تعالى :((وهذا من محاسن الاستخراج والاستنباط))[4].

قد فسر الإمام (ع) وجود النبي (ص) ودوام الاستغفار بأنهما امانان رفع احداهما وهو(ص) وبقي الآخر هو الاستغفار للإشارة إلى لطف الله عز وجل بالعباد وكرمه بتلك النعمة بعد فقدان النبي(ص) من خلال فضيلة الاستغفار ((فهو دائم الإفاضة على عباده ، قال تعالى : { وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ }[ق٣٥][5].

ومن جانب آخر تثوير درجة الاستغفار وتبيان عظمتها عند المتلقي ، لذلك وسمها (ع) بالأمان الباقي الذي يشغل حيز المكان والزمان مادام الانسان يردد الاستغفار في الحياة الدنيا .

وقد يأتي التفسير في مثال آخر لتوضيح اللبس عند المتلقي بصيغة النهي لتجنب الانقياد وراء ذلك الفهم ، يقول (ع) : ((لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ وَلَكِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ [مُضِلَّاتِ] الْفِتَنِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ { وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ }[الأنفال٢٨][6]

(١) شرح نهج البلاغة : حكمة ١٣١ / ١٨ : ٢٦٦
(٢) ألصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ابن فارس :١٥٨
(٣) شرح نهج البلاغة: حكمة ١٨/٨٥: ١٩٢
(٤) م.ن : المكان نفسه
(٥) منة المنان في الدفاع عن القرآن:محمد محمد صادق الصدر :٣٣٧، ٣٣٨
(٦) شرح نهج البلاغة : حكمة ٩٠ : ١٩٧/١٨

ومعنى ذلك ((إنه سبحانه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبيّن الساخط لرزقه والراضي بقسمه وان كان سبحانه اعلم بهم من أنفسهم ولكن لتظهر الأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب لان بعضهم يحب الذكور ويكره الإناث وبعضهم يحب تثمير المال ويكره انثلام الأحلام))[1].

قال الرضي : وهذا من غريب ماسمع منه في التفسير [2] حاول الإمام (ع) في ذلك لفت الانتباه إلى الفرق بين الفتنة ومضلات الفتن من خلال الاستشهاد القرآني الموضح للمعنى .

وأحيانا يلجأ الإمام (ع) إلى استخلاص دلالة النص القرآني بوساطة تفسيره واستنطاق معانيه، يقول (ع) : ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَ السُّخْطُ وَ إِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا))[3].

وقال (ع) في موضع آخر ((اَلرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِمْ وَ عَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانِ إِثْمُ اَلْعَمَلِ بِهِ وَ إِثْمُ اَلرِّضَا اَلرِّضَى بِهِ))[4] وهو بذلك يستدعي قصة الناقة وعقرها من قوم صالح ، قال تعالى :فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا }[الشمس ١٤]فعامل التعميم الرضا والسخط، والرضا والسخط من الحب والبغض فإذا رضي الانسان بفعل قوم أشرك في عملهم من خير أو شر وعوقب عليه إن كان شراً وأثيب عليه إن كان خيراً وإذا سخط الانسان على قوم لم يلحقه إثمهم[5].أراد الإمام (ع) من ذلك تبيان خطر تقبل الباطل والركون إليه لان العذاب سيعم ويلحق بالجميع وهو تبليغ للمجتمع قبل إن يكون وصية للفرد .

كشف الإمام (ع) فيه تلك الحقيقة من خلال مافعله قوم صالح من رضا لعقر الناقة ، وهو في النهاية انتاج للدلالة التفسيرية المستنبطة من الآية.

---

(١) شرح نهج البلاغة:حكمة ٩٠: ١٨ / ١٩٧
(٢) م.ن : المكان نفسه
(٣) م.ن :خ ١٠/١٩٤ :٢٠١
(٤) م.ن :حكمة ١٤٨ /١٨ :٢٨٩
(٥) سنة التعميم في القرآن الكريم:محمد مهدي الآصفي:١

ثانياً:آليـــــــة التأويل

لآلية التأويل سلطتها البيانية على الإمام (ع) في قراءته النص القرآني فهو مكون يعود إلى جذور معرفية مرتبطة بالنبي (ص) ومرهون بالإمام (ع)، روي عن ابن عباس إن النبي (ص) دعا لعلي ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل))[١] فهو تخصيص له دلالته من جهتين الأولى ، تقييد الإمام (ع) بهذا الدعاء دون غيره ، والثانية منحه علم التأويل ، وهذا يعني إن الإمام (ع) متلقٍ قادر على كشف دلالات النص ومعرفة تأويله .

وللتأويل مستويات يستظهر من خلالها المعنى القرآني بالإجرائية التي يعمل عليها المتلقي في تشقيق المعنى وإظهاره ، فمنها مستوى يعد من أسرار القرآن الكريم والذي لايعلم تأويله إلا الله وهو المستوى الاكثرعمقاً [٢] ،ومستوى لايقوم به إلا الراسخون في العلم وهناك مستوى آخر لاينجزه إلا خواص العلماء [٣] .

أما أمثلتها فيقول (ع) في المستوى الأول : ((وَأَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ فَمَدَحَ اللَّهُ تَرْكَهُمُ التَّعَاطِيَ لِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ))[٤] وهو إشارة الى العجز عن المعرفة المطلقة المختصة بالله سبحانه وحده .

ومن الثاني يقول (ع) : ((أَيْ لَيْسُوا كَالَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا))[٥] ويقول(ع) في وصيته لابنه الحسن (ع) : ((وَ أَنْ أُبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ تَأْوِيلِهِ وَ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَ أَحْكَامِهِ))[٦] وهي إشارات تحمل العلم بالتاويل للامام (ع) وتفسر معنى الراسخين في العلم الذين يعلمون تاويله ، قال تعالى : ((وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ))[آل عمران٧].

وفي الثالث يقول (ع) : ((أَوْ عَلَى إِخْوَانِ الَّذِينَ قَرَءُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَ تَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ وَأَحْيُوا السُّنَّةَ وَ أَمَاتُوا الْبِدْعَةَ دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا وَ وَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ))[٧] اما لأن كتاب الله خطابٌ منفتحُ على جميع الناس بتفاوت مستوياتهم واختلاف اختصاصاتهم ((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ))[الأنعام٥٥] ((وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً))[الأعراف٥٢] ((هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ))[إبراهيم٥٢] و ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ))[النحل٤٤] فبمقدور كل انسان ان يستفيد من القرآن الكريم على قدر قابليته ويستوعب منه على قدر وعائه وتبعاً لما له من مؤهلات { أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا } (الرعد:١٧)[٨].

---

(١) النهاية في غريب الحديث : ابن الأثير : ١ / ٨٠
(٢) نظرية النص من بنية المعنى إلى سيمائية الدال : ١٦٧
(٣) التلقي والتأويل: محمد مفتاح : ١٤١
(٤) شرح نهج البلاغة : خ ٩٠ / ٦ : ٣١٣
(٥) شرح نهج البلاغة : خ ١٤٤ / ٩ : ٦٧
(٦) م. ن : ك ٢١ /١٦ : ٥٣
(٧) م. ن : خ ١٨٣ / ١٠ : ٧٩
(٨) المنهج الترابطي ونظرية التأويل:جواد علي كسار:٢٠٩

فان ذلك لايدخل في التأويل الذي يظهر حقيقة المعنى للآية . وهو مظهر لايمتلكه الجميع . روي عن الامام الصادق (ع) : ((انه قال: كتاب الله عز وجل على اربعة اشياء . العبارة والإشارة واللطائف والحقائق ، فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء))[١]

أما صور التأويل فتتركز في المجاز ((فإذا كان الكلام مجازاً فانه يجب تأويله حتى تتلاءم دلالة تعبيره مع المعقولية))[٢] وهو يقع عادة في الآيات العقائدية المتعلقة بالله سبحانه وتعالى فهناك معان عقيدية ترتبط بالذات الآلهية وبعالم الغيب منزهة عن المادية والحسية لابد من تفهيمها الانسان وذلك التفهيم يقتضي التعبير عنها بالفاظ لغوية ، كصفة الحب والعلم والحياة والسمع والبصر واليد والكرسي والاستواء والغضب والإرادة والمكر والخديعة والكراهية والاسف والسخط والرضا ... الخ وصف الله سبحانه نفسه بها ، والمتلقي حين يتعامل مع تلك الصفات تعاملاً ظاهرياً وفق اللفظ الظاهري فانه يقع في الشرك ويفهمها من خلال فهمه للصفات الانسانية فلا يفرق بين مصاديق تلك الصفات فبعضها حسب دلالتها الحسية تعبر عن صفات انفعالية كما في عالم الانسان النفسي والانفعالي كصفة المكر والخديعة والغضب اما حين يوصف الله بها الخالق العظيم فيجب تنزيهه عن مشابهة الخلق وعن كل قبيح فهو سبحانه وصف نفسه بقوله { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }[الشورى١١][٣]؛ لذا ورد تركيز الامام (ع) على تلك المسائل مشيراً الى تنزيه الله تعالى وعظمته التي لاتدرك بالعقول في كثير من نصوصه ،

وعدت هذه الممارسة الإجرائية عند المحدثين صورة لكشف التجليات الجمالية والفكرية التي يزخر بها النص ،يقول محمد رضا مبارك عن التأويل : ((يولد مع مولد النص وهو فعالية أدبية وفكرية ينهض بها المتلقي القارئ للنص والباحث عن مدلولاته الجمالية وإيحاءاته الفكرية))[٤].

---

(١) بحار الأنوار : ألمجلسي : ٩٢ / ١٠٣
(٢) التلقي والتأويل : ١٤١
(٣) الميزان في تفسير القرآن : ١٨ /٢٤ ، والقرآن في الإسلام : السيد الطبطبائي : ٤٥ والقرآن في مدرسة أهل البيت : هاشم الموسوي : ١١٩
(٤) استقبال النص عند العرب : محمد رضا مبارك : ٢٢٠

وبتفاوت تلك القراءة للنص القرآني ((الذي يجيب عن أسئلة الوجود والأخلاق والمصير))[١]تتبين مقدرة القارئ وميزة فهمه وذوقه عن الآخرين ، سواء إزاء النص القرآني أو غيره ، لان التأويل ((كمفهوم السني يتجاوز الميدان المقدس ليشمل سائر الميادين المعرفية ويعني بإنتاج الدلالة وليس بشرحها))[٢] والإنتاج يتطلب الحضور المعرفي الكامل عند المؤول أو المتلقي وضرورة تحصيل وظائف التأويل كاملة عند تلقيه للنص إذ ((ان لكل قارئ ذوقه ومقاساته وأدواته التي يطبقها على النص مما يجعل اثر تلك النصوص مختلفاً))[٣]والقارئ الذي نحن بصدده هو الإمام (ع) إذ توفرت فيه الأدوات الذوقية المختلفة لمعرفة دلالات النص القرآني يقول الدكتور الذهبي : ((كان الامام (ع) اعلم الصحابة بمواقع التنزيل ومعرفة التاويل)) [٤] بلحاظ تنوع النصوص القرآنية ، وما فيها من مناسبة للنزول او خضوعها لمعان غير مباشرة تفهم من الظاهر.

من ذلك قوله (ع) لقائل قال بحضرته (استغفر الله) ثكلتك امك اتدري ما الاستغفار – وهو مفهوم عام استعمل في القرآن الكريم باشكال صياغية مختلفة وفي ايات متنوعة* دون تحديد نوع الاستغفار في كل ذلك – وضحه الامام (ع) بقوله : ((إِنَّ الِاسْتِغْفَارَ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ وَهُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ أَوَّلُهَا النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى وَالثَّانِي الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً وَالثَّالِثُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ وَالرَّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا وَالْخَامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ وَالسَّادِسُ أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ))[٥]وهو تفصيل يشير الى تاويل الاستغفار القراني ودرجته وانواعه، فمعنى الاستغفار هو معنى رفيع حقيقتة لاتتمثل الا بمكابدة وشروط خاصة ، ودرجته عالية لايسلكها الا العليون وفي رواية اخرى : ((ان الاستغفار درجة النبيين))[٦]وهو مقام عظيم لأنه يرتبط بالله سبحانه وتعالى فهو الغافر وهو الغفور ؛ لذلك فالمتمثل لذلك المقام يجب ان يطلبه بالمقال والفعال فقد قيل الاستغفار باللسان من دون ذلك بالفعال فعل الكذابين ، [٧]وهو ما اراده (ع) بذلك التخصيص ، مؤكداً الرجوع الى الحقيقة العليا التي يكون عليها الاستغفار ، وهذا من معاني التاويل أي ارجاع الكلام وصرفه عن معناه الظاهري الى معنى اخفى منه ماخوذ من آل يؤول اذا رجع وصار اليه [٨]

---

(١) النص القرآني وآفاق الكتابة : ادونيس : ٢٠
(٢) أطياف الوجه الواحد : ١١٨
(٣) إشكاليات التلقي والتأويل في الشعر العربي الحديث : سامح الرواشده : ١٦
(٤) التفسير والمفسرون :٨٩/١
* المعجم المفهرس الألفاظ القرآن الكريم :
(٥) شرح نهج البلاغة : حكمة ٤٢٥ / ٢٠ : ٤٧
(٦) م .ن : حكمة ٤٢٥ / ٢٠ : ٤٧
(٧) مفردات ألفاظ القرآن : ٦٠٩
(٨) مجمع البحرين الطر يحي : ١ / ١٣٣

وتظهر ممارسات تلك الآلية في مسلك آخر عنده (ع)؛ إذ يعمد إلى استظهار المسكوت عنه في النص القرآني على وفق طريقته الخاصة في التعاطي مع النص ، فمثلاً حين يأتي الى قوله تعالى : { وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ [الحج٢٧-٢٨] يبين حقيقة المنافع لان حقيقة المنافع ماهي؟ قد سكتت عنه الآية، لغرض(إعمال العقل وتحريك الفكر))[١] من قبل المتلقي الذي يقرأ النص ويتلمس ماهية تلك المنافع ، يقول (ع) : ((وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ))[٢] وفي ذلك تأويل مناسب للمنافع كون حج البيت واعتماره فيه اطلاق لدلالات التطهير المعنوية ونماء في زيادة الخير وكثرة النعم لان نفي الفقر موجب لذلك ،وباتصال النعمتين المعنوية والمادية يكون الانسان قد حصل على خير الدنيا والآخرة .

ومثله قوله (ع) أيضا: ((وَصَدَقَةٌ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ وَصَدَقَةُ الْعَلاَنِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ))[٣] وهو معنى مستثمر من كثير من النصوص القرآنية التي تحدثت عن الصدقات والإنفاق كقوله تعالى{الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }[البقرة٢٧٤] والصدقات هي بطبيعتها نوع من الإنفاق وعلى مراتب وأنواع مثل صدقة السر وصدقة العلانية ، تقصدهما الامام لغرض الترغيب والإسراع في تنفيذهما قبل حلول الأجل او سوء المصير ، بشكل لايقف عند عصره (ع) لان هذا المعنى له انطباقه في كل وقت .

وقد يتغير مدلول المفردة إذ ينتقل من المعنى المركزي او الحقيقي الى معنى او معان ثانوية قريبة من هذا المعنى المركزي[٤] نتيجة قصدية معينة ارادها المنشئ في نصه ، يقول (ع) : ((نَحْنُ الشِّعَارُ وَالْأَصْحَابُ وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ وَلاَ تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلاَّ مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً))[٥]محولاً الأبواب إلى رموز تحمل ذوات المقصودين بالخطاب ، وكل من لم يأتها سمي سارقاً ، او قد تكون ابواباً مادية تشير الى المداخل الواجب اتيانها من قبل الناس ، وهو معنى استثمره (ع) من قوله تعالى : { وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[البقرة١٨٩]قال ابن ابي الحديد : ((والخزنة والابواب يمكن ان يعني به خزنة العلم وابواب العلم لقول رسول (ص) ((انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد الحكمة فليات الباب)) ثم قال من اتاها من غير ابوابها سمي سارقاً وهذا حق ظاهراً وباطناً اما الظاهر فلان من يتسور البيوت من غير ابوابها هو السارق واما الباطن فلان من طلب العلم من غير استاذ محقق فلم ياته من بابه فهو اشبه شي بالسارق))[٦]

---

(١) استقبال النص عند العـــــرب : ١٥
(٢) شرح نهج البلاغة : خ ١٠٩ / ٧ : ١٧٣
(٣) م . ن : خ ١٠٩ / ٧ : ١٧٣
(٤) علم اللغة : عبد الواحد وافي : ٢٨٨
(٥) شرح نهج البلاغة :خ١٥٣ / ٩ : ١٢٧
(٦) م . ن : : خ١٥٣ / ٩: ١٢٨

وبذلك يكون للتأويل وجه واضح في إرادة المعنى وصرفه إلى الوجه المذكور أي (الباطن) وهو توجه بارز عند الصوفية ونظرتهم إلى النص ، يقول نصر حامد أبو زيد : ((حين يعود العارف للكلام الصورة أو النص يمكن أن يتنوع معه ولكن التنوع في هذه الحالة هو التنوع في الثبات أو لنقل هو إدراك تعدد معاني النص مع إدراك حقيقة الرمزية وما يدل عليه من حقائق وليست هذه الحالة سوى حالة اليقين المعرفي التي يدرك الصوفي فيها ثبات الحقيقة الآلهية مع تغيرها وتنوعها في الصور المختلفة))[١]قد سبقهم الإمام فيه من دون إنكار لحجية الظاهر أن كان يفهم المعنى من خلاله .

ويبقى النص منذوراً لان يقول ولكنه لايقول الا بمشيئة كائن مدرك يطلق الكلام من قيد العلامات ويستخرج المعاني من معجم الألفاظ [٢]ويستطيع أيضا أن يخلق ضد اللغة سياقاً آخر يبعدها عن الاستعمالات المألوفة في مجال التواصل[٣] .

يقول (ع) : ((أَشْهِرُوا عُيُونَكُمْ وَ أَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ وَ اسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ وَ أَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ وَ خُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ لَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }[محمد٧] وقال تعالى : {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ }[الحديد١١][٤] فالخلق الفني هو إنّ الإمام (ع) أوّل معنى النصر وصرفه إلى الانتصار على النفس وشهواتها كي يحرز نصر الله أولا والذي يقرض الله من نفسه يضاعف له وله اجر كريم .

وهو معنى استلهم من النص القرآني وأوّل بهذا المنحى لشرف هذا المسلك وحصول التكامل والدرجات الرفيعة بتحقيقه وهو ((جهاد النفس)) وبذلك يؤسس النص لدلالات متنوعة انفتحت من خلال إمكانية التأويل التي تحفز الذهن القرائي وتستثيره ليداخل النص ويتحاور معه في مصطرع تأملي يكشف القارئ فيه أنّ النص شبكة دلالية متلاحمة من حيث البنية ومنفتحة من حيث إمكانات الدلالة[٥] وفي نص آخر يقف الإمام (ع) عند مفردة (الإيمان) الواردة بشكل كثير في النص القرآني ،وهي حاملة لمعان متعددة ومختلفة باختلاف سياقاتها .

---

(١) فلسفة التأويل دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين ابن عربي : نصر حامد أبو زيد :٢٩٩
(٢) جمالية الألفة ، النص ومتقبله في التراث النقدي : شكري المبخوت : ٥٣
(٣) درجة الصفر للكتابة : رولان بارت : ١٣
(٤) شرح نهج البلاغة : خ١٨٤ / ١٠ : ٩٧
(٥) المشاكلة والاختلاف : عبد الله الغذامي : ٦ وينظر:الأصول المعرفية لنظرية التلقي:ناظم عودة:١٤٤

وتدل على ((مفهومات متغايرة توجهها مستويات التلقي في الزمان والمكان والثقافة))[١]وتضعها في سياقها الاجتماعي المألوف [٢] يقول (ع) مؤولاً دلالات ذلك المفهوم((الإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ عَلَى الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ وَالْعَدْلِ وَالْجِهَادِ))[٣] يقول ابن ابي الحديد : ((من هذا الفصل أخذت الصوفية وأصحاب الطريقة والحقيقة كثيراً من فنونهم في علومهم))[٤] وذلك يعني إنّ تثوير تلك المعاني بتأويل الإيمان هو إشارة لأهل الظاهر لمعرفة الإيمان ومراتبه .

وفي موضع آخر يستنطق الإمام (ع) معنى قرآنياً يقوم على فهم النص ومن ثم تأويله بما ينسجم والنص القرآني ، يقول (ع) : ((لَزُهْدُ كُلُّ نَكَ مَتِينٍ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ }[الحديد٢٣] وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ))[٥]فاستدلال الإمام (ع) من الآية المباركة على انه المراد منها الزهد هو كشف لحقيقة النص ومعناه من خلال إجرائية التأويل فالمتلقي في هذه الحالة فعال وذو صفات متميزة مشارك في صناعة المعنى أو توليده [٦] لا على النحو الذي يتساوى فيه مع الآخرين بل على مثال التفرد في القراءة والاستنتاج فالتكثيف هنا جاء بصيغة المفرد (الزهد) ليشمل كل ما يحيط بالماضي والمستقبل على نحو القبول والقناعة بما قسمه الله سبحانه.

ومثل ذلك قوله (ع) : ((حينما سئل عن قوله تعالى فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً }[النحل٩٧] فَقَالَ هِيَ الْقَنَاعَةُ))[٧]مؤولاً تلك الآية من خلال استنباط المعنى العميق لها والمتمثل عنده (ع) بالقناعة ، لما تحمله تلك المفردة من ظلال نفسية واجتماعية تتناسب مع الحياة الطبية ، ((اذ ان لكل كلمة جوَّاً عاطفياً ينفذ فيها ويكسبها الواناً مؤقتة حسب استعمالاتها التي تكون قيمتها التعبيرية))[٨].

وتظل القراءة التأويلية معتمدة على استغراق القارئ في عالم النص استغراقاً شبه تام ، وبدون هذا الاستغراق تظل القراءة سطحية وتدور في إطار التأويل المكروه [٩]وخير دليل على استغراق الإمام (ع) في النص القرآني . هو تأويله للآيات العقائدية .

---

(١) أطياف الوجه الواحد : ١١٧
(٢) علم اجتماع الأدب : احمد عاطف : ١٠٦
(٣) شرح نهج البلاغة : حكمة ٣١ / ١٨ : ١١٣
(٤) م. ن : حكمة ٣١ / ١٨ : ١١٣
(٥) م. ن : حكمة ٤٤٨ / ٢٠ : ٧٧
(٦) إشكالية التلقي في الشعر العربي الحديث : ٢٢ (رسالة ماجستير)
(٧) شرح نهج البلاغة : حكمة ٢٢٦ / ١٩ : ٥٠
(٨) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : علي زوين : ٩٢
(٩) مفهوم النص: نصر حامد أبو زيد : ٢٣٩

مثال ذلك قوله (ع) : ((أَحَدٌ بِلاَ تَأْوِيلِ عَدَدٍ))[١] أي ان الله احد وان وحدته أحدية لاعددية فالعدد كمية تعرض على المادة وان الشيء الذي ليس بمادة ولاسبيل للمادة إليه لايقبل الكمية وحينما لاتجد الكمية سبيلاً لها إليه فانه لاسبيل للقواعد الرياضية ايضاً اليه [٢]ومثل ذلك كثير في كلامه (ع) كقوله عن تكليم موسى: ((الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيماً وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً بِلاَ جَوَارِحَ وَلاَ أَدَوَاتٍ وَلاَ نُطْقٍ وَلاَ لَهَوَاتٍ))[٣]وهو بذلك (ع) ينفي الكلام عن الله سبحانه ، فكلامه ليس من جنس كلام البشر فهو ليس كمثله شي *.

وبذلك يلحظ انّ الإمام (ع) يقدم قراءة استنطاقية للقران الكريم فيما يتعلق بصفات الله وأفعاله والكرسي والعرش والوجه واليد والنطق وغيرها ، مبرزاً تنزيه الله وتعاليه عن كل ما يمكن ان يخطر على الذهن، يقول (ع) : ((مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ وَلاَ حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ))[٤]ويقول: ((لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً خَلَقَ الْخَلاَئِقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَلاَ مَشُورَةِ مُشِيرٍ وَلاَ مَعُونَةِ مُعِينٍ فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ وَانْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ))[٥] وهو بذلك يضع الملامح الأولى للتعامل مع تلك النصوص القرآنية ويفرز آلية موضوعية واضحة في عصر لم تشكل فيه تلك التساؤلات مسلكاً بارزاً عند متلقي النص القرآني .

---

(١) شرح نهج البلاغة : خ١٥٢ / ٩ : ١١٣

(٢) الحكمة النظرية والعملية في نهج البلاغة : جوادي آملي : ٦٢

(٣) شرح نهج البلاغة : خ ١٨٣ /١٠ : ٧١

*** ينظر : خ ١٥٩ ، خ١٨١ ، خ ٩٠ ، خ ٨٤ ، خ ١٥٤ ، خ ١٦٢ ، خ ٢٠٤ ، خ٢٢٧ ، خ ٢٢٨**

(٤) م.ن : خ ٢٣٢ /١٣ :٥٤

(٥) م.ن :خ١٥٥ /٩ :١٤٠

ثالثاً: آلية الشـــــــــــرح

للمعنى اللغوي دوره في تأصيل المادة والبحث عن معانيها إذ كثيراً ما يتجلى البعد الدلالي للمفردات من خلال معرفة الأصل اللغوي وبيان معانيه فضلاً عن علاقة المشابهة بينه وبين ما استعمل وشاع في الاصطلاح فيما بعد .

ولو طبقنا ذلك على مادة (شرح) لوجدناها تدل على الفتح والبيان من ذلك شرحت الكلام وغيره شرحاً إذا بينته واشتقاقه من تشريح اللحم [١]، ويقال شرح فلان أمره أي أوضحه وشرح مسألة مشكلة بينها وشرحه فتحه وبينه وكشفه ، وكل ما فتح من الجواهر فقد شرح [٢]ومنه شرح الصدر أي بسطه بنور آلهي وسكينة من جهة الله وروح منه قال تعالى : {رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي }(طه :٢٥)، { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ }(الانشراح:١)أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ }(الزمر :٢٢) وشرح المشكل من الكلام بسطه وإظهار ما يخفى من معانيه ، [٣] وقال بعضهم في قوله تعالى : { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ }[الانشراح:١] إنّ شرح الصدر تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقي ما يوحي اليه [٤].

وبذلك تكون تلك المادة ذات دلالتين : الأولى الوضوح والكشف والبيان وهي دلالة ظاهرية يقوم بها الشارح في إزالة غموض الكلام ومن ثم توضيحه ، والثانية ، الفتح والسعة في تحصيل العلوم ، وهي دلالة معنوية يتحصلها الانسان بالمجاهدة والجد والمتابعة .

أما الفرق بينه وبين التفسير فانه لايتحصل دون بيان معاني التفسير قال الراغب: ((التفسير والفسر إظهار المعنى المعقول والتفسير في المبالغة كالفسر والتفسير قد يقال فيما يختص بالموازين وغيرها [٥] وقد ورد في قوله تعالى : { إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً }[الفرقان٣٣] أي وبأحسن تفسيراً مما اتوا به من المثل أي بياناً وكشفاً))[٦]وبذلك المعنى قد يتداخلان فيما بينهما ، الا إنّ ذلك لايمكن البناء عليه ، اذ إنّ القدماء في تآليفهم المتنوعة كانوا دقيقين في رصد أسماء مصنفاتهم فهناك التفاسير وهناك الشروح ، ولكل منهما آليته الخاصة عند صاحبه في التعاطي مع النص.

فضلاً عن ذلك فان آلية التفسير أوسع من طريقة الشرح ، فالشارح يعمد في الأساس لبيان المفردات لغرض تجلي المعنى ، أما المفسر فانه يبحث عن كل ما يتعلق بالنص من (المبنى والمعنى) (الدوافع والمقاصد) ، وشرح المفردات واحد من ذلك ، عمد فيها الإمام (ع) أي آلية الشرح على استيحاء معاني الألفاظ من سياقها لان هذه الآلية تقوم أساسا،

---

(١) مقاييس اللغة : ٣ /٢٦٩
(٢) لسان العرب :٧٢/٧
(٣) مفردات ألفاظ القرآن : ٤٤٩
(٤) إشراق من القران الكريم :محمود الطالقاني :١٦٢/٤
(*) مثلاً تفسير الطبري ، تفسير الكشاف ، تفسير الرازي وغيرها ، وشروح المعلقات ، وشروح الدواوين .
(٥)مفردات ألفاظ القرآن : ٦٣٦
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ الطبرسي : ٤ / ١٦٩

((على السياق الثقافي الإنساني الذي يرتبط به النص))[1] يقول (ع) : ((وَ ر أَهْلَ مَكَّةَ أَلاَّ يَ أْخُذُوا مِنْ سَاكِ نٍ أَجْراً فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ { سَواءِ الْعَ اكِفُ فِيهِ وَالْبادِ و }[الحج:25] اكِفُ الْمُقِيمُ بِهِ وَ الْبَ ادِي الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْ رِ أَهْلِ ه))[2]

وهو شرح منوط بـتأكيد دلالة التسوية في الحج سواء العاكف او المقيم ، إذ لا يعقل ان المخاطب لايعرف معنى العاكف او المقيم بل لعل المقتضى هو التأكيد في إحراز تلك المساواة الدالة على رقي الخصائص العقلية للمجتمع الذي يتعامل بهذا الإطار من السلوك العادل .

يقول الدكتور عبد الواحد وافي: ((وخصائص الأمة العقلية ومميزاتها في الإدراك والوجدان والنزوع ومدى ثقافتها ومستوى تفكيرها ومنهجه ، وتفسيرها لظواهر الكون وفهمها لما وراء الطبيعة .. كل ذلك ومااليه ينبعث كذلك صداه في لغتها))[3]، التي تنفتح على أفق من المعنى ،يتشكل بوساطة تشقيق اللفظ واستظهار ثراء اللغة من خلاله .

يقول (ع) في جوابه لسائل سأله أتعبد مالا تـرى ، قال ، وكيف أعبد مالا أرى، فقال وكيف تراه ، فقال : ((لاَ تُدْرِكُهُ الْعُ يُشَاهَدَةِ بِمُ الْعِ يَ انِ وَ لَكِ نْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِ قِ الْإِيمَانِ))[4] وهو بـذلك يشير الـى معنـى (الرؤيـة) القلبيـة لا البصـرية (فرأى) أصـل يـدل علـى نظـر وإبصـار بعـين أو بصـيرة [5]مثبتـاً تلـك الرؤيـة بأنهـا رؤيـة البصـيرة لاتـدرك بمشاهدة العيان بل يدركها القلب ، آخذاً ذلك التوظيف من معطيات اللغة ومرونتها اذ تتوسع اللغة بالمجاز ويدرك مالايمكن التعبير عنه باللفظ الحقيقي وهو كثير في القرآن إذ يلجا إلى المجاز والاستعارة والإشارات البلاغية لكي يتغلب النص القرآني على قصور اللغة [6].

---

(١) نظرية النص من بنية المعنى إلى سيمائية الدال : ٨٦
(٢) شرح نهج البلاغة : ك ٦٧ /١٨ : ٢٣
(٣) اللغة والمجتمع : ١٤
(٤) شرح نهج البلاغة : خ ١٨٠ / ١٠ : ٥١
(٥) مقاييس اللغة : ٢ /٤٢٧
(٦) البحث الدلالي في تفسير الميزان : مشكور كاظم العوادي : ٣٠٦

تعمده الإمام (ع) في استعماله مستثيراً ذلك المعنى في المتلقي بوساطة نفي الرؤية بالعين وإثباتها بالقلب ، وهو شرح يقوم على النفاذ والدقة في استظهار معنى اللفظ كون الرؤية الحقيقية لاتصدق على الله سبحانه في نظر الإمام (ع) .

وفي نص آخر يعمد الإمام (ع) أيضا إلى هذه الآلية في بيان معاني الآية التي يوظفها في كلامه ، يقول (ع) : ((قال تعالى : { إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ }[النحل ٩٠] فَالْعَدْلُ الإِنْصَافُ وَالإِحْسَانُ التَّفَضُّلُ))[١].

واقفاً عندهما لما فيهما من أمر آلهي منوط بالإنسان ((فالعدل أن تنصف الناس من نفسك وتعاملهم بما تحب أن يعاملوك به ، والإحسان السخاء بما ينفع الناس مالاً كان أو كتاباً وخطاباً))[٢]وهما بذلك يشكلان محورين بارزين لإنتاج التفاعل الجمعي القائم على العدل والتفضل ، استوحاهما الإمام (ع) من القرآن لإعادة تفعيلهما في حركة المجتمع وبتعبير عمد فيه إلى الشرح الموجز المكثف ؛ لان ((التكثيف الدلالي يجعل اللفظة توحي معاني كثيرة في حين لايترك التفصيل شيئاً من الإيحاء للمتلقي وهكذا يحرك التكثيف أو يثير تفكيره وخياله))[٣]

وفي نص أخر يقول (ع): ((فَكَأَنْ قَدْ عَايَنَ مَا يَنْتَظِرُ وَأَتَتْهُ مَنِيَّتُهُ فَانْقَطَعَتْ بِالْمَوْتِ رِئَتُهُ وَعَمِيَتْ عَلَى الْمَوْتِ فِطْنَتُهُ وَاضْطَرَبَتْ لِزِيَارَةِ الْمَوْتِ فِكْرَتُهُ وَتَعَقَّدَ بِالْمَوْتِ لِسَانُهُ وَبُحَّتْ لَهُ أَسْمَاعُهُ وَزَهَقَتْ عِنْدَ الْمَوْتِ نَفْسُهُ وَتَرَادَفَتْ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ وَجَاءَتْهُ مِنَ الْمَوْتِ مَا لَيْسَ عَنْهُ مَذْهَبٌ وَلَا لَهُ مَهْرَبٌ فَغَلَبَ عَلَى الْمَوْتِ سُكُوتُهُ وَأَسْلَمَ فِيهِ لِلْمَوْتِ صَمْتُهُ وَخَمَدَ فِيهِ لِلْمَوْتِ نَفَسُهُ وَهَمَدَ فِيهِ لِلْمَوْتِ جَسَدُهُ وَبَلِيَ فِيهِ لِلْمَوْتِ شَبَابُهُ وَهَرِمَ فِيهِ لِلْمَوْتِ شَبِيبُهُ وَذَبُلَ فِيهِ لِلْمَوْتِ جِسْمُهُ وَتَغَيَّرَ فِيهِ لِلْمَوْتِ لَوْنُهُ وَنَحَلَ فِيهِ لِلْمَوْتِ بَدَنُهُ وَاسْتَكَانَ فِيهِ لِلْمَوْتِ أَيْدِي بَنِيهِ وَأَعْوَانُهُ وَأَنْصَارُهُ وَجِيرَانُهُ وَأَهْلُ الرَّأْيِ مِنْهُ وَالْمَعْرِفَةِ بِهِ فِي دَارِ هَيْعَةٍ وَاسْتِكَانَةٍ وَذِلَّةٍ وَمَسْكَنَةٍ قَدْ حَلَّ بِهِمْ مَا يَعْجِزُ عَنْ وَصْفِهِ الْوَاصِفُ وَيَكِلُّ عَنْ نَعْتِهِ النَّاعِتُ وَلَوْ رَأَيْتَهُمْ وَقَدْ وَقَفُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَعَرَفُوا مَا هُنَالِكَ جُزِيَ الْمُسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ وَالْمُحْسِنُ بِإِحْسَانِهِ وَدِينُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْبَعْثِ فِي مَقَرِّ الْقِيَامَةِ إِلَى الْوِرْدِ الْمَوْرُودِ{ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ }[ق ٢١] سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا))[٤]يبين معنى السائق والشاهد ، وهو ما ذهب إليه الراغب في مفرداته ((وسائق وشهيد أي ملك يسوقه وآخر يشهد عليه وله))[٥]استحضره (ع) من دون الاكتفاء بالآية بل بين المراد من ألفاظها للدلالة على التهويل في المشهد المصور من إقدام الموت وبأسلوب استعار فيه المخالب والدهم للامور .

فضلاً عن السياق إلى الورد المورود ، وبذلك يكون للشرح إضافة دلالية أخرى تكشف من القيمة الإجرائية الخطابية في النص ، وتكشف عن قيمة الدلالة القرآنية.

---

(١) شرح نهج البلاغة: حكمة ٢٢٨ / ١٩ : ٥٣
(٢) في ظلال نهج البلاغة : حكمة ٢٣٠ / ٤: ٣٥٥
(٣) البحث الدلالي في تفسير الميزان : ٢٤٦
(٤) شرح نهج البلاغة : خ ٨٤ / ٦ : ٢٧٠
(٥) مفردات ألفاظ القرآن : ٤٣٦

رابعاً : الـــــــذوق

الذوق لغة : وهو الطعم بالفن واصله فيما يقل تناوله دون مايكثر ، فان ما يكثر منه يقال له الاكل .. ويعبر به عن الاختبار فيقال اذقته كذا فذاق .. أي خبرته فوق ماخبر [١]

استعمل باشتقاقات مختلفة في القرآن الكريم مثل ((ذاقت ، ذاقا ، ذاقوا ، يذوقون ، ذق ، ذوقوا ، اذاقه،اذقناك ، فلنذيقن ، ذائقه ، ذائقون))*لدلالات متنوعة قد يخرج استعماله عن هذا المفهوم الحقيقي أي الاختصاص بالمعلومات الى التعبير المجازي فيدل على ((حسن الذوق الشعري اذا كان صاحبه مطبوعاً عليه))[٢] فيكون عندئذ حاسة او احساساً معنوياً يصدر عنها انبساط النفس او انقباضها لدى النظر في اثر من آثار العاطفة او الفكر حتى انه يقال حسن الذوق للشعر فهامة له خبير ينقده [٣].س

يعد القرآن الكريم في مقدمة النصوص المؤسسة لتلك المرامي الجمالية الصادرة عن الذوق الرفيع في الاختيار والتصوير للمفردات والصور والمشاهد باسرها ، فمنه استلهمت مواطن التذوق الادبي وسير على منوالها فاثره كان واضحاً ((في تربية الذوق الادبي العربي))[٤]وبشكل لايختصر على فئة دون اخرى ، اذ ان من العرب الذين تربوا على تلك البلاغة القرآنية ، الفصيح والكاتب والشاعر والناثر والناقد والمنشئ لاي فن من فنون القول [٥] يترسمون خطى القرآن الكريم وملاحظة الجمالية ، فكان المتولد لديهم تدفق الذوق والاحساس بجمال المفردة ووقعها . وهو تدفق تتباين في ادراكه العقول.

يقول الدكتور عز الدين اسماعيل : ((هناك نوعان من التذوق . الذوق بمعناه العام وهو الذي يختلف بين الناس وتتعدد الأسباب لذلك الاختلاف، والذوق بمعناه الخاص وهو الذوق الجمالي الذي يحكم على الجمال البحت في العمل الفني))[٦]بالاستناد إلى معطيات أخرى يستفاد منها في ذلك الحكم كعلم النفس وعلم الجمال [٧]
لإنتاج القيمة الأدبية في النص لان ((التباين في الصياغة اللغوية هو نتيجة التباين في الإحساس))[٨]والاحساس هو قضية نفسية يفرز مكنوناته لتشكيل تلك الملفوظات الكلامية ذات الاثر في لفت انتباه المتلقي ان كانت صادرة عن حالة ذوقية في ذلك الانفعال والتمثيل اللغوي.

ولعل ما قاله الجاحظ ينطبق على ذلك ((قيل لأعرابي ما بال المراثي أجود أشعاركم . قال لانا نقول وأكبادنا تحترق))[٩] فاختيار المراثي دون غيرها صادر عن ذائقة جمالية فنية لها وجهتها ومقبوليتها المفسرة في جواب الأعرابي (لانا نقول وأكبادنا تحترق).

(١) مفردات ألفاظ القران : ٣٣٢
(٢)أساس البلاغة : الزمخشري :٢٤٧
(٣)المعجم الوسيط :إبراهيم أنيس وآخرون :٧٠
(٤)نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم :١٨٢
(٥)المقدمة :٥٦٥، ٥٧٢
(٦)الأسس الجمالية في النقد العربي القديم:د عز الدين إسماعيل:٨٤
(٧)الموجز في تاريخ البلاغة :محمد رضا مبارك :١٣
(٨)أبحاث في بلاغة القران الكريم :محمد كريم الكواز :١٠٣
(٩) البيان والتبيين :٢ /٣٢٠

فالصدق النفسي والإحساس العميق المتجلي بهذا الغرض الشعري هو الدافع والمحرك للذائقة في اختيار المراثي دون غيرها ولا يقتصر الأمر في التذوق الجمالي على تلك المظاهر وحسب بل ((إنّ معرفة مقامات الكلام لاتدرك إلا

بالـذوق ،فمعرفـة الفصـيح والأفصـح والرشـيق والارشـق والجلـي والأجلـي والعلـي والأعلـى مـن الكـلام لايـدرك إلا بالذوق))[١].

وهي معرفة منوطة بالمتلقي الحاذق لان (فاعلية المرسل إليه في عملية التوصيل الأدبي هي التعرف علي رسم كلمات الرسالة وأشكالها وإدراك معانيها ومن ثم فهمها والوصول الي التذوق اللفظي الفني والجمالي فيها)[٢] ولا تقف تلك الفاعلية عند هذا الحد فيرى بعض الباحثين ((إنّ فاعلية القراءة تقسم على ثلاث مراحل متضامة فيما بينها هي مرحلة التلقي الذوقي الجمالي من خلال التعرف على الأساليب الجميلة المتفردة في التعبير عن الدلالات ،وهذا يستلزم معرفة الدلالات أولا ثم البحث عن جمالية التعبير عنها ،ومرحلة أخرى هي مرحلة التأويل الاسترجاعي وفيها يتم استجلاء المعنى انطلاقا من المبنى أي قراءة الألفاظ والتعابير ثم العودة الي استحصال معانيها ،أّما المرحلة الأخيرة فهي مرحلة الفهم أو القراءة التاريخية التي تصبح الرسالة في ظلها جوابا على سؤال في زمن إنشائها))[٣] وهي بمجموعها تشير إلى أنّ ((المتلقي مدعو لا إلى الاستجابة فقط بل إلى الخلق))[٤]،

الذي يستطيع من خلاله بث إمكانية جديدة من الفهم المتفرد في الإنتاج بعد الاستجابة والقراءة الدقيقة ،إذ لايمكن القول بالخلق الفني في إنتاج المبدع مالم تتضح ملامح الابتكار والجدة في تمثلاته ولا يقال مبدع إلا((لان المبدع وهو يتعامل مع ألفاظه ومعانيه إنما يستخدمها استخداما جديدا مختلفا عن استخدام الآخرين لها))[٥] وهذا ماتوا فر في اسلوب الإمام (ع) ((فقسطه من الذوق الفني او الذوق الجمالي لمما يندر وجوده لدي الكثيرين وذوقه هذا كان المقياس الطبيعي الضابط للطبع الأدبي عنده))[٦] اذ تراه يتفرد باختيار خاص من الألفاظ والتراكيب والصور ،ويمازج بين الفكرة والعاطفة والخيال بنسق عجيب ،الامرالذي انبهر فيه أصحاب الذوق وأمراء البيان ،ولا يبعد ذلك عن الإمام (ع)اذ انه ((كان مسكونا بهاجس جمالي من نوع خاص هو مزيج من فهم القران وتمثله ومن التأثر ببلاغة الرسول (ص) ومن بينهما كانت صور الإمام الآسرة المتفردة بحكمها وأخلاقها وموسيقاها وتجاور حروفها وتناسق ألفاظها وتمازج ألوانها))[٧] فضلا عن ذلك المزيج والتأثر بأسلوب القران الكريم وبلاغة النبي (ص) هو ((ما تأتى له بسليقته الأدبية حيث أخذ من فحولة البداوة ومن تهذيب الحضارة ومن أنماط التفكير الجديد الذي أبدعته المعرفة الدينية والثقافة الإسلامية))[٨].

---

(١) البرهان في علوم القرآن : ١٢٤/٢
(٢) نظرية التوصيل في النقد الأدبي: سحر كاظم حمزة : ٩٢ ، (رسالة ماجستير)
(٣) التلقي والتأويل مدخل نظري :٧
(٤) جدلية الخفاء والتجلي : كمال أبو دبب :٤٣
(٥) سيكولوجية التذوق الفني : مصري عبد الحميد حنورة :٢١٦
(٦)روائع نهج البلاغة: جورج جرداق : ٢٨
(٧) الصورة الفنية في نهج البلاغة : محمد ألبرادعي :١٦٩ .
(٨) عبقرية الإمام علي : ١٩٨

من كل ذلك فضلا عن استعداده الذاتي لحمل تلك القيمة الذوقية تشكل كلامه ع بتطبيقات مختلفة تتضح فيها تلك القيمة ،من ذلك تشكيلة لمفردتي (الخطايا والتقوى)وهما مما أكدهما القران الكريم في كثير من نصوصه* وبين

انعكاساتهما وعاقبتهما في الدنيا والآخرة بصورة فنية قائمة على المجاز لان ((التعبير عن المعاني بالعبارات المجازية ألذ من التعبير عنها بالألفاظ الحقيقية))[1] يقول:((وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَبَاطِلٌ))[2] والسؤال هنا لم استعار للخطايا الخيل وللتقوى المطايا من الإبل ثم قال في الخطايا خلعت وقال في الطاعة أعطوا أزمتها وقال في الخطايا تقحمت بهم النار وقال في الطاعة أوردتهم الجنة ؟ وجوابه إنّ في كل واحد من هذه الأشياء المختلفة معني يوافق ماهو بصدده وما جيء به من اصله فلما كانت المعاصي لاتفعل إلا بمعاناة وكد وإتعاب الخاطر في تحصيلها استعار لها الخيل لما فيه من الشدة وشكاسة الأخلاق بخلاف التقوى فإنها تحصل على سهولة لما يحصل من المراد بالألطاف الخفية من الله تعالى فلهذا استعار المطايا لما فيه من التذلل وسهولة الانقياد ، وإنما قال في الخيل خلعت لجمها إشارة إلى إنّ الفرس مع اللجام لا يامن راكبها التقحم عليه فضلا عن خلع اللجام فان ذلك أيسر وادعى له ،وغرضه بذلك تشبيه أهل المعاصي في الإسراع إلى الخطايا بالخيل إذا خلعت لجمها بخلاف أهل التقوى فأنهم قبضوا وملكوها والإبل ربما ساعدت في الانقباض بغير زمام فضلا عن حالها مع قبض الزمام تكون أطوع لامحالة ، وإنما قال في حق الخيل تقحمت بهم لان التقحم إنما يكون في المكروه وخلاف المراد وقال في المطايا أوردتهم لان الورود أكثر استعماله في المحبوب كما يقال ورد علي الأمير بعادته وعطيته وطابق في هذه الاستعارات كلها الغرض المقصود وجاء في كل شيء بما يليق به وما ذاك إلا لأنه قد جعل على البلاغة أميرا وصار لمعانيها وأسرارها ترجمانا وسفيرا[3] ،لم تصدر منة اللفظة أو الصورة إلا وكانت في محلها الذي وضعت له وهذه إشارة واضحة وجلية تنم عن التذوق الفني والبراعة في الاختيار والتصوير عنده (ع) ،أما لماذا بذلك التصوير فلان أهمية الصورة الفنية ((تتمثل في طريقتها حيث تفرض على المتلقي نوعا من الانتباه واليقظة ذلك أنها تبطئ إيقاع التقائه بالمعنى وتنحرف به إلى إشارات فرعية غير مباشرة لايمكن الوصول إلى المعنى دونها))[4] وفي نصوص أخرى تتضح سمة التشخيص والحركة لاسيما حين يتسع خياله ويمتد مجسما الأفكار ملونا التعابير باثا الحياة في المفردات والتراكيب[5] يقول (ع عن الأموات((وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ لَقَدْ رَجَعَتْ إِلَيْهِمُ الْأَبْصَارُ وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ فَقَالُوا كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ وَخَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ))[6] أي تكلموا معنى لاصورة فأدركت حالهم بالأبصار والأسماع العقلية لاالحسية حيث تكشر الوجوه النواعم النظرة وتخوى الأجسام الرقيقة[7] .

*** ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم :٢٩٨، ٩٢٥، ٩٢٨**

(١) المحصول في علم الأصول : الفخر الرازي :١٥١/١، ١٥٢
(٢) شرح نهج البلاغة :خ ١٦/ ١:٢٥٣
(٣) من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة: ١٤١، ١٤٢
(٤) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي :٣٩٨، ٣٩٩
(٥) ضبط نص نهج البلاغة :صبحي الصالح : ١٢
(٦) شرح نهج البلاغة : خ٢١٦ / ١١: ١١٥
(٧) م .ن :١٢٢

وهو نص يحيل إلى أكثر من إشارة قرآنية ،اخذ منها الإمام أفكاره وصورها بهذا الإخراج المتقن مريدا تحريك السامع وإثارته في التنبيه الي ذلك المصير وهذه هي أساليب القران ((إن دراسة أساليب القران في التأثير والاستمالة

كانت تؤدي بدورها الى فهم الصورة القرآنية على إنها طريقة في الإقناع تتوسل بنوع من الإبانة والتوضيح وتعتمد على لون من الحجاج والجدل وتحرص على إثارة الانفعالات في النفوس على النحو الذي يؤثر في المتلقي ويستميله الي القيم الدينية السامية التي يعبر عنها القران الكريم))[1] ولا يقف التصوير عنده (ع) في مشهد دون آخر إذ ((لم تكد خطبة من خطبة تخلو من وصف دقيق وتحليل نفاذ الى بواطن الأمور صور الحياة فأبدع وشخص الموت فاجزع ورسم لمشاهد الآخرة لوحات كاملات فأراع وارهب ووازن بين طباع الرجال وأخلاق النساء وقدم للمنافقين نماذج شاخصة وللأبرار أنماطا حية ولم يفلت من ريشته المصورة شيطان رجيم يوسوس في صدور الناس ولاملك رحيم يوحي الخير ويلهم الرشاد))[2] من ذلك مثلا يقول (ع) ((ابْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ وَأَقَامَ مِنْهُمْ شَوَاهِدَ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ بِمَا أَنْقَادَتْ لَقُولُ الْعُذْرَةِ بِهِ وَمُسَلَّمَةً لَهُ وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا لِلْهُلَّاعَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ))[3] وهو بذلك يشير إلى مابدعه الخالق سبحانه من عجائب في هذا الكون بما فيها من تعدد وتنوع تدل على إثبات قدرته ولطيف صنعته صاغها الإمام (ع) وصورها بهذا الشكل المتوازن نتيجة تأثره بالقران الكريم وما حكاه عن تلك القدرة اذ((ان من يتتلمذ على القران الكريم ومافيه من دقائق الوصف للحيوانات وغيرها كما في آيات النحل والنمل لايستكثر على علي ان يصف بهذا الوصف))[4] اما استعماله للألفاظ ((فتتجلى رهافة حسه في استعماله الألفاظ الحادة في مواضعها))[5] فطريقته في اختيار اللفظ تقوم على انتقاء الصلب العنيد الذي لا يقوى على تشكيله الا أزميل تحركه يد المثال الذي يتخير لتماثيله صم الجلاميد ليبقي عملا اقوى من الدهر دواما وخلودا))[6] مثال ذلك يقول ع ((وَاعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ يَصُونُونَهُ وَيُفَجِّرُونَهُ يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلَايَةِ وَيَتَلَاقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ))[7] وتفجير العيون هو مما استعمله القران في أكثر من اية قال تعالى (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً)(القمر: ١٢:) وقال تعالى: (فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً)(البقرة: ٦٠:) وقوله تعالى :(عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً) (الإنسان:٦) .

---

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي : ٤٠٤
(٢) نهج البلاغة : صبحي الصالح :١٢
(٣) شرح نهج البلاغة :خ٩/١٦٦: ٢٠٤
(٤) مع الإمام علي (ع) في منهجيته ونهجه : محمد تقي الحكيم :١١٦
(٥)ضبط نص نهج البلاغة : صبحي الصالح: ١٥نقلا عن :كتاب صوت الامام علي :حسن القبانجي.
(٦) صوت الإمام في نهج البلاغة : حسن القبانجي :٤٨
(٧) شرح نهج البلاغة : خ٢٠٧/ ١١ :٥١

اخذ منها الإمام (ع)ووظفّها في سياق مدح عباد الله المستحفظين بتصوير مجازي حيث استعار لفظ التفجير للدلالة على الإفادة والتفريق والتفصيل[1] والعيون للدلالة على معادن العلم واصوله ،وهو مسلك يعد أكثر إثارة ووقعا في السامع ((فمن المركوز في الطبع أنّ الشئ إذا نيل بعد الطلب له او الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه ،كان نيله أحلى وبالمزية أولى فكان موقعه في النفس اجل وألطف))[2].

ولعل ذلك الاستعمال المجازي عند الإمام (ع) يعد قيمة جمالية تضاف الى مكونات الكلام الأخرى عنده ،إذ يغلب توظيفه في كلامه لما في ذلك من اتساع المعنى ولطافة في التعبير ((إنّ الكلام متى خلا من الاستعارة وجرى كله على الحقيقة كان بعيدا من الفصاحة بريا من البلاغة))[٣] يقول: (ع)((فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ وَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ وَأَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ الأَوْجِرَةِ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ))[٤] والصدع هو الشق في الأجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما وعنة استعير صدع الأمر أي فصله قال تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (الحجر:٩٤)

وهذا ماأخذه الإمام (ع) حيث ((استعار له لفظ الصدع بما أمر به من تبليغ الوحي ووجه المشابهة انة شق بما جاء به (الرسالة) عصا الكفر وكلمة أهله وفرق ماتصل من أغشية الجهل على رؤوس الكافرين وحجب الغفلة التي رانت على قلوبهم كما يصدع الحجر بالمعول ونحوه))[٥] .

ويتكرر هذا الامتياح من النص القرآني بذلك التوظيف الجمالي الصادر عن ذوق في الاختيار يقول (ع) في صفات الحق جل جلاله ((أَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ الأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ وَأُلْقِي إِلَيْكُمُ الْعُذْرَةَ وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ))[٦] حيث يشير قوله: (ع) إلى قوله تعالى ((إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)(سبأ: ٤٦) مستعيرا لفظ اليدين للعذاب وكنى بين يديه عن الوقت المتقدم على عذاب الآخرة المشارف له ووجه المشابهة إنّ الإنذار بالمخوف يكون من ذي سطوة وباس شديد فكأنه نزل العذاب الشديد بمنزلة المعذب فاستعار له يدين وجعل الإنذار والتخويف منه متقدما له بين يديه[٧]

وفي نص آخر يقول (ع):((فَذَاقُوا حَلاَوَةَ مَعْرِفَتِهِ وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ))[٨] وهو إحالة إلى قوله تعالى ((يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا))(الانسان: ٥)) حيث استعار الشرب لما هو غير محسوس وهو الحب ((استعار لفظ الذوق لتعقلاتهم واستعار لفظ الشرب بما تمكن في ذواتهم في عشقه وكمال محبته رشح الاستعارة الأولى بذكر الحلاوة والاستعارة الثانية بذكر الكأس الروية إذ من كمال الشرب أن يكون بكاس روية أي من شانها أن تروي وكّنى بها عن كمال معرفتهم بالنسبة إلى غيرهم))[٩] .

---

(١) من بلاغة الإمام علي (ع) في نهج البلاغة :٤٧٨
(٢) أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني :١١٨
(٣) أمالي المرتضى : الشريف المرتضى :٤/١
(٤) شرح نهج البلاغة :خ١٣/٢٢٦ : ٩ وينظر:خ٢٣١ /١٣: ٣٥
(٥) من بلاغة الأمام (ع) في نهج البلاغة :٥٠٢
(٦) شرح نهج البلاغة : خ٦/٨٥: ٢٧٢ وينظر :خ٦/٩٠: ٣٤٠
(٧) ينظر :من بلاغة الإمام علي (ع) في نهج البلاغة :٢٦٧
(٨) شرح نهج البلاغة :خ٦/٩٠: ٣٢٨
(٩) من بلاغة الإمام علي (ع) في نهج البلاغة :٢٨٣

وإذا انتقلنا إلى القصة فسنجد الدقة في الاختيار والتوظيف المناسب للحدث فكثيرا ما يتضح عنده (ع)في عرضة للقصة القرآنية اقتطاع ماياسب الموضوع المراد بيانه وإذا كان ((القران الكريم لايقدم قصصه وصورة ومشاهداته لمجرد ترف ذهني او إشباع حاجة المؤمنين للقصص والصور والمشاهدات بل يجئ بمعطياته التاريخية تلك من

اجل أن يحرك الانسان صوب الأهداف التي رسمها))[1] فان الإمام (ع) قد راعى ذلك فلم يعرض قصص الأنبياء الا وكان هدفه العبرة والموعظة والتنبيه الي سنن تلك الرسالات الإلهية في الأرض.

أما ملامح الذوق في الاختيار فيلحظ في التكثيف ألاستعمالي لقصص الأنبياء بتباين في الذكر اذ أورد مايتعلق بالنبي محمد (ص) أكثر من غيرة يليه النبي ادم (ع) ومن ثم موسي (ع) فإبراهيم (ع) فداوود وسليمان واسحق وإسماعيل وعيسي عليهم السلام بشكل متساوٍ، ولكل من ذلك الذكر المتباين مقاصده الدلالية التي يوضحها السياق وهي في اغلبها تستهدف الانسان وبيان ماارادة الله سبحانه له باطارالوعظ والإرشاد .

أما أهم الملاحظ الأسلوبية القائمة على ذلك الذوق اعتماد التصوير الفني المصحوب بحشد موسيقي مؤثر يستميل السامع ويؤثر فيه فضلا عن إجرائية الحوار والإطناب في سرد بعض القصص مع الإيجاز في موارد اخري بشكل ((تتفاعل فيه الخصائص الإيمانية والفنية وتلتحم في النص كله مما ينتج صورة واضحة للجمال الفني))[2] وهو التحام لايقف عند سرد القصة ومافيها من موعظة بل يتعدي ذلك ويبرز الانسجام الكامل بين الصورة والفكرة في اغلب نصوصه فإذا كان ((مع الرغبة يكون المدح والشكر ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيم ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع))[3]

فتوظيف الإمام (ع) وتذوقه للنص ألقراني جعله يوفق بين اختيار الفظة او الآية القرآنية مباشرة او غير مباشرة مكية او مدنية في موضع تحذير او بيان عقيدة او تحديد تشريع ومن ثم وضعها في مكانها المناسب لها دون ان يلحظ ادني تفاوت بين الاستعمال ألقراني والنص الموظف عنده (ع) .

---

(١) التفسير الإسلامي للتاريخ :د عماد الدين خليل :٨
(٢) من بلاغة الإمام علي في نهـــــج البلاغة : ٤٩
(٣) العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده : ابن رشيق القيرواني :١ /١٢٠

مدخل

الموسيقى في نهج البلاغة

لعلَّ ملحظ التصويت أو النغم منزعٌ متنوعٌ يشترك فيه الإنسان والحيوان . يقول الفارابي((إنَّ في طباع الحيوانات والانسان إذا طربت أن تصوت نحواً من التصويت والانسان إذا لحقه أسف أو رهبة أو غضب أو غير ذلك من الانفعالات صوَّت انحاءً من الأصوات مختلفة))[١] وهذا يعني إن تصويت الإنسان أو ما يصدر منه من صدى موسيقي يرتبط بحالته النفسية ويتكيف معها اذ ((أن الصوت الحسن يسري في الحسم ويجري في العروق فيصفوا له الدم ويرتاح له القلب وتهش له النفس وتهتز الجوارح وتخف الحركات))[٢] بل قد يصل تأثير ذلك النغم إلى الحد الذي تستلذ به الروح ،يقول الغزالي((ووجه استلذاذ الروح النغمات إن العالم الروحاني مجمع الحسن والجمال ووجود التناسب في الأكوان مستحسن قولا وفعلا ووجود التناسب في الهياكل والصور ميراث الروحانية فمتى سمع الروح النغمات اللذيذة والألحان المتناسبة تأثر به))[٣]لهذا ناسبت النفس مناسبات الألحان والتَّذت بسماعها ((فنحن لانتا ثر بهذه الموسيقى إلا لأنها تهيئ لنا حالة من الاندماج مع مظاهر التناسق والإيقاع في هذا العالم الخارجي والمنطبعة في نفوسنا في الوقت نفسه على نحو او آخر))[٤]

فالإطار هو إذن تجاوب النفس وميلها إلى النغم الذي يواكب اختلاف المشاعر وتنوعها. ولا يقف هذا عند نفس دون آخر ، أي لايمكن القطع بما قاله مالك بن بني :((النفس البدوية طروبٌ في جوهرها وجميع مطامحها وانفعالاتها واندفاعاتها انما تتجلى في تعبير موسيقي موزون))[٥]او احد الباحثين في ان السبب الكامن وراء النغم الموسيقي عند العرب هو قساوة الصحراء وشدتها فكانت الموسيقى هي الملجأ الذي يخفف عنهم عبء تلك القساوة [٦] بل الانشداد الفطري المودع في النفس نحو هذا الجانب امر موجود عند الجميع ، بفارق التكثيف والاستعمال في بيئةٍ دون أخرى . فظاهرة الموسيقى في اللغة العربية تعزى في اغلب عناصرها الى تلك الأمية حين كان الأدب أدب الإذن لا أدب العين وحين اعتمد القوم على مسامعهم في الحكم على النص اللغوي اكتسبت تلك الأذان المران والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة وأصبحت مرهفة تستريح إلى كلام لحسن وقعه او إيقاعه وتأبى آخر لنبوه[٧].

---

(١) الموسيقى الكبير : الفارابي : ٦٤
(٢) العقد الفريد : ابن عبد ربه الأندلسي: ٦/٦
(٣) إحياء علوم الدين : الغزالي : ١٥٩/٥وينظر الموسيقى والغناء عند العرب من الجاهلية إلى نهاية القرن العشرين خازن عبود :٨
(٤) التفسير النفسي للأدب : عز الدين إسماعيل :٦٤
(٥) الظاهرة القرآنية : مالك بن بني : ١٨٩
(٦) ينظر :من سمات الأداء في ثقافة العرب الاولين : بلقا سم بلعرج بن احمد :١٦
(٧) ينظر :دلالة الألفاظ : إبراهيم أنيس :١٩٥

إذن فالشفاهية والاعتماد على السماع كان له دوره في الاستئناس والتذوق عند العرب حتى عدت خاصية الذوق ملكة تحصل بالممارسة والاعتياد والتكرر لكلام العرب[١].

أما شواهد ذلك الوقع الموسيقي وأثره في المتلقي مارواه الجاحظ عن ماسرجويه ((وقد بكي ماسرجويه من قراءة ابي الخوخ فقيل له كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به قال إنما أبكاني الشجا))[٢] .

فضلاً عن ذلك قد ورد انَّ هناك أقواما ابتدعوا أصوات الغناء المصحوبة بالتطريب عند قراءتهم للقرآن من ذلك أنهم وضعوا بعض المدود في غير مواضعها وزادوها في أماكن لايجيزها الأئمة .[٣] لا لشيئ سوى ان هذه التشكلات الإيقاعية تنقل العاطفة إلى المتلقي .. فإذا سمعها الآخرون أخذت قلوبهم تخفق على هذا الإيقاع عينه [٤]اذ إن تتابع المقاطع على نحو خاص يهيئ السامع لاستقباله((فتتابع المقاطع على نحو خاص سواء أكانت هذه المقاطع اصواتا اوصورا للحركات الكلامية يهيئ الذهن لتقبل تتابع جديد من هذا النمط دون غيره)) [٥] وهذا ما ماراعاه الأسلوب القرآني في خطابه اذ ((جعل من الموسيقى الصوتية أداة من أدوات التأثير في وجدان العربي ابتغاء لفته إلى تلك الطاقات الجديدة التي بلغت ذروة الفنية المعجزة))[٦]وبتفاوت مقاصد الآي وحال المخاطب ، يتغير الإيقاع الموسيقي ((فالإيقاع يجري في اغلب السور المكية قصير الموجة سريع النبض متدفق الحركة متوازناً او شبه متوازن والفواصل تتسم غالباً بالتوافق في الإيقاع لتماثلها في الوزن او الوزن وحروف الروي ومالى ذلك من خصائص موسيقية ميَّزتها من السور المدنية بعامة ،وهذا ما جعل موسيقى هذه السور أكثر تأثيراً واستجاشة للمشاعر والوجدان التي هي جانب هام من جانبي تلقي وقبول مفاهيم القرآن))[٧]

وأما الآيات المدنية فقد وصفت بطول الآية عن نظائرها وهدوء جرسها وإيقاعها ونفسها المديد الذي يزيد البيان القرآني وضوحا وجلاء [٨] بشكل تميز بسلاسة العبارة واستساغتها وخلوَّها من القسوة والشدة اذ ان حاجة المخاطبين بعد قيام الدولة الإسلامية إلى تنظيم وتقرير الأحكام وتفصيلها استدعى كل ذلك [٩]

---

(١) ينظر:المقدمة : ابن خلدون ـ٥٨٢
(٢) الحيوان : الجاحظ :١٩١/٤
(٣) ينظر:عبقرية اللغة العربية : عمر فروخ :١٠٧
(٤) ينظر:مسائل في فلسفة الفن المعاصر : ١٦٨
(٥) مبادئ النقد الأدبي : رتشاردز : ترجمة مصطفى ألبدري :١٨٨
(٦) دراسات في القرآن : السيد احمد خليل : ٦٩
(٧) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن : كاصد ياسر الزيدي : ٣٦٤ بحث
(٨) ينظر:الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم : نذير حمدان : ١٥١
(٩) ينظر:لغة القرآن الكريم : عبد الجليل إبراهيم : ٢٩١

كلّ ذلك صور بأسلوب جميل جمع بين موسيقى الشعر حيث نغمة الوزن والاهتزاز النفسي وموسيقى النثر حيث الإيقاع العميق الذي يحدثه دقة التوزيع وحسنه بين الحروف ذاتها والكلمة والعبارة والآية والسورة وموسيقى الحس حيث مشاركة الحواس لاهتزازات النفس وقوة إرهافها لتموجات الموسيقى آياً كان مصدرها او موسيقى الروح حيث النشوة الهادئة النابعة من مجموع أنواع الموسيقى [١]ليمثل في النهاية صورة من معانيه المعجزة التي تأخذ أثرها ووقعها في السامع المخاطب بذلك اللون المحرك للعواطف والأحاسيس.

ومن وحي ذلك التطريب في اللغة العربية اللغة الشاعرة القائمة –على فن منظوم منسَّق الأوزان والأصوات لاينفصل عن الشعر ولو لم يكن من كلام الشعراء [٢] حتى انك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن مستفعلن كثيرا ومستفعلنً مفاعلن وليس احد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعرا[٣] ومن موسيقى القرآن المكّملة لنماذج موسيقية حية في تراكيب خالدة للغة العرب[٤]والمؤثرة في نفسية الجاهلي ووجدانه [٥]لما لذلك من تأثير كبير على السمع ووقع مؤثر في النفس [٦] تمثل الإمام (ع) نصوصه من خطب ورسائل وحكم بشكل تتجلى الموسيقى ذات الوقع المناسب للحدث المصور جلية وواضحة فقول محمد عبده في مقدمته يظهر نمطاً من ذلك التشكل الإيقاعي المهيمن على نصوص النهج يقول ((فكان يخيل الـ ي في كل مقام ان حروباً شّبت وغارات شنت، وان للبلاغة دولة وللفصاحة صولة وان للأوهام عرامة وللريب دعارة وان جحافل الخطابة وكتائب الذّرابة في عقود النظام وصفوف الانتظام تنافح بالصفيح الأبلج والقويم الاملج .. بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد وتحول المعاهد فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية في حلل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية وتدنو من القلوب الصافية ..وطوراً كانت تتكشف لي الجمل عن وجوهٍ باسرة وأنياب كاشره وأرواح في أشباح النمور ومخالب النسور قد تحفزت للوثاب ثم انقضت للاختلاب)) [٧].

في ذلك وغيره يلحظ بوضوح موسيقية النص ونغمها المؤثر ((فسجع الإمام آيات تردُ النغم على النغم ردَّاً جميلا وتذيب الوقع في الوقع على قرارات لا اوزن منها على السمع ولااحب ترجيعاً))[٨].

---

(١) ينظر :الإعجاز الفني في القرآن : عمر ألسلامي :٢٢٢
(٢) ينظر :اللغة الشاعرة : عباس محمود العقاد :٨
(٣) ينظر :البيان والتبيين : الجاحظ :١ ـ٢٨٨ـ٢٨٩
(٤) ينظر :الإعجاز الفني في القرآن : ٢٢٢
(٥) ينظر :الجرس والإيقاع في تعبير القرآن : ٣٢٩
(٦) ينظر :التعبير القرآني : فاضل السا مرائي : ١٩٥
(٧) نهج البلاغة : محمد عبده : ٧ـ ٨
(٨) روائع نهج البلاغة : جورج جرداق : ٢٩

ومن شواهد ذلك قوله (ع) ((يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ الْفَلَوَاتِ وَ مَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ وَ اخْتِلَافَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ وَ تَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ))[1] فالجمل متناسبة ومتساوية ينعكس وقعها الموسيقي على الاذن اول استماعها ، وهذه ميزة عامة في كلامه (ع) اذ يستعمل الجمل القصيرة او الطويلة او المتوسطة حسب ما يتطلبه المقام ،ولتوضيح ذلك مثلاً قوله (ع) ((إِنِّي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ وَ أَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ وَنُسَّاكاً بِلَا صَلَاحٍ وَ تُجَّاراً بِلَا أَرْبَاحٍ أَيْقَاظاً نُوَّماً وَ شُهُوداً غُيَّباً وَ نَاظِرَةً عَمْيَاءَ وَ سَامِعَةً صَمَّاءَ وَ نَاطِقَةً بَكْمَاءَ))[2] وهو في معرض التقريع والتأنيب لأصحابه .

لذا كان المناسب لها هو قصر الفواصل وانسجامها لتحدث أثرها السريع في المتلقي قال العلوي : ((كلما قلت الألفاظ كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع))[3] .

في حين تراه في الخطب القائمة على الاستدلال واثبات الحجة يباعد بين الفواصل ونسقها الموسيقي لما يتطلبه الموضوع من توضيح وابانة . يقول (ع) : ((فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ وَ تَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ بِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ لَمْ يَقْدُرْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ وَ لَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ يَقِينُ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ))[4] فالتوازي بين(خلقك وحكمتك ومعرفتك ولك) يدل على التناسق الموسيقي وحسن الاختيار لما يقف عليه من فواصل وهي في النهاية تشير إلى التفصيل الذي تطلبه الموقف ، وإذا انتقلنا الى مشاهد القيامة وانقلاباتها والعذاب الحاصل فيها ، وحقيقة الموت وفضاعته ، تلمسنا إيقاعا منسجماً وتلك الأحداث ، صيغ بقوالب لفظية هدفها ((تثبيت تلك البنية في ذهن القارئ او المستمع))[5] فمثلاً يقول (ع) : ((أَعْظُمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ وَ تَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ وَ فَوْرَاتُ السَّعِيرِ وَ سَوْرَاتُ الزَّفِيرِ [السَّعِيرِ] لَا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ وَ لَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ وَ لَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ وَ لَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ وَ لَا سِنَةٌ مُسْلِيَةٌ بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ وَ عَذَابِ السَّاعَاتِ))[6] اذ بتتابع المقاطع في نزل الحميم وتصلية الجحيم وما بعدها يستشعر المتلقي وقوع العذاب وتلاحقه بما لايمكن الهرب منه ، او التمهل فيه ، وفي نص آخر يقول : ((أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَ الْقِوَامُ فَتَمَسَّكُوا بِوُثَائِقِهَا وَ اعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَؤُلْ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ وَ أَوْطَانِ السَّعَةِ وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ وَ مَنَازِلِ الْعِزِّ فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ وَ تُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ وَ تُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ وَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ وَ تَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ وَ تَذِلُّ الشَّمُّ الشَّوَامِخُ وَ الصُّمُّ الرَّوَاسِخُ فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَاقاً وَ مَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ وَ لَا حَمِيمٌ يَنْفَعُ وَ لَا مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ))[7].

---

(١) شرح نهج البلاغة : خ ١٩١ ١٠ ١٤٧
(٢) شرح نهج البلاغة : خ١٠٧ ٧ ١٤٦
(٣) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة : العلوي : ٣٧٢/١
(٤) شرح نهج البلاغة : خ٩٠ ٦ ٣٢٠:
(٥) في سيماء الشعر القديم : محمد مفتاح : ٨٨
(٦) شرح نهج البلاغة : خ٨٢ - ٦-٢١٢
(٧) شرح نهج البلاغة : خ ١٠/١٨٨ : ١٣٣-١٣٤

وفي ذلك إيحاء مخيف صوِّر بألفاظ تحاكي ذلك المشهد وبأصوات متناغمة مع صور الموقف ف (تشخص وتظلم ، وتعطّل ، وينفخ ، وتزهق ، وتبكم وتذل)كلّها أفعال ذات أصوات متداخلة الصفات متنوعة المخارج تحكي تنوع العذاب والمبالغة في الحدث بشكل يجعل السمع ((يحفل بما هو مدهش ومثير))[1]وحينما يصف الموت ، يتدفق الإيقاع الموسيقي وكأنه الأجل اللاحق بالإنسان .

يقول (ع) : ((إِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ وَ مُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ وَ مُبَاعِدُ طِيَاتِكُمْ زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ وَ قِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ وَ وَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُولٍ قَدْ أَعْمَدَ سُيُوفَهُ وَ تَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ وَ أَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ وَ عَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ وَ تَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ وَ قَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ وَ احْتِدَامُ عِلَلِهِ وَ حَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ وَ غَوَاشِي سَكَرَاتِهِ وَ أَلِيمُ إِرْهَاقِهِ وَ دُجُوُّ أَطْبَاقِهِ وَ خُشُونَةُ جُشُوبَةِ مَذَاقِهِ))[2] أمّا وصفه للطبيعة ومظاهر الكون فيتجلى فيها الإيقاع الهادئ تارةً والصاخب تارة أخرى تبياناً لعظمة الله وقدرته التي أنكرها الجاحدون .

مثال ذلك قوله (ع) : ((فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ مُوطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ غَيْرَ مُبْطِئَاتٍ وَ لَا مُسْتَكْرَهَاتٍ)) [3] حيث صوّر بنسق متقابل في الصيغ والفواصل وبمدود واضحة للدلالة على الجمال المتقن الذي ابتدعه الخالق سبحانه وتعالى ((فالنظام الذي يسود الكون والتوازن الذي يربط عناصر الطبيعة بعضها ببعض ..وعدم تطرق الخلل إليها كلّ ذلك دليل على وحدانية المهيمن عليها))[4] اما ما صور من مشاهد الكون وبإيقاع صاخب قوله (ع) : ((فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا وَ عَبَلَ شَوَاهِقَ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا وَ فَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَ أَخَادِيدِهَا وَ عَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا وَ ذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ وَابِسُ الْجِبَالِ فِي قُطَعِ أَدِيمِهَا وَ تَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا وَ رُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الْأَرَضِينَ وَ جَوَادِّ بِيدِهَا وَ فَسْحِ بَيْنِ الْجَوِّ وَ بَيْنَهَا وَ أَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا وَ أَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَوَافِقِهَا))[5]، فعلى الرغم من توافقها الموسيقي في (أكنافها واكتافها ، وأنوفها وبيدها وأخاديدها وحركاتها وجلاميدها وصياخيدها ..) جاءت موافقة لمعانيها ومحاكية للمشهد الكوني المصوّر .

---

(١) أدب الشريعة الإسلامي: محمود البستاني : ٣٧
(٢) شرح نهج البلاغة : خ ٢٢٥ / ١٣ : ٦
(٣) شرح نهج البلاغة : خ ١٨٣ / ١٠ : ٦٦
(٤) الطبيعة في القرآن الكريم : كاصد ياسر الزيدي: ٥٠
(٥) شرح نهج البلاغة : خ ٩٠ / ٦: ٣٣٨

يقول ابن جني : ((فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج متلئب عند عارفيه مأموم...وذلك أنهم كثيٌر مايجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها))[1]. فضلاً عن ذلك التقابل بين الصوت والمعنى والوقع الموسيقي فيها ، تبقى لها خصوصية التأثير في المتلقي ((فالناس موكلون بتعظيم الغريب واستطراف البعيد وليس لهم في الموجود الراهن وفيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى مثل الذي لهم في الغريب القليل وفي النادر الشاذ))[2] .

وبذلك التكثيف يكون الأمام (ع) قد وافق بين الأحداث وما يناسبها بشكل تنساب فيه الكلمات وتتساوق دونما تكلف اوصنعة ، بل أمر((يقتضيه الطبع الذي يمتزج بالصناعة امتزاجاً حتى كأنهما من معدن واحد يبعث النثر شعراً له أوزان وأنغام ترفق المعنى بصور لفظية من جوِّها ومن طبيعتها))[3]أما مظاهر تلك الموسيقى فتكمن في :

---

(١) الخصائص : ابن جني : ١ /٦٥
(٢) البيـــــان والتبيين : ١ /٩٠
(٣) روائع نهـــــج البلاغة : ٢٩

المبحث الاول

التكرار ودلالته الصوتية

التكرار في اللغة : مصدرٌ من الكر ، وكر عليه يكرَّ كرًّا وتكريراً وتكراراً ، وكرَّر الشيء وكركره أعادهمرةً بعد أخرى [١]ولا يبتعد هذا المفهوم عن المعنى الاصطلاحي .

قال الجرجاني ((التكرار هو عبارةٌ عن الإتيانبشيئ مرةً بعد اخرى))[٢]سواءٌ على مستوى الحرف ام الكلمة ام الجملة ، اذ يتوزع على دائرة اللغة بأشكالها المختلفة وتبعاً لمقاصد دلالية تختفي وراء هذا المكرر .

يقول ابن فارس : ((ومن سنن العرب التكرير والاعادة ، إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر))[٣]اذ ان العربي لايكرر كلامه عبثاً ولايهدف الى سد نقص في الكمية الصوتية في الكلام بل يعمد الى تسليط الضوء على نقطة حساسة في كلامه كاشفاً عن اهتمامه بها [٤]، بدءاً بالصوت وانتشاره في النص بشكلٍ ملحوظ . أما أهم صوره فهي:

اولاً: تكرار الصوت :ويشمل

١. تكرار الصوت المفرد في الكلمة :-

ويتأتى هذا النوع من التكراربإعادة بعض الحروف التي تتشكل منها الكلمة مانحة إياها نغماً موسيقياً وجرساً واضحاً يستشعره المتلقي ويتذوقه ، فلبعض الأصوات معان مترسخة في ذهن المتلقي فإذا ما تكررت في نص ما فأنها تكّون علاقة بينها وبين ما يؤديه النص ذو الأثر الحسي من معنى لمايوحيه للسامع باتساق اللفظة وتوافقها مع غيرها من الألفاظ في التعبير، يشبه الى حدٍ بعيد ضرب الانسان باللحن والموسيقى [٥]، اذ إنَّ عودة الحرف في الكلمة تكسب الإذن هذا الإنس لو لم يكن لعودته مزية أخرى تعود الى معناه فاذا كان مما يزيد المعنى شيئاً افاد مع الجرس الظاهر جرساً خفيفاً لاتدركه الاذن وانما يدركه العقل والوجدان وراء صورته [٦] من خلال التوظيف الفني الذي يلجأ اليه المنشئ في ابراز تلك الصورة او الموقف المعبر عنها بذلك الحشد المكرر من الأصوات المناسب لحقيقة المعنى .

مثال ذلك قول الامام (ع) : ((وَ اِ تَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ وَ قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَ حِلْيَتُهَا حَدِيدٌ وَ شَرَابُهَا صَدِيدٌ)) [٧]وهو نصٌ يحيل الى قوله تعالى (قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً)(التوبة:٨١)) وقوله تعالى :((أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)(التحريم:٦))

(١) ينظر:مقاييس اللغة : ٥/ ١٢٦ ، لسان العرب :٥ /٣٩٠ .
(٢) التعريفات : ٥٨
(٣) الصاجي في فقه اللغة ، ابن فارس : ٣٤١
(٤) ينظر:قضايا الشعر المعاصر : نازك الملائكة : ٢٧٦
(٥) ينظر:جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، ماهر مهدي هلال : ١٩ ـ ٢٠
(٦) ينظر:التكرير بين المثير والتأثير : عز الدين علي السيد : ١٤
(٧) شرح نهج البلاغة : خ ١١٩ / ٧ : ٢٢٤

عمد الإمام إلى مفارقة دلالية تتمثل بتقديم (حرًّا) وتأخير (أشدُّ) مع التعبير في البنية للتناسب في الوقع الموسيقي والمعنى ، فلفظة (شديد) قد تكرر صوت (الدال) فيها مرتين ، وهو صوت أسناني لثوي انفجاري

مجهور مرقق [١]يحكي هذا الصوت عند دخوله المفردة او المفردات في سياق التعبير للأحداث القوية والشديدة بما يملكه من جرس شديد وعنيف وهذا يتناسب ودلالة اللفظة فالشدة والصلابة وهي نقيض اللين و(الشين والدال أصل واحد يدل على قوةٍ في الشيء))[٢]

وهكذا برزت قيمة صوت(الدال)التعبيرية بمحاكاته الحدث والمتمثل بشدة النار وصفاتها المخيفة ، ومثله (صديد) قال البحراني ((ثم أكد التخويف بمناقشة الحساب بالتخويف بالنار وأراد بحليتها من الحديد ماأعدَّ فيها للعصاة من الأغلال والأصفاد والمقامع والسلاسل التي تشبه الحلية)) [٣]وقد يتكرر الصوت ليصبح وسيلة لتصوير الموقف وتجسيمه والإيحاء بما يدلُّ عليه [٤] بموازرة السياق كقوله تعالى : ((وَما الْحَياةُ الدُّنيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ) [الحديد٢٠]والغرور لفظة تكررت فيها الراء مرتين ، قد استعملها الإمام بهيأة التنكير في قوله((فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ خَئُونٌ))[٥]وبصيغة المبالغة للدلالة على تزايد غرورها ، وبملمح مكرر لصوت (الراء) وهو صوت ذلقي لثوي مجهور متوسط مكرر [٦] يتكون بان تتكرر ضربات الذلق حين ملامسته للثة خلف الأسنان العليا[٧]فهو ذو دلالة على تكرار الفعل ، والفعل هو (الغرور) أي كل ما يغر الانسان من مالٍ وجاه وشهوةٍ وشيطان [٨] وهي أمور مستمرة ومتكررة في حياة الانسان ، ناسبها استعمال الراء بصفته وتكراره لتصوير الحدث وخلق إيقاع صوتي منظم يجذ ب المتلقي لسماعه.وللمزيد من تلك الشواهد ينظر *

٢ـ تكرار الصوت المفرد في السياق :ـ

قد يتوزع الاستعمال الصوتي بشكلٍ مكثف على مفردات السياق حتى يغدو ملحاً فنياً وجمالياً يستشعره المتلقي ويتجاوب معه لما يضفيه من تفرد في الاستعمال وخروج عن لغة التعبير العامة اذ يعمد الباحث في تلك الحالة إلى توزيع الأصوات على عدد من مفرداته بحيث تصوِّر في مجموعها الحدث تصويراً عاماً وتكون اذ ذاك كالموسيقى التصويرية المصاحبة لذلك الحدث . [٩]

---

(١) ينظر:سر صناعة الإعراب : ابن جني : ٦٥/١ ، ٧٥، _١٩٧ ، الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس : ٤٨
(٢) مقاييس اللغة : ١٧٩/٣
(٣) شرح نهج البلاغة : البحراني : ٣ / ١١٤
(٤) ينظر:لغة القرآن في جزء عمَّ : محمود احمد نحلة : ٣٤٦
(٥) شرح نهج البلاغة: خ ٢٢٥ /١٣ :٦
(٦) ينظر:سر صناعة الإعراب : ٥٢ الأصوات اللغوية:٦٥/ ٦٦، مناهج البحث في اللغة تمام حسان : ١٠٤ ،علم اللغة ، محمود السعران : ٧٧
(٧)ينظر:الأصوات اللغوية : ٦٦،٦٥ ، مناهج البحث في اللغة : ١٣٣
(٨) ينظر:مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني : ٦٠٤ ،.
* شرح نهج البلاغة :خ ١٨٣ /١٠ :٦٦ ،وخ ١٤٣ /٩ :٦١ ، وخ ١١٠ /٧ :١٧٧ وك ٢٧ /١٥ :١٢٤ .
(٩)ينظر: من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم : محمد العبد : ٧٧ (بحث)

من أمثلة ذلك قول الإمام (ع) : ((تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ [الْمُشَبِّهُونَ] بِهِ وَ الْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبِيراً))[1]وهو يؤكد الحقيقة القرآنية(سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً)(الإسراء:٤٣)) لتقريرها في النفس وتقويتها في الأذهان .

تجلى صوت العين ثلاث مرَّات في (تعالى ، عمَّا ، عُلّوا) للإشارة إلى مقاصد دلالية تطلبها السياق ، فالعين هو صوت حلقي رخو مجهور [2] يعد من الأصوات الاستمرارية [3] ذات القيمة التعبيرية في تصوير الحركات والأصوات العنيفة[4] برزت قيمته في محاكاته لشدّة الغضب الآلهي وقوته فخلق نغماً أشبه بالانفجار الشديد قد آزره في ذلك أصوات المد (الألف ، والواو) لما فيها من مد واستطالة واضحين [5] لتمثيل تلك الصورة التي يتنزه عنها الخالق جلَّ وعلا ويتعالى لمبالغة ذلك منه لاعلى سبيل التكلف كما يكون من البشر [6] بل بما يليق بكبريائه وعزّته .

فالواقع إن بين الأصوات فروقا في القدرة التعبيرية وهذا هو سرالكلمات التي تعبر بأصواتها عن معناها[7] . فمثلاً الحروف المهموسة تحتاج للنطق بها إلى قدرة اكبر من هواء الرئتين مما تتطلبه نظائرها المجهورة فالأحرف المهموسة مجهدة للتنفس[8].

وهذا يتناسب مع قوله (ع) : ((حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ وَ تَقَضَّتِ الدُّهُورُ وَ أَزِفَ النُّشُورُ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ وَ أَوْكَارِ الطُّيُورِ وَ أَوْجِرَةِ السِّبَاعِ وَ مَطَارِحِ الْمَهَالِكِ سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ رَعِيلاً صُمُوتاً قِيَاماً صُفُوفاً يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي عَلَيْهِمْ لَابِسُو الْعِزَّةِ وَ ضَرَعُ الِاسْتِكَانَةِ وَ الذِّلَّةِ قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ وَ انْقَطَعَ الْأَمَلُ وَ هَوَتِ الْأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيْنَمَةً وَ أُلْجِمَ الْعَرَقُ وَ عَظُمَ الشَّفَقُ وَ أُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخِطَابِ وَ مُقَايَضَةِ الْجَزَاءِ وَ نَكَالِ الْعِقَابِ وَ نَوَالِ الثَّوَابِ))[9] .

---

(١) شرح نهج البلاغة : خ ٤٩ / ٣ : ١٦٩
(٢) ينظر:الأصوات اللغوية : ٨٨، مناهج البحث في اللغة : ١٠٢
(٣) ينظر:مناهج البحث في اللغة :١٣٢
(٤)ينظر:من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم : ٧٩
(٥)الأصوات اللغوية ١٥٨ – ١٦٠ ، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٥٢٢
(٦)مفردات ألفاظ القرآن : ٥٨٣
(٧)ينظر:اللغة : فندر يس : ٢٣٦
(٨)ينظر:موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس : ٢٩
(٩)شرح نهج البلاغة : خ ٨٢ / ٦ : ١٩٧

فقوله(ع): وخشعت الأصوات يشير الى قوله تعالى ((وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً))[طه١٠٨]استعمل صوت التاء ثلاث مرات (خشعت ، الأصوات ، مهينمة).

وهو صوت ذلقي لثوي مهموس انفجاري [١]ليضفي جرساً شديداً ينسجم وحالة الانكسار التي يمرَّون بها فقولهم هو ((إشارة إلى سؤالهم- بلسان حالهم – عفو الله ورحمته على وجه الذلّة والضعف ورِّق العبودية في ملاحظة جلال الله))[٢].

فضلاً عن ان تلك الحالة المجهدة تطلبت بما يتناسب معها من الحروف المهموسة لإنتاج المعنى بهذا التصوير المتقن وهذا يعني ((ان للصورة قدرةً على خلق دهشة مهما كانت درجتها تشدُّ الذهن وتثير الانتباه لربط موسيقى الصوت بالإطار الدلالي))[٣]من ذلك مثلاً قوله (ع) : ((إِحَتَّى بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَ الْأُمُورُ مَقَادِيرَهُ وَ أُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ وَ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ أَمَادَ السَّمَاءَ وَ فَطَرَهَا وَ أَرَجَّ الْأَرْضَ وَ أَرْجَفَهَا وَ قَلَعَ جِبَالَهَا وَ نَسَفَهَا وَ دَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ وَ مَخُوفِ سَطْوَتِهِ))[٤] فالمشهد يتحدث بنبرة عالية تصور احداث القيامة .

وبشكل استوحى أكثر من نص قرآني* للدلالة على تفخيم الحدث وقوته ، زاده وقعاً قصر الجمل وتلاحقها بنغم صوتي منتظم تكرر فيه صوت الألف خمس مرات والراء أربع مرَّات والجيم ثلاث مرّات، والغالب عليها صفة الجهر[٥]لإعطاء المعنى وضوحاً وآثاراً تنعكس على السامع أولا ولطبيعة المشهد الذي لايمكن أن يتركب إلا بتلك الأصوات ثانياً فالرج هو تحريك الشي والرجف الاضطراب[٦]، ونسفها قلعها من أصولها وبثّها ودك بعضها بعضاً تصادمت[٧] فكلها معانٍ موحية بالشدة تعبر عن صور ذهنية سمعية قادرة على إثارة الانفعال المناسب في نفس المتلقي من خلال سماع جرسها وإيقاعها الداخلي [٨]

---

(١) ينظر:الكتاب : ٤ / ٤٣٣ ، المقتضب : ١ / ١٩٥ ، الأصوات اللغوية : ٦١ ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: السعران : ١٢٩، المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث : ٤٦
(٢) شرح نهج البلاغة : البحراني : ٢/ ٢٤٣
(٣) رماد الشعر : عبد الكريم راضي جعفر : ٣١٠
(٤) شرح نهج البلاغة : خ ١٠٨ /٧ : ١٥٨
*** الانفطار : ١) (الواقعة :٤) (المزمل : ١٤) (طه : ١٠٥) (الحاقة : ١٤)**
(٥)ينظر: دراسة الصوت اللغوي : ٢٧١ – ٢٧٨ ، الأصوات اللغوية : ١٥٩ – ١٦٠ ،
(٦)ينظر: مقاييس اللغة : ابن فارس : ٢ /٣٨٥ -٢-٤٩١
(٧)ينظر: شرح نهج البلاغة: البحراني : ٣ / ٦٧
(٨) ينظر:من سمات الأداء في ثقافة العرب الاولين (الإيقاع) : بلقا سم بلعرج بن احمد: ١٨ (نت)

ولعل بعض الأصوات تكون ابلغ في نقل تأثير الألم من التعبير بقسمات الوجه او الحركات او غير ذلك فالصوت يهزُّ الإذن ويقرعها بقوة ويحملها على التأثير والانفعال [١] كقوله تعالى{وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الْأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ } [القمر : ٤] فكلمة مزدجر ذات ثقل واضح في أصواتها ومعناها تستعمل في((الطرد تارة وفي الصوت أخرى)) [٢]

وظفها الإمام (ع) بشكل مكرر وباختلاف في البنية مما حقق نغماً موسيقياً يتناسب والمعنى المراد ، يقول (ع) : لَقَدْ جَاهَرْتُكُمُ الْعِبَرَ وَزَجَرْتُكُم بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ الرُّسُلِ السَّمَاوِلاَّ الْبَشَرُ))[٣]حيث تكرر في قوله (وزجرتم بما فيه مزدجر) صوت (الزاي) مرتين ، والجيم مرتين والراء مرتين) وهي أصوات مجهورة [٤]تردّد صداها على السمع فأوحت بمعنى المبالغة والجهر بالنصيحة من خلال النواهي المؤكدة المردفة بالوعيد والعقوبةالتي في اقلّها ازدجار لذوي الألباب [٥] . ومثل ذلك أي تكرار الصوت المفرد في السياق ينظر *

٣ ـ تكرار الصوت المفرد بالتضعيف :

ورد استعمال مصطلح (التضعيف او التشديد) في كلام العلماء للإشارة إلى تكرار الحرف الواحد في الكلمة ، أي ان الصوت المشدَّد هو عبارة عن صوتين ادخل احدهما في الآخر [٦] للدلالة على المبالغة والكثرة [٧] أو لمقاصد تربط بسياق الحال اما من حيث حقيقة الصوتية فيرى علماء الصوت المحدثين ان تضعيف عين الكلمة انما يعني في التحليل الصوتي تطويل مدَّة النطق بها من مخرجها حتى ليمكن ان يقال : ان الصامت المضَّعف هو صامت طويل [٨]

فهو بذلك يشبه الحركة الطويلة التي تساوي ضعف الحركة القصيرة [٩] يستغرق نطقه ما يستغرقه الصوتان من الوقت او أن يكون زمانه أطول من زمان الصوت الواحد واقصر من زمان الصوتين حسب مايراه علماء التجويد [١٠].

---

(١) ينظر:مسائل فلسفة الفن المعاصر :، ١٩٦٥ : ٧٩
(٢) مفردات ألفاظ القرآن : ٣٧٨
(٣) شرح نهج البلاغة : خ ٢٠ /١:٢٧٥
(٤) ينظر:سر صناعة الإعراب : ١-٢٠٧-١٨٧-٢٠٣الاصوات اللغوية : ٦٥ ، ٧٦ مناهج البحث في اللغة : ١٣١-١٣٣
(٥) ينظر:شرح نهج البلاغة : البحراني : ٣٢٩/١ .* ينظر :خ/١٠ /١ :٢٢٥، وخ ٢٢ /١ :٢٧٩ ، وخ ٤٥ /٣ :١١٩ ،وخ ٤٨ /٣ :١٥٧ .
(٦) ينظر:العين : الخليل بن احمد : ١/ ٥٠ ، الكتاب : ٣/ ٥٢٩
(٧) ينظر:الاشباه والنظائر في النحو : السيوطي : ١٥٧/١ ، ١٥٨ ، معاني الابنية في العربية ، فاضل السامرائي : ٣١ -٣٢
(٨) ينظر:المنهج الصوتي للبنية العربية : عبد الصبور شاهين : ٧٠ ، التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، سليمان حسن العاني : ١١٩
(٩) ينظر:نفسه :
(١٠) ينظر:الكشف عن وجوه القراءات السبع : مكي القيسي : ٦٦/١ ، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٤٦٨ – ٤٦٩

اذ إنّ تكرار الصوت بالتضعيف يساهم في خلق ايقاع صوتي يتردد بتردد الحرف المكرر وينسجم مع المعنى الذي تطلب ذلك التضعيف .

فمثلاً يقول (ع) : ((فَلَمَّا سَكَنَ هَيَجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا وَ حَمَلَ شَوَاهِقَ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَوَارِينِ أُنُوفِهَا وَ فَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَ أَخَادِيدِهَا وَ عَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا))[1] مستمداً بعض المشاهد القرآنية كقوله تعالى {وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ }[القمر: ١٢] وقوله تعالى : { وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بهم} [الانبياء: ٣١] وغيرها مقدّماً من خلال التضعيف في (الشمخ) و(فجَّر) و (فرَّق) و (عدَّل) صورة صوتية ثقيلة تساند الفكرة المتحدث عنها وهي طبيعة خلق الأرض بألفاظ توحي بمعناها ، فالعرب إنما زادت في الصوت لزيادة في المعنى ليدلّوا بتضعيف الصوت على تكثير اللفظ نفسه وتقويته والمبالغة في حصوله [2] ،

والمبالغة هنا جاءت بأحسن تعبير وأدق بيان من خلال ربط الصوت بالمعنى ، وتتضح دلالة التضعيف في نص آخر ، يقول (ع) ((إِلَى اللَّهِ مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً وَ يَمُوتُونَ ضُلَّالاً لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ وَ لَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً وَ لَا أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ لَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَ لَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ))[3] اذ يرتبط ذلك النص بقوله تعالى : ((قَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ))[البقرة : ٧٥] كرر الإمام التضعيف في الفعل (حرَّف) بتشديد الرَّاء وهو صوت ذلقي لثوي مجهور متوسط تكراري [4]لإضفاء جو التكرار والاستمرار في ذلك الفعل (التحريف) من معاشر الجهال فضلاً عن المبالغة في تفخيم الحدث وتعظيمه وهو تحريف القرآن .

وبهذا يكون انسجام قوة اللفظ مناسباً مع قوة المعنى الأمر الذي استوجب تضعيف أقوى الحروف مركزاً [5] وفي ذلك كله لايخفى اثر التكرار الذي أحدثه حرف الراء بضرباته المتلاحقة عند النطق وزمنه الصوتي من تناسقٍ فني انسجم مع مكونات السياق .*

---

(١) شرح نهج البلاغة : خ ٩٠ /٦ : ٣٣٨

(٢) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي :د هادي نهر :٦٣، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : حسام ألنعيمي : ٢٨٤ ، معاني الأبنية في العربية: ٣١ ـ٣٢

(٣) شرح نهج البلاغة : خ ١٧ / ١ : ٢٦٢

(٤) ينظر:الكتاب : ٤/ ٤٣٥ ، المقتضب : ١٩٦/١ ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي :١٤٣

(٥) ينظر:التفكير اللساني في الحضارة العربية : عبد السلام المسدي : ٨٣

* للاستزادة من تلك الشواهد ينظر :خ ٩٠ /٧ :١٨ ،وخ ١٠٨ /٧ :١٥٨ .وك ٣١ /١٦ :٦٨ .

ثانياً : **التكرار اللفظي** :

قد تتكرر الألفاظ في سياق ما وتدل على معنى استوجب التأكيد وتقرير الصورة في ذهن السامع من خلال ذلك التكرار اذا كانا متفقين في المبنى والمعنى ، اما إذا اتفقا في اللفظ واختلفا في المعنى فالفائدة من التكرار تكون ، الدلالة على المعنيين المختلفين [١]

وقد تتجاوز الدلالة ذلك الإطار لتحدث صورة صوتية لاتنفصل عن المعنى ، لان اللغة تتخذ في المقام الأول صورة صوتية منطوقة ومسموعة[٢] يؤدي فيها الصوت المكرر قيماً إيقاعية داخلية تشير إلى قيم مدلولية وإيحائية [٣] ،من خلال الألفاظ المكررة بأصواتها إذ تزيد من تضعيف المعنى وجمالية المبنى بذلك الملمح من التكثيف الدلالي .

أما صوره فمنها : قوله (ع) : ((فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ وَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ وَأَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ))[٤]

استعمل الإمام (ع) الفعل ومصدره (صَدَعَ ،صدعاً) في حديثة عن رسالة النبي (ص) وهو يستمدُّها من قوله تعالى : { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ }[الحجر ٩٤] بمفارقة دلالية تتمثل بالتكرار أي المصدر(الصدع) لمنح النص قيمة دلالية من خلال تقوية المعنى بالتوكيد فَصَدَعَ جهر ، ولمَّ الصَّدْع لَحَم المنشق فأعاده إلى القيام بعد الإشراف على الانهدام[٥] وأخرى صوتية تولدت عن تكرار أصوات اللفظة مما ساعد على خلق جوٍ نغمي واضح جسَّد المعنى وعززه بشكل أدق ، فصَدَعَ بأصواتها الشديدة المجهورة أي من (الدال والعين) منحت السياق تدفقاً صوتياً منسجماً مع حال النبي (ص) وتبليغه الرسالة بقولٍ فصل ، ولّمه لتشتتهم وانفراجهم عنه بمكابدة وعناء .

---

(١) ينظر:معجم النقد العربي القديم : احمد مطلوب : ٣٧٠/١
(٢) ينظر:اللسانيات من خلال النصوص : عبد السلام المسدي : ٤٣
(٣) ينظر:المتخيل الشعري : محمد صابر عبيد : ٢٦
(٤) شرح نهج البلاغة : خ ٢٢٦ / ١٣ : ٩
(٥) ينظر:المصدر نفسه : ونهج البلاغة : محمد عبده : ٣٣٢

ولا يخفى الانسجام الموسيقي المنبعث من توالي الأصوات المكررة وتكرار الكلمات في تقابلها اللفظي والمعنوي في قوله (ع)فَأَزْعِجُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ هِ لِلنَّظَرِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ وَ لَا يَغُرَّنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ وَ لَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا الْأَمَدُ فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوُلَّهِ الْعِجَالِ وَ دَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَائِمِ وَ جَأَرْتُمْ جُؤَارَ الرُّهْبَانِ الْمُتَبَتِّلِينَ وَ خَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ الْتِمَاسَ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ وَ حَفِظَتْهَا رُسُلُهُ لَكَانَ قَلِيلاً فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ وَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ)) [1]،

وهنا عمد الإمام (ع) إلى تحويل المشهد القرآني { لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ }[المؤمنون٦٥] إلى صورة مؤكدة بالتكرار (جأرتم ، جوار) وبالتقييد (متبتلي الرّهبان) قصداً في تفخيم الحدث وإظهار حقيقته ، إذ اظهر التكرار في (جأرتم جؤار) بتلك الأصوات المتداخلة المجهورة الشديدة والمهموسة جمالاً صوتياً ينسجم مع ما في النص من معان تشير إلى حالة تداخل الرجاء والخوف من العقاب وهذا يدل على((إنّ اللفظ قد يكون بما له من وقع صوتي معين عاملاً من عوامل التأثير العاطفي في المعنى))[2] فالجؤار هو((الصوت المرتفع)) [3] ويقال جار : إذا أفرط في الدعاء والتضرع تشبيهاً بجوار الوحشيات كالظباء ونحوها ،[4] يضّم إليها أصوات مجهورة وآخر مجهور تكراري [5] وبإعادة مصدر الفعل ، كل ذلك يسهم في تقوية المعنى ويضيف نسقاً جمالياً على المبنى .

ويستمر الامتياح من النص القرآني ليوظف في مشهد يستدعيه المقام وحال المخاطب ، فحينما نقرأ قوله تعالى :{ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً}[الكهف٤٥]

يلحظ ان التمثيل بالماء ((تعبير عن قصر الحياة وتناهي ملذاتها فهي ظلٌ زائل يتلاشى كتلاشي هذه المياه النازلة بقدر ، وقد تبدو وارفة الظلال نضرة المباهج ولكنها تأخذ في الدنيا والانحطاط حتى تقترب من البوار شأنها شأن النبات مخضوضرا ثم يصفر جفافاً وينتشر أدراج الرياح متفرقاً))[6] .

---

(١) شرح نهج البلاغة : خ ٣/٥٢ : ٢٦٢
(٢) دور الكلمة في اللغة : استيفي اولمان : ٩٣
(٣) شرح نهج البلاغة : خ ٣/٥٢ : ٢٦٣
(٤) ينظر:مفردات ألفاظ القرآن : ٢١١
(٥) ينظر:سر صناعة الإعراب : ٥٢ ، ٦٨ ، ٧٥ ، دراسة الصوت اللغوي : ٢٧١ ، ٢٧٨ ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : السعران : ٧٧
(٦) الصورة الفنية في المثل القرآني : محمد حسين الصغير : ٣٠٠

وظف الإمام تلك الصورة بملمح آخر يتجسد فيه الوقع الصوتي من خلال تكرار الفعل ومصدره ، يقول (ع) : ((فَاشِ كَابُ عَثَوَاتٍ لَمْ يَعْ عَضَّ عَ لَى اَلْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ يَ ذْرِي يَ ذْرُو [يُذْرِي]اَلرِّوَايَ اتِ إِذْرَاءَ قَوِ [ذْرَاءَ] اَلرِّيحِ اَلْهَشِيمَ))[١] وهو تشبيه لهيأة إلقاء الروايات عن الرسول (ص) والأئمة الهداة (ع) ونقلها واحدة بعد أخرى بنسبة هيأة إذراء الريح المنكسر من النبات اليابس منه وهي معقولة ووجه الشبه ، ان الراوي لتلك الروايات لماّ لم يكن مطلعاً على فوائدها المقصودة منها كان يبثها ويخرجها عن حد الانتفاع المقصود منها كما ان الريح بإذراء الهشيم تخرجه عن حدِّ الانتفاع بالكسر وفيه تشبيه دقيق لطيف وهو تشبيه الراوي بالريح [٢] فكما ان الريح في حمل الهشيم وتبديده لا تبالي بتمزيقه واختلال نسقه كذلك هذا الجاهل يفعل في الروايات ما تفعل الريح بالهشيم[٣]

وهو معنى يدل على المبالغة في ذلك الفعل ، ساعده التوكيد المكرر بالفعل ومصدره (يذرو – إذراء) فضلاً عن منح مسحة جمالية صوتية على النص تتمثل باستعمال أصوات مجهورة تكرارية تتناسب مع قوَّة الحدث.

---

(١) شرح نهج البلاغة : خ ١٧ / ١: ٢٦٢
(٢) ينظر:من بلاغة الإمام علي (ع) في نهج البلاغة :: ١٤٩
(٣) ينظر:نهج البلاغة محمد عبده : ٤٧ ، ومع نهج البلاغة :دراسة ومعجم : إبراهيم السامرائي -١٦٧

المبحث الثاني.....محاكاة الأصوات

بحث الدارسون قضية التناسب بين الصوت والمعنى منذ القدم رابطين الألفاظ بأصواتها التي تركبت منها ، تحت مسميات عديدة [١] أخذت أثرها في الدارسين المحدثين لبحثها من جديد بعنوان (المحاكاة الأصوات)[٢] او (التوليد الصوتي) [٣] وبشكل يغور في أعماق التاريخ لإدراك أهميتها .

يقول إبراهيم أنيس : ((فمشكلة الربط بين لفظ الكلمات ودلالتها استرعت انتباه المفكرين منذ العصور الزاهرة لليونان والرومان ، حيث اخذ فلاسفة اليونان والرومان يسائلون أنفسهم على العلاقة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها وعمَّا اذا كانت هذه العلاقة تتضمن ناحية رمزية توثق بين تلك الأصوات وما تدل عليها الكلمات من أمور ندركها بالحواس والعقول او انَّ الأمر لايعدو مجرد المصادفة))[٤]دون الوصول إلى نتيجة في ذلك ، بل أدى الأمر إلى القول باعتباطيتها عند بعض المحدثين وتناسب بعضها عند آخرين [٥]

أما فيما يخص موقعها من البحث عند الدارسين ، فأوضح ظهورها كان في موضوع ((نظريات نشأة اللغة)) ولاسيما في نظرية محاكاة الطبيعة ، بما فيها من أصوات تعمل على جلب انتباه الانسان فيدرك بعض مايميز بعضها من الآخر . وصولاً إلى تسمية الأشياء بأسماء مقتبسة منها ، فتكون الأصوات حينئذ نتيجة محاكاة مباشرة لأصوات طبيعية صادرة عن الطبيعة المحيطة به ، [٦]فضلاً عن ذلك فأن هذه النظرية تقرر حال اللغة كما يمكن تصورها على درب التطور والتوالد[٧] .

---

(١) ينظر:العين :: ٤٩/١ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢، الكتاب : ١٤/٤
الخصائص: ٢ / ١٥٤ ، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١/ ٤٧ ـ٤٨ ـ٤٩ ـ٥٠
(٢) ينظر:بحوث ومقالات في اللغة : رمضان عبد التواب : ١٧
(٣) ينظر:دور الكلمة في اللغة ::٨٣
(٤) من أسرار اللغة : إبراهيم أنيس ـ١٢٠
(٥) ينظر:فقه اللغة العربية ، حاتم الضامن ٥٩، المباحث اللغوية في العراق مصطفى جواد : ١٣ – ١٤ ، من أسرار اللغة: ١٢١ ، فصول في فقه العربية :: ٢٩٣ ،
(٦) ينظر:نشأة اللغة عند الانسان والطفل : عبد الواحد وافي : ٣٤ – ٤٠ ، وأبحاث ونصوص في فقه اللغة : رشيد ألعبيدي : ٧١ – ٧٥
(٧) ينظر:التفكير اللساني في الحضارة العربية ،: ٧٨

وتبين طريقة من طرائق التفكير الإنساني في بحثه عما يتعلق به . ليتواصل مع الآخرين ، إذ إنّ من أهدافها هو التواصل الاجتماعي يقول ابن جني ((اللغة هي مجموعة أصوات يعبر بها كل قوم عن إغراضهم))[١]

والأغراض هي مايشترك به الانسان مع أبناء جنسه لذلك اخذ يحاكي أصوات الطبيعة بما فيها من صدى للمسموعات من عوارض الطبيعة كالريح والرعد والماء وأشباح الكائنات الحية [٢]وهذا مايسمى بالتماثل الطبيعي .

((فقد نقل أهل أصول الفقه عن عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة انه ذهب الى بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على ان يضع قال وإلا كان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترجيحا من غير مرجح وكان بعض من يرى رأيه يقول انه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها فسئل مامسمى اذغاغ وهو بالفارسية الحجر فقال أجد فيه يبسا شديدا واراه الحجر))[٣]

وفي مرحلة ثانية. أخذتمسألة المحاكاة بسطاً ثانياً يعتمد على وصف اللغة وصفاً مباشراً في رصيدها المعجمي ومخزونها أداء وظيفتها التواصلية[٤] كالمحاكاة التي تقوم على مبدأ المضاهاة بين أجراس الحروف وأصوات الأفعال التي تعبر تلك الأجراس عنها [٥]

يقول ابن جني ((إن كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه .. الا تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف)) [٦] وما استعمل في الثلم من الميم وهو حرف خفيف ليبين ان الخلل في الجدار والثلب حيث استعمل الباء وهو حرف شديد للخلل في العرض .[٧] كل ذلك يدل على توافقٍ بين الألفاظ ومعانيها أو كما يسميه ابن جني إمساس الألفاظ أشباه المعاني [٨] .

---

(١) الخصائص : ابن جني : ١-٣٣
(٢) ينظر:التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٧٩ ، ودراسات في فقه اللغة : صبحي الصالح : ١٥٢
(٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : السيوطي : ١ / ٤٧ ، وينظر : من أسرار اللغة : ١٢١ -١٢٢

(٤) ينظر:التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٨٠
(٥) ينظر:الخصائص :١/ ٦٥ ، وينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٨٠
(٦) الخصائص : ٦٥/١
(٧) ينظر:مفتاح العلوم : ١ /١٥٨
(٨) ينظر:الخصائص : ٢ / ١٥٢

اما المرحلة الثالثة من مراحل المحاكاة فيمكن ان نطلق عليها ((مصطلح المحاكاة التعاملية ، وتقوم على ضرب من تعامل دلالة الأصوات الفيزيائية ودلالة الهيكل ألوزني لقوالب الألفاظ)) . [١]

مثالها الفعل (صرَّ) الذي يطلق على صوت الجندب لما استشعر فيه من استطالة ومد وفعل (صرصر) الذي خُصّ به صوت البازي للتقطيع الذي يلهج به صوته المستطيل .[٢]

وكذلك ما أشار أليه سيبويه عند حديثه عن أوزان المصدر ، يقول : ((ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك النزوان والنقزان وانما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع .. ومثل هذا الغليان لأنه زعزعة وتحرك ومثله الفوران لأنه تجيش نفسه وتثور)) [٣] ومن ثم يتبين أنهم ((جعلوا هذا الكلام عبارات عن هذه المعاني ، فكما ازدادت العبارة شبهاً بالمعنى كانت أدل عليه واشهد بالغرض فيه))[٤] ، يراعيها المتكلم في استعماله لأجل مقاصد دلالية تطلبها السياق والمقام .

ومن شواهد استعمال تلك الألفاظ قوله (ع) : ((هُوَ الْأَوَّلُ وَ لَمْ يَزَلْ قَبْلَ بِلَا أَجَلٍ خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ وَ وَحَّدَتْهُ الشَّفَاهُ))[٥]فالخر يعني سقط سقوطاً يسمع منه خرير والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو ،[٦]

استعمل في القرآن بآيات* كثيرة تشير الى التذلل لله والاستكانة لعظمته والإقرار له بالعبودية[٧]استلهم الإمام منها نصه للإشارة الى تعظيم المسجود له وبصيغة مكثفة تحمل دلالتين هما السقوط وحصول الصوت ،[٨]بما للفظة أي (خر) من ((وقع خاص يسيطر على النفس))[٩]، لذا كان استعمالها مناسباً للمقابلة بين اللفظ والمعنى وباختيار مقصود عند المتكلم للإشارة الى عظمة هذا المسلك – طاعة الله سبحانه – واثارته في كوامن المتلقي ويتكرر ذلك الامتياح من النص القرآني في تلك الدائرة أي توحيد الله عز وجل بلمسات بيانية مفضية إلى استدعاء مقصود في تحويل البنية القرآنية واعادة إنتاجها بما يلاءم السياق الذي بُثّت فيه .

---

(١) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٨٣
(٢) ينظر:العين ٢ / ٥٢ ، والتفكير اللساني في الحضارة العربية : ٨٣
(٣) الكتاب : ١٤/٤
(٤) الخصائص : ٢/ ١٥٤
(٥) شرح نهج البلاغة : خ ٩/١٦٤: ١٩٤
(٦) ينظر:مفردات الفاظ القران :: ٢٧٧، لسان العرب : ٢-٢٣٨
*** ينظر مادة (خر) في المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم**
(٧)ينظر:تفسير الطبري :
(٨) ينظر:مفردات الفاظ القرآن : ٢٧٧
(٩) الصورة الفنية في المثل القرآني :: ٢٣٧

يقول (ع) : ((عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ وَنَجْوَى الْمُتَخَافِتِينَ وَخَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ وَمَسَارِقِ إِيمَاضِ الْجُفُونِ وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ وَغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ وَمَصَايِفُ الذَّرِّ وَمَشَاتِي الْهَوَامِّ وَرَجْعِ الْحَنِينِ مِنَ الْمُولَهَاتِ وَهَمْسِ الْأَقْدَامِ))(١).

يقول ابن ابي الحديد ((لا أرى كلاما يشبه هذا الا ان يكون كلام الخالق سبحانه فان هذا الكلام نبعة من تلك الشجرة وجدول من ذلك البحر وجذوة من تلك النار وكأنه شرح قوله تعالى : {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ}[الانعام :٥٩]))(٢)جاءت ألفاظه متماسكة ومتشربة للنص القرآني ، يشدُّ بعضها بعضا ، وينفتح على دلالات خاصة ، منها قوله (ع) ((وهمس الأقدام)) إذ يعني الهمس : اما حسُّ الصوت في الفم (٣)او الخفي من الصوت ،(٤)

قد تواشج مع قوله تعالى : ((وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً))[طه:١٠٨] بتحويل البنية القرآنية وتقيدها بـ (الأقدام) بعد إطلاقها في النص القرآني وانفتاحها على أنواع الهمس لملحظ دلالي مفاده إن همس الإقدام هو أخفى مايكون من وطئ القدم ،(٥)

وفي ذلك إمعان بعظمة الله سبحانه وتبيان لأحاطته المطلقة بالسرِّ وما أخفى من جانب وإشعال لجذوة الإصغاء عند المتلقي في ممارسته وأفعاله ((يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ))[هود:٥]،كل ذلك وظف بلفظ مكثف له من القوة التعبيرية انه منح النص تلك الدلالات بما يحملهُ من دلالة مزدوجة ، تجمع بين الدلالة الصوتية والدلالة الجمالية ، وتارةً توظف هذه الألفاظ المحاكية لأصواتها في مشاهد القيامة أو مقامات الانفعال والغضب لتثير نوازع المتلقي وتحرِّك انطباعاته إزاء الحدث المصور أو لفخامة الموقف وفداحته بالصورة التي لايمكن ان يعبرِّ فيها بغير ذلك الصدى المكثَّف من الألفاظ ،

يقول (ع) : ((وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الْأَبَاطِيلُ وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ وَصَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ))(٦)مستمداً ذلك التهويل من قوله تعالى: {إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ }[يس٥٣ وهو تكثيف يتصعد إلى أعماق النفس ويجلجلها ، فالصيحة وهي الصوت الشديد الذي يكون بأقصى طاقة (٧)قد أتى والساعة قد غشيت والبروز لفصل الخطاب قد تم ، كل ذلك التآزر يكشف صور الحال المهولة ،ويحول اتجاه الناس إلى أخراهم خوفاً من ضجيج ذلك اليوم المعبَّر عنه (بالصيحة

---

(١) شرح نهج البلاغة : خ ٩٠ /٧-١٩
(٢) المصدر نفسه : خ ٩٠ / ٧ : ٢٠
(٣) ينظر:العين : ١٨٩٩/٣
(٤) ينظر:لسان العرب : ٦-٣٥٥، مقاييس اللغة : ٦٦/٦ ، مختار الصحاح : ٦٩٩
(٥) مقاييس اللغة : ٦-٦٦ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٨٤٦ ، تفسير القرآن الكريم : عبد الله شبر :٣١٢
(٦) شرح نهج البلاغة : خ ١٥٨ / ٩ : ١٦١
(٧) ينظر:العين : ٢/ ١٠٢٢، القاموس المحيط : ٢٢٣ ، لسان العرب : ٤-٩١

وهي صيحة الإحياء لا ألإماتة يقول سبحانه وتعالى :((وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ))[ق : ٤١ – ٤٢]وهي الصيحة الثانية بعد الإماتة ملاكها الخروج والمثول أمام الله سبحانه [١]يجازى فيها العباد على ما قدموه إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، صوِّرت بنسق إيقاعي ينسجم وطبيعة المشهد المؤثر في النفس .

ويمتد هذا التجسير في مشاهد القيامة بتكثيف الحدث حيث توظيف أقصى مايمكن ان يثير المتلقي من الألفاظ المدّوية ((فالكلمة هي موروث رشيق الحركة من نص إلى آخر لها قدرة على الحركة أيضا بين المدلولات بحيث أنها تقبل تغيير هويتها ووجهتها حسب ماهي فيه من سياق ، والسياق مجهود إبداعي يصدر عن المبدع نفسه))[٢]يختار المتكلم منه ماينسجم والحدث .

مثاله قوله (ع) : ((اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ وَالرَّضَاعَتَرُقُهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ ضَجِيعَ حَجَرٍ وَقَرِينَ شَيْطَانٍ قَدْ سُلِّطَ عَلَيْهِ مَلَكٌ مَا إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ))[٣]والزجر ((كلمة تدل على الانتهار))[٤]او الطرد بصوت يقال زجرته فانزجر قال تعالى {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ }[النازعات١٣][٥]وقال {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ }[الصافات١٩]وقال {فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً }[الصافات٢].

وكلها تتحدث عن حال الناس وفزعهم يوم القيامة ممن أنكر البعث او شك في يوم الحساب لذلك جاء تفعيل هذا الحدث بصياغة فعلية تثير التحفيز المضاعف عند المتلقي وبصورة مختلفة من الغضب والزجر إلى تواترها الأخير على يد مالك خازن النار الموكل بالجحيم [٦]الذي يحطم النار بعضها بعضاً اذا غضب ، والحطم هو الكسر في أي وجه كان وقيل هو كسر الشيء اليابس [٧] يردفه زجر النار التي تتوثب وتتصاعد من صوته ، دلالة على شدّة امتثالها مع إيقادها وعذابها الذي لايطاق ، وهو امر قد أسند الى فاعله بأمر الله وأرادته ، فالآمر هو الله سبحانه والمؤدي مالك خازن النار الموكل بزجر النار وإيقادها

خصصه الإمام بذلك الشكل لغرض التهويل والتفخيم من حقيقة تلك النار ، وهي صورة نفسية قد تصعد ت دلالتها بذلك الوصف (الزجر) المناسب لمعناه ، وبما فيه من أصوات مجهورة تحاكي الحدث المصوَّر إذ ((الأصوات الفخمة والضاجة تواتي المواقف القوية))[٨] وبذلك يكون ذلك الإجراء بمثابة وظيفة تواصلية تتماشى مع القرآن و تعيد اجرائيته إنجازاً لفعل التذكير والموعظة . وتارة يعمد الإمام (ع) في توظيفه للقرآن الكريم الى الترغيب والاندفاع نحو ما أعد وأنجز للإنسان في الحياة الدنيوية والأخروية ، وبألفاظ تحاكي معانيها يقول (ع) : ((فَبَادِرُوا بِأَعْمَالٍ تَكُونُونَ مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ رَافِقَ بِهِمْ رُسُلَهُ وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ وَأَكْرَمَ أَسْمَاعُهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَمِيسَ نَارٍ أَبَداً وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَنَصَباً))[٩]

---

(١) ينظر:مفاهيم القرآن : جعفر سبحاني : ٨/ ٢١٠ ،ونهج البلاغة : صبحي الصالح : ٢٧٧
(٢) الخطيئة والتكفير: ٢٣
(٣) شرح نهج البلاغة : خ ١٨٤/ ١٠ : ٩٧
(٤) مقاييس اللغة : ٣-٤٧
(٥) مفردات ألفاظ القرآن : ٣٧٨
(٦) ينظر:نهج البلاغة : محمد عبده : ٢٥٧
(٧) ينظر:لسان العرب :٢-١٠٨، ومنة المنان في الدفاع عن القرآن : ٢١٤
(٨) بحوث لسانية بين نحو اللسان ونحو الفكر : نعيم علوية : ١٣
(٩) شرح نهج البلاغة : خ ١٨٤ / ١٠ : ٩٨

والحسيس هو((حكاية صوت عند توجع وشبهه))[١] ،قال تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾[الأنبياء١٠٢]، أي لايسمع أهل الجنة حسيس النار اذا انزلوا منزلهم من الجنَّة [٢]، تمثله الإمام بذلك المعنى لغرض الترغيب الانشداد والمبادرة إلى نيل تلك الكرامات ، لاسيما عدم سماع حسيس النار ، وهو الخفي من صوتها لاصوتها ، والخلود بمجاورة الله في داره ومرافقة رسله وحفاوة ملائكته ، بنقيض ماأعدّ لأهل النار﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾[الفرقان١٢] وفي ذلك تجلٍ يتخطى التعبير العادي إلى البراعة في الأسلوب حيث التوظيف المنتج لقيم الدلالة ، بألفاظ ذات قيمة خاصة من حيث المعاني التي توحي بها [٣]لان معاني الكلمات لاتتحد فقط بالتعريف التجريدي الذي تحددها القواميس اذ يحيط المعنى المنطقي لكل كلمة جو عاطفي ينفذ فيها ويكسبها ألواناً مؤقتاً على حسب استعمالاتها ،[٤]لذلك فأن استعمال (الحسيس) في نص الإمام (ع) جاء مكتنزاً بالدلالة الإيحائية والمعجمية التي لوَّنت النص وانسجمت مع معناه .

ويستمر التواصل مع النص القرآني باختيار الألفاظ القرآنية المحاكية لأصواتها ، وبشكل تبرز فيها الدلالة بملامح واضحة ، يقول (ع) مخاطباً الخوارج : ((فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ وَلاَ تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ)) [٥] وهو نص يستحضر قوله تعالى : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[البقرة١٧١] بمقاربة تتوخى الاستهجان والزجر ، فالنعق هوا الصياح والزجر يقال نعق الراعي بالغنم وكذلك نعق الغراب نعيقا ونعاقا [٦] أو صوت الراعي بغنمه .[٧]اريد به التنبيه إلى ضلال ذلك الناعق ونعيقه بالجلبة والضوضاء لإضلال الناس ودفعهم إلى الهاوية ، حيلة وخداعاً بشكل تختلط فيه الأمور وتضيع الحقائق ليس في زمن معين فحسب ، بل في كل آنٍ وزمان ،

وهذا ما يدل عليه الاستعمال اللغوي (لاسم الفاعل)(ناعق) والفعل (نعق) حيث الثبوت لتلك الصفة في الناعق المستمر والتجدد والدوام لحركية الفعل (نعق) ، فضلاً عن تكرارها بشكل منح النص جمالاً موسيقياً احدث أثره في المعنى ((فاللفظ قد يكون بما له من وقع صوتي معين عاملاً من عوامل التأثير العاطفي للمعنى))[٨].

---

(١) مقاييس اللغة :٢ /٩
(٢)ينظر: تفسير من وحي القران :١٥ /٢٩٨
(٣)ينظر: تمهيد في النقد الجمالي : روز غريب : ١١٠
(٤)ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم الحديث : علي زوين : ٩٢
(٥) شرح نهج البلاغة : خ /١٢١ / ٧ : / ٢٣١
(٦)ينظر: لسان العرب : ٦-٢١٧
(٧) ينظر:مفردات ألفاظ القرآن : ٨١٤ ، مختار الصحاح : ٦٦٨
(٨) دور الكلمة في اللغة :: ٩٣

وهو ما استهدفه الإمام (ع) من ضمن دلالاته ، لإثارة الانفعال المناسب في المتلقي لذلك النص ،وفي بعض الأحيان يتحول استعمال المفردة القرآنية عند الإمام (ع) إلى حركة فاعلية تتنامى بتنامي الحدث لتحدث تراكماً صوتياً دلالياً يحيل السكون إلى دوي في إشارات تحمل ذلك التصعد ، يقول (ع) : ((هَذَا وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ وَيَحُفُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ))[١] ، والقاصف والقاصفة((الريح الشديدة تكسر ما مرت به من الشجر وغيره)) [٢] أو هو ما اشتد صوته من الرعد والريح وغيرهما [٣]، أثار بأصواته المجهورة والمهموسة (القاف والإلف والصاد) مع معناها والصيغة التي جاء عليها وقعاً ينتاب السمع ويقلق النفس من قدوم المحن وقوارع الخرق التي تقصف بالكوفة مع توالي زيادة الوقع بذكر (عاصف)ينبئ بصورة الرَّهبة والفزع التي ستزلزل وقع ذلك المكان وأهله حصاداً وتحطيماً وهو مسلك مستمد من القرآن الكريم وتوظيفه لهذا اللفظ .

فالقرآن لم يستعمل الريح وصفاته من القصف والعصف إلا في مواضع العذاب قال تعالى : ((وَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً))[الإسراء٦٩] وغيرها من الآيات .

يقول الراغب: ((وعامة المواضيع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب))[٤] لذلك فان الاستعمال لصفات الريح من القصف والعصف جاء مستمداً دلالاته من القرآن الكريم حيث وضع اللفظة في موقعها المناسب لها ، ومن حيث التناسب بين اللفظ والمعنى ، أي مضاهاة جرس الكلمة لمعناها ، بما تحمله من طابع إيحائي في تركيبها الصوتي أي أنّ هناك بعض الكلمات توحي بشيء من دلالتها في أصواتها[٥].

وفي مشهد آخر يصف (ع) عاقبة قوم ثمود وعقرهم للناقة ((فَمَا كَانَ إِلاَّ أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ))[٦] بتداعٍ مكثف في التكرار لمادة (خوار) ، فالخاء والواو الراء أصلان احدهما يدل على صوت والآخر على ضعف فالأول قولهم خار الثور يخور وذلك صوته ، قال تعالى فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ }[طه٨٨] وأما الآخر((فالخوار الضعيف من كل شيء يقال رمح خوار وارض خوار وجمعه خور))[٧]حيث شبَّه صوت أرضهم في خسوفها وذهابها في الأرض بصوت السِّكة المحماة في الأرض عند الحرث بها وإنما زادها صفة المحماة تنبيهاً على قوة تصويتها وسرعة غوصها [٨]،

وهو استدعاء يستبطن دلالة التخويف والتهويل من ذلك المصير ، فضلا عن ترغيب أصحابه على الثبات على ما كانوا عليه في حال سلوك سبيل الحق [٩] ويعكس استعماله من جانب آخر حضور النص القرآني فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ }[طه٨٨].

---

(١) شرح نهج البلاغة :خ ١٠٠ / ٧ : ٧٦
(٢) المصدر نفسه : خ ١٠٠ / ٧ : ٧٩ ، ولسان العرب : ٥ /٢٧٢
(٣) ينظر:فقه اللغة وسر العربية : الثعالبي : ١٩٨
(٤) مفردات ألفاظ القرآن : ٣٧٠
(٥) ينظر:العين -٦١ وينظر التفكير الصوتي عند الخليل :حلمي خليل: ٩٥
(٦) شرح نهج البلاغة : خ١٩٤ ١٠ ٢١٠
(٧) مقاييس اللغة : ٢-٢٢٧
(٨) ينظر:من بلاغة الامام علي (ع) في نهج البلاغة : ٤٧١
(٩) ينظر:منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : الهاشمي الخوئي : ١٢ / ٢٨٣

بتحول في المشهد وانسجام في المقصد هو تبيان عاقبة الفتنة والضلال فالذي اخرج العجل هو ألسامري والذي عقر ناقة ثمود رجل واحد فما كان الا العقاب وتعميم العذاب لما عموه بالرضا ((ولا يختص أمر هذا التعميم بالباطل والإثم بل يعم الحق والثواب أيضا)) [١]

وقد يلجأ الإمام (ع) الى توظيف مكثف من الأصوات والألفاظ المناسبة للحدث لإعطاء السياق تناغماً يجعل ذهن المتلقي وفؤاده في حالة من الانسجام والتركيز والتأثير ، يقول (ع) :((**فالله الله عباد الله فان الدنيا ماضيةٌ بكم على سنن وانتم والساعة في قرن ،وكأنها قد جاءت باشراطها وازفت بأفراطها وقفت بكم على صراطها وكأنها قد اشرفت بزلازلها واناخت بكلكلها وانصرمت الدنيا بأهلها واخرجتم من حضنها فكانت كيوم مضى أو شهر انقضى او صار جديدها رثّاً وسمينها غثًّا في موقف ضنك المقام وأمور مشتبه عضام ونارٍ شديد كلبها عالٍ لجبها ساطع لهبها متغيظ زفيرها ، متأجج سعيرها بعيد خمودها ذاك وقودها مخوفٍ وعيدها عمٍ قرارها مظلمة اقطارها حامية قدورها فظيعة امُورها**))[٢]، وهو وصفٌ حافلٌ بوفرة من الفضاءات المكثَّفة صوتياً سواء بتكرار الإلف وهو صوت عالٍ يحكي المد الى اعلى[٣]او بالتركيز على الألفاظ المحاكية لأصواتها كاللجب والزفير وهو ما اقترن استعماله بذلك الوصف للنار في آيات متعددة ، قال تعالى{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يُسْمَعُونَ }[الأنبياء١٠٠] وقوله تعالى{إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً }[الفرقان١٢] وقوله تعالى{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ }[هود١٠٦] حيث يدل على تردد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه [٤] او ترديد النفس مع الصوت من الحزن .. او صوت شدِّة توقد النار في حال القول زفرت النار ،[٥] أطلقه الإمام بـ (الالف) تناسباً مع المدود الأخرى ، وتصعيدا للدلالة القائمة على التهويل من تلك النار ، فالمقام هو مقام تخويف وإنذار

---

(١) سنة التعميم في القرآن : محمد مهدي الاصفي : ٢١
(٢) شرح نهج البلاغة : خ ٢٣٦ /١٣ :٨٤
(٣) الموسيقى الكبير :: ١٠٧٣
(٤) ينظر:مفردات الفاظ القرآن : ٣٨
(٥) ينظر:التبيان في تفسير القرآن : ٦٦/٦ ، تفسير القرآن الكريم : شبر : ٢٠٧

لذلك شحن بذلك المد المتلاحم من الأصوات الطويلة والألفاظ الإيحائية؛ لإحراز الدلالة الكاملة والمؤثرة في السامع بما في المد من إشباع موسيقي تطرب له الإذن وينشط به العقل[1] ، وبما في تلك الألفاظ من دلالة مزدوجة تجمع بين الصوت والمعنى.

وفي صورة أخرى يستحضر الإمام (ع) صورة النار وتوقدها الصارخ من خلال النص القرآني قال تعالى : فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ }[هود١٠٦]

وقوله: إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ }[الملك٧] ليوظف ذلك في صياغة جديدة ومفهوم آخر

يقول (ع) : واصفاً المتقين : ((أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَ يَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً وَ تَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَ ظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ وَ إِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَ ظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَ شَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ))[2]بألفاظ مكثفة مثل (الزفير والشهيق) ، لتبيان حقيقة أولئك المتقين الذين يسمعون بقلوبهم ويتوجسون زفير النار صوت توقدها وشهيقها ،((الشديد من زفيرها كأنه تردد البكاء ، أي أنهم من كمال يقينهم بالنار يتخيلون صوتها تحت جدران آذانهم)) [3] وفي ذلك ترغيب للسامعين في احتذاء ذلك المسلك العظيم.

---

(١) ينظر:من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم :١٢٠

(٢) شرح نهج البلاغة : خ ١٨٦ : ١٠ / ١٠٥

(٣) نهج البلاغة : محمد عبده : ٢٨٨

لم يبتعد الدرس الصوتي القديم والحديث عن مراعاة الدلالة الصوتية وما تشتمل عليه من مباحث متنوعة إدراكا منهم بتلك الدلالة الجمالية لما للأصوات والألفاظ والتراكيب من اثر جمالي يمنح النص إيقاعا مميزا إذا وظف بمقصديه معينة، ولو استطرد عما كتب في مجال الألفاظ ووقعها الموسيقي الذي يتناسب مع سياقاته لوجد الكثير من إشارات اللغويين والبلاغين والنقاد .[١] .

يقول ابن الأثير " فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة ولين أخلاق ولطافة مزاج ... وعلى هذا الأساس شبهوا ألفاظ أبي تمام بالفرسان المقاتلين ، وألفاظ البحتري بالغيد الحسان "[٢] لأن أبا تمام قد أكثر من استعمال الألفاظ ذات الجرس القوي الضخم ، في حين أكثر الثاني من استعمال ذات الجرس الناعم الهادئ ، فالجرس يوحي في نفس المتلقي صورة ذهنية تناسب إيقاعه ، وتشيع في نفسه جواً نفسياً معيناً . والبلاغيون قد عبروا عن هذه الظاهرة بتجسيدهم الصورة يوحيها جرس اللفظة ، لشخوص حية تتناسب والجو الموسيقي النفسي الذي يحدثه إيقاع الجرس . [٣] هذا وغيره يثبت قيمة اللفظ المختار ومايعكسه من اثر في انتاج الدلالة التي ارادها المنشئ.والمنشئ هنا الامام (ع) اذ عمد الى اختيار بعض الالفاظ القرانية المناسبة لما يتحدث عنه ،وبشكل تلمح دلالته من ذلك التوظيف.

---

(١) ينظر: العين ،وينظر:سر الفصاحة ، وينظر:البيان والتبـــــــــــيين .

(٢) المثل السائر: ٢٥٢/١

(٣) ينظر: جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ٤٨

ومن بدائع ما وظف من الألفاظ القرآنية استمداده لهذا المشهد القرآني في وصف الجنَّة قال تعالى : وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ{٤٦} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٤٧} ذَوَاتَا أَفْنَانٍ{٤٨} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٤٩} فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ{٥٠} الى نهاية السورة ، حيث تدفق النعيم وتنوع المشاهد بألوانٍ وصور مختلفة ، استلهم الإمام (ع) تلك الصورة موظفاً مفردة (أفنان) لتحتشد فيها المعاني ويتجلى فيها الجانب الجمالي الموسيقي المكمل للنص ،

يقول (ع) ((فَلَوْ رَجَعْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَ لَذَّاتِهَا وَ زَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا وَ لَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَافِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا وَ فِي تَعَاشِيقِ أَكْمَامِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَ أَفْنَانِهَا وَ طُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا))[1] موفقاً بينها وبين الألفاظ الأخرى في النسق الصوتي (شهواتها ، لذاتها ، مناظرها ، عروقها ، أنهارها ، عساليجها ، أكمامها)منهياً إياها ب(ألف الإطلاق) مراعاة لجمال المبنى وتفعيلاً لإطلاق دلالات المعنى بما يحكيه عن نعيم الجنَّة وجمالها ، لذلك ناسب المد تلك الصورة .يقول كوهين : ((أن علاقة الصوت والمعنى هي علاقة اعتباطية غير ان هذا لا يصدق الا على الدليل المفرد فبمجرد ماتنقل الى النسق تبرز المناسبة بين الصوت المعنى))[2] زد على ذلك ما يستثمر من معنى كلمة (أفنان)فالفنن : ((الغصن وقيل الغصن القضيب يعني المقضوب والفنن ما تشعب منه والجمع أفنان ، أما ذواتا أفنان ذواتا ألوان من النعيم أو أنواع من الأشجار والثمار ، وقيل ظلّ الأغصان على الحيطان))[3].

استعملها الإمام (ع) بزيادة مطلقة في المبنى لغرض المبالغة في المعنى ومن ثم شدِّ المتلقي وتنبيهه الى حقيقة الجنة المعدَّة له إذ ان (أكثر هذه الألفاظ المستعملة في هذا النص استعارات إذ ليست أشجار الجنَّة وأنهارها وكثبان مسكها وكبائسُ لؤلؤها كما هو المحسوس بل أعلى من ذلك وأشرف)).[4] لذلك جاء(ع) بما ذكره القرآن عن الجنة وصفاتها لتوسيع المعنى وإضفاء جماليةٍ عليه

---

(١) شرح نهج البلاغة : خ ١٦٦ /٩: ٢١٣
(٢) بنية اللغة الشعرية :جان كوهين : ٧٥
(٣) التبيان في تفسير القرآن : الطوسي : ٩ / ٤٧٩ ، تفسير الصافي : ٥ / ١١٣ ، الميزان : ١٩ /١٢٣
(٤) من بلاغة الإمام علي (ع) في نهج البلاغة : ٣٩٠

وتبقى بعض الألفاظ بما تحمله من موسيقى ذات متعة فنية مؤثرة [1] لأنها تمثل بؤرة لتجمع الدلالة ، يقول (ع) : ((اصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ [إِيمَانَهُمْ] لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَأَتْرَبِإِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ.)) [2]

وهو نص يحيل الى مرجعيات قرآنية كثيرة *تحدث فيه الإمام عن اصطفاء الأنبياء وتبليغ الرسالات ، وجحود الخلق وكفرهم بما جاءت به الرسل . وغيرها وصولاً الى آيات القدرة الآلهية وفي مقدمتها ((من سقف فوقهم مرفوع)) وهو مقتبس من قوله تعالى((والسَقف المرفوع)) [الطور : ٥] والمراد من السقف السماء اذ سميت السماء سقفاً لانها للأرض كالسقف للبيت [3] اما الرفع فيقال تارة في الأجسام الموضوعة اذا أعليتها عن مقرها ، قال تعالى : ((اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)) [الرعد : ٢].. وتارة في المنزلة اذا شرفتها نحو قوله تعالى ((وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ))[الزخرف : ٣٢][4]

وظَّف الإمام (ع) تلك الألفاظ في كلامه فأضفت انسجاماً موسيقياً بين الجمل (من سقف فوقهم مرفوع ومهادٍ تحتهم موضوع) من جانب وقوة في التعبير والمعنى من جانب آخر اذ انَّ آيات السماء أعظم من آيات الأرض لذلك قدم السقف وآخر الأرض (ومهادٍ تحتهم موضوع) مع زيادة ذلك بالتوكيد من خلال الفصل بالظرف (فوقهم)[5] بين الصفة والموصوف ، لاستشعار عظم النعمة والقدرة الآلهية بعد الجهل بميثاقه واتخاذ الأنداد معه .

---

(١) ينظر:الفاصلة القرآنية : محمد ألحسناوي : ٣٨
(٢) شرح نهج البلاغة : خ ١/١: ١٢٣
*ينظر : (آل عمران : ٣٣) ، (الأحزاب : ٧) ، (الأحزاب : ٣٩) ، (فصلت : ٩) ، (الطور :)
(٣) ينظر:مجمع البيان /١٦٣/٥ الميزان ٣/١٩
(٤) ينظر:مفردات ألفاظ القرآن: ٣٦٠ /٣٦١
(٥) ينظر:معاني النحو : فاضل صالح السامرائي : ٤ / ١١٣

ومن باب آخر يلمح تأثر الإمام (ع) بأسلوب القرآن في خطاباته المتنوعة ، حيث ان آية الطور هي من سورة مكية والسور المكية تميزت بإيقاعها السريع وقصر فواصلها للدلالة على الزجر والتنبيه [١]بحكم طبيعة المجتمع المكي وتمرده على القيم المنزلة ، هذا بطبيعته انعكس على نص الإمام (ع) من حيث التوظيف والوقع السريع؛ لما في المجتمع الذي عاصره من مشابهة كبيرة بالمجتمع الذي واكب نزول القرآن الكريم. وبذلك كان التعبير مناسبا لما وصفه ؛((اذ لايكون للعبارات من معنى الا بعلاقتها مع الواقع الذي تصفه))[٢]

من ذلك قوله (ع) : ((أَ مَا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ يَعِيداً وَ يَنُونَ مَشِيداً وَ يَجْمَعُونَ كَثِيراً كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً وَ مَا جَمَعُوا بُوراً وَ صَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ وَ أَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لاَ فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ وَ لاَ مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ))[٣] حيث يستدعي تجربة القرآن في رصده لتلك الصورة ٠

قال تعالى : { فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ }[الحج٤٥] وقوله تعالى وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً }[الفرقان١٨] عامداً الى نسق موسيقي تظهر فيه مواقع الجمال من حيث المبنى والمعنى ، لاسيِّما بعد انبعاث اللفظتين القرآنيتين (مشيداً ، وبوراً) وتلاحمهما مع النص، إذ إضافتا شحنة من الجمال على ما صُوِّر. من خلال الانسجام الموسيقي في الالفاظ: ((بعيدا ، ومشيد ، وكثيرا وقبورا ، وبورا)) بإطلاق الألف الذي ((له وضوح وظهور في السمع))[٤] للدلالة على عن المبالغة في من أخذه الأمل بزينة الحياة الدنيا ، من الأموال والقصور والأزواج حتى أصبح كلُّ ذلك الى البوار ، فالمشيد كل ما احكم من البناء فقد شيِّد البناء إحكامه ورفعه [٥]ذكر في قوله تعالى : { وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ }[الحج٤٥] للرمز إلى مباني الملوك والحكام والظلمة حيث ذهبوا ولم تغن عنهم قصورهم من الله شيئا [٦]

وظفه الإمام (ع) بإطلاق الألف (مشيدا) مراعاة لموسيقى النص ومبالغة في المعنى لان الخطبة في معرض الموعظة والنصح ؛ لذلك ناسبها مدُّ الصوت بالألف وهو من الأصوات التي يستغرق مداها حدود (٢٢٥-٣٥٠ م /ث) [٧].

---

(١) ينظر:الظاهرة الجمالية في القران الكريم -٢٠٨- والبيان في روائع القران –تمام حسان-١-٤٥٩
(٢) الأدب والدلالة : تودر وف : ١٠
(٣) شرح نهج البلاغة : خ ١٣٢ / ٨ : ٢٠٦
(٤) موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس : ٢٥٧
(٥) لسان العرب :٢٥٥/٧ ، مقاييس اللغة ٣: ٢٣٤
(٦) من هدى القرآن : محمد تقي المدرسي : ٨٠/٨ ، وتفسيرمن وحي القرآن :: ١٦ / ٩٦٧
(٧) ينظر:المنهج الصوتي للبنية العربية-٣٢ –وينظر التشكيل الصوتي في اللغة العربية –سلمان حسن العاني -١١٥ -

ومن ثم فهو ذو قدرة على محاكاة أجواء الحدث [١] وقد يعمد الإمام(ع) إلى تغيير بنية اللفظة القرآنية من حيث الشكل لدلالات تطلبها المقام وسياق الحال مثال ذلك ورد في القران الكريم (فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ) (الصافات:١١) ، واللازب اللازق ولزبت أي لصقت[٢]

ولزب دخل بعضه في بعض[٣] والطين اللازب ((أي ملتصق بعضه ببعض بحيث يلزمه ما جاوره))[٤] استعمل بصيغة اسم الفاعل للدلالة على ثبوت حقيقة خلق الانسان من ذلك الطين اللازب ((الثابت الشديد الثبوت)) [٥]؛ اذ ان اصله كان من التراب الذي خلط بالماء وبعد فترة أضحى طيناً متجمعاً ذا رائحة نتنة ثم تحول إلى طين متماسك[٦] .

وظف الإمام (ع) ذلك المشهد في حديثه عن صفة خلق آدم (ع) ، يقول (ع): ((ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَ سَهْلِهَا وَ عَذْبِهَا وَ سَبَخِهَا تُرْبَةً سَنَّهَا [سَنَاهَا] بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ وَ لَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزِبَتْ فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَ وُصُولٍ وَ أَعْضَاءٍ وَ فُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ وَ أَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وَ أَمَدٍ [أَجَلٍ] مَعْلُومٍ ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَتَمَثَّلَتْ [فَتَمَثَّلَتْ] إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا وَ فِكَرٍ يُتَصَرِّفُ بِهَا)) [٧] ، مراعياً التناسب بين الالفاظ (خلصت ، ولزبت ، واستمسكت ، وصلصلت) وبقوالب لفظية متقاربة لإحداث جوٍ نغمي يؤازر المعنى ولا ينفصل عنه اذ ان دلالة استعمل الفعل الماضي(لزبت) وما جاورها جاء لتقرير حقيقة الخلق الأولى لآدم (ع) وتثبيتها في الأذهان استشعاراً بقدرة الله وعظمته في إتقانه لذلك الخلق .

فضلاً عن ذلك يستشعر القارئ انَّ لفظة (ولزبت) هي مناط الدلالة ومركزها اذ اكتمل المعنى عندها ، بعد الجمع والسَّن وصولاً إلى التماسك المعبَّر عنه ب(ولزبت) ، وهذا ينسجم مع وقوعها المناسب للالفاظ الأخرى إذ يحسُّ القارئ عندها ((بأنه يقف لدى معلم من معالم السياق المتصل تحف به روائق الإيقاع وروائعه من كل جانب))[٨] علاوة على انه لايصلح غيرها أن يقع في مكانها لذلك اختارها الإمام (ع) ونظمها في نصه .

---

(١) ينظر:بلاغة الكلمة في التعبير القرآني -٣١ -٣٢
(٢) لسان العرب :٢ /٢٧١
(٣) القاموس المحيط :
(٤) تفسيرمن وحي القرآن : ١٩ / ١٩٩
(٥) مفردات ألفاظ القرآن : ٧٣٩
(٦) الأمثل في تفسير القرآن : ناصر مكارم شيرازي : ١٤ / ٢٤٧ . والإعجاز البياني للقرآن: ٣٥٦
(٧) شرح نهج البلاغة : خ: ١ / ١١٠/١
(٨) البيان في روائع القرآن: تمام حسان :١٩٦/١

وفي نص آخر يستوحي الإمام (ع) من النص القرآني موضوعاً مشتركاً ، أكد هـ (ع) في كثير من خطبه ورسائله وحكمه والمتمثل بـ (التقوى) ، إذ يقول : ((فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ وَ ذَخِيرَةُ مَعَادٍ وَ عِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ وَ نَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ وَ يَنْجُو الْهَارِبُ وَ تُنَالُ الرَّغَائِبُ فَاعْمَلُوا الْعَمَلَ يُرْفَعُ وَ التَّوْبَةَ تَنْفَعُ وَ الدُّعَاءَ يُسْمَعُ وَ الْحَالُ هَادِئَةٌ وَ الْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ))[1].

هو نص يستدعي قوله تعالى {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ }[فاطر ١٠] مظهراً اللفظة (يُرفع) بشكل مغاير لما في النص القرآني لأغراض جمالية ودلالية ، فالانسجام الموسيقي المكرر بالفعل (يُرفع ، تنفع ، يسمع) أملى على الإمام(ع) ذلك الاستعمال دون غيره إذ ان الجانب الإيقاعي يحرِّك في النفس ما لاتستطيع اللغة بكلماتها ودلالاتها بلوغه من انفعالات خفية واهتزاز يشركنا في التجربة وأغوارها [2] ما يعني ان كيفية الأداء الصوتي الكلامي تسهم إلى حدٍ كبير في تحديد مفهوم الرسالة اللغوية لأن الإذن تنفعل بكل ما تسمع وتتفاعل معه [3].

وهذا ما توخاه الإمام (ع) في استعمال (يرفع وتنفع ويسمع للعمل والتوبة والدعاء) بذلك الإطار الموسيقي المنتظم لأحداث اكبر اثر في المتلقي . أما المقصد الدلالي في المفارقة الاستعمالية بين (يرفع) في النص النهجي و (يرفعه) في النص القرآني فتعود إلى المعنى في كلٍّ منهما فالرفع ، ((من الراء والفاء والعين أصل واحد يدل على خلاف الوضع تقول رفعت الشيءرفعاً وهو خلاف الخفض))[4].

وتارة يقال في البناء اذا طولته .. او في الذكر اذا نوهته أو في المنزلة إذا شرفتها [5]استعمل بمعناه المعنوي في النص القرآني فقوله{وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ }أي ان العمل لايبقى في الأرض ليكون مجرد حركة تنطلق في نشاط الناس ثم تموت في ذهاب الصورة وغياب الزمن بل يرتفع إلى الله في معناه الإيماني ووحيه التوحيدي وروحيته الإنسانية الرسالية المتعلقة بالله الخاضعة له النافعة للإنسان والحياة))[6]

أمّا من الرافع ففي ذلك وجوه احدها العمل الصالح يرفع الكلم الطيب الى الله فالهاء في يرفعه يعود الى الكلم وهو معنى قول الحسن والثاني على القلب من الأول أي والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب والمعنى ان العمل الصالح لاينفع الا اذا صدر عن التوحيد عن ابن عباس والثالث ان المعنى العمل الصالح يرفعه الله لصاحبه أي يقبله ، عن قتادة [7].

---

(١)شرح نهج البلاغة : خ ٢٢٥ /١٣ : ٦
(٢) جماليات الأسلوب ، الصورة الفنية في الأدب العربي : فايز الداية : ٦٣
(٣) ينظر:من سمات الأداء في ثقافة العرب الاولين (الإيقاع): ١٣
(٤) مقاييس اللغة : ٢-٤٢٣
(٥) ينظر:مفردات ألفاظ القرآن : ٣٦٠ – ٣٦١
(٦) من وحي القرآن : ١٩ / ٩٦
(٧) ينظر:مجمع البيان :٤٠٢/٤، الميزان :٢٠/١٧ ، من هدى القرآن :٣٠/١١

فضلاً عن تخصيصه أي العمل بالوصف الصالح ، وزيادة الضمير (الهاء)في الفعل يدل على تخصيص الدلالة وتوكيدها ، أما قول الإمام (ع) (يُرفع) بالبناء للمجهول *فيه تركيز الاهتمام على الحدث [١] والحدث هنا العمل والحذف للضمير – الهاء، يدل على إطلاق الدلالة ، فالعمل من خير وشر يُرفع ، وعليه يجازى في الآخرة { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ }[الزلزلة:٧-٨]

وهذا ما يشير إليه سياق الخطبة فالخطاب موجه للجميع ((داعياً الى العمل والتقوى ، أي اعملوا في دار التكليف ، فأن العمل يوم القيامة غير نافع))[٢]وبهذا تكون الالفاظ لها دلالتها الجمالية والمقصدية في الاستعمال ، لا لغرض التناسب الصوتي فحسب بل امتدت لإضفاء معنى يتناسب ومعطيات السياق.وعند الانتقال الى مشهد من مشاهد خلق الكون تتضح قيمة الجمال الفني في التصوير والإبداع والتوظيف للنص القرآني عند الإمام (ع) إذ يقول : ((فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلاَهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَسَمْكاً مَرْفُوعاً بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا وَلاَ دِسَارٍ يَنْظِمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وَقَمَراً مُنِيراً فِي فَلَكٍ دَائِرٍ وَسَقْفٍ سَائِرٍ وَرَقِيمٍ مَائِرٍ))[٣] موظفاً حشداً من المرجعيات القرآنية ذات العلاقة بخلق السماء ، وما يحدث فيها ،

مثلاً قوله تعالى : { إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ }[الصافات٦]، وقوله تعالى: { إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ }[الصافات١٠] ، بنسق جمالي تتابع فيه الانسجام بين لفظتي((الكواكب والثواقب) بقالب صوتي واحد ، يضفي في تكراره متعة تجعله قريباً إلى النفس سريع العلوق بالقلب سهلاً في حفظه وترداده [٤]علاوة على إنهما من القرآن بفارق التغير في بنية (الثاقب) من الإفراد إلى (الجمع) لدلالة اقتضاها السياق .

فمعنى (الثقب) لغة : هو أن ينفذ الشيء يقال ثقبت الشي أثقبته ثقباً والثاقب في قوله تعالى : { النَّجْمُ الثَّاقِبُ }[الطارق٣] قالوا هو نجم ينفذ السموات كلها نوره[٥] ،وقال الراغب: الثاقب، المضيء [٦].

---

(١) ينظر:الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية : عائشة عبد الرحمن ٢٤٢
(٢) شرح نهج البلاغة : خ ٢٢٥ / ١٣ : ٧
(٣) شرح نهج البلاغة: خ١-١-١٠٠-١٠١
(٤) ينظر:لغة القرآن :في جزء عم ٣٥٢:
(٥) ينظر: مقاييس اللغة : ١-٣٨٢
(٦)ينظر:مفردات ألفاظ القران : ١٧٣

استعمله الإمام (ع) بصيغة الجمع (الثواقب) لان حديثه عن مطلق السماوات (العليا والسفلى) لا عن السماء الدنيا فحسب ولغرض دلالي تمثل بتعظيم الله وقدرته على ذلك الخلق المتقن .

وفي صورة أخرى يستمد الإمام (ع) الشواهد القرآنية ليجعلها في كلامه موضعاً لإشباع الدلالة ومحطة تستريح فيها النفس ، يقول تعالى : { فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُم }[الأنفال٤٨] ويقول : {فَكُنتُم عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ }[المؤمنون٦٦]

استعمل الإمام(ع) من ذلك مفردة (نكص) في قوله ((أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَ قَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ وَ عَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمِرْتُ لَمْ تُطِيعُوا وَ إِذَا دُعِيتُ لَمْ تُجِيبُوا إِنْ أُمْهِلْتُمْ خَضْتُمْ وَ إِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ وَ إِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ وَ إِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ))[١]والنكص هو الإحجام عن الشيء ، تقول أراد فلاناُ أمرا ثم نكص على عقبيه أي رجع عما كان عليه من الخير ولا يقال ذلك إلا في الرجوع عن الخير خاصة[٢].

وهو ما أراده الإمام (ع) ((أي دعيتم إلى كشف القناع مع العدو وجبنتم وهبتموه))[٣]موظفاً ذلك المعنى بصيغ متناسقة متلاحقة يرصف بعضها بعضاً في التقابل الدلالي والصوتي (مهلتم ، خضتم ، حوربتم ، حزتم ، أصبتم ، نكصتم) وبشكل جمل قصيرة ذات وقع خاص تناسب سياق الحدث القائم على التأنيب والتقريع إلى الحد الذي يتصعد فيه المعنى عند اختيار (نكصتم) بما تمثله من ((رجوع قهقهري أي المشي على الأعقاب إلى خلف وهو أقبح مشية))[٤] أو للدلالة عن شخص يسير بشكل معاكس على عقبى قدميه [٥] وبهذا مثلت اللفظة القرآنية بؤرة لتجمع الدلالة وملحظا للتناسق الجمالي في النص .

---

(١) شرح نهج البلاغة : خ ١٨١ / ١٠ – ٥٤
(٢) ينظر: لسان العرب : ١٤ /٢٥٨
(٣) شرح نهج البلاغة : خ ١٨١ / ١٠/٥٠
(٤) التبيان في تفسير القرآن : ٧ / ٣٨٠
(٥) ينظر:الأمثل في تفسير القرآن : ١٠ / ٤٢٠

الدلالـة الصـرفية نـوع مـن أنـواع الدلالـة يسـتمد عـن طريـق الصـيغ وبنيتهـا [١]بـإختلاف أنـواع الصـيغ ومعانيها ، إذ أنّ لكل صيغة معنى يناسب سياق القول ، وهو ماتلمسه القدماء في دراساتهم وأظهروه في تصانيفهم المتنوعة ، ذهب سيبويه إلى أن ما كان على وزن (فعلان) فهو يدل على الحركة والاضطراب [٢] وقيل إنّ كلّ زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى [٣] وغير ذلك من الصيغ التي اتفق على دلالاتها ولعل هذا من خصائص العربية أي بأنّ لها معاني مختلفة باختلاف أنواع البنى والصيغ [٤] قال أبو هلال العسكري : ((إذا كان الرجل قوياً على الفعل قيل فعول مثل صبور وشكور وإذا فعل الفعل وقتاً بعد وقت قيل فعال مثل علام وجبار واذا كان عادة له قيل مفعال مثل معوان ومعطاء ومن لايتحقق المعاني يظن أنّ ذلك كله يفيده المبالغة فقط وليس الأمر كذلك بل هي مع إفادتها المبالغة تفيد المعاني التي ذكرناها))[٥]ولا يقف الأمر عند هذه الصيغ ،بل يتجاوز ذلك مثلاً تختلف دلالة صيغ اسم الفاعل عن دلالة اسم المفعول وكلاهما يختلف عن دلالة صيغ المبالغة[٦]ولا سيما اذا توخى المنشئ ، الدقة في اختيار ألفاظه وصيغه [٧]من هنا كانت ملاحظ الدلالة الصرفية في البحث ترصد اختيار الصيغ الصرفية (القرآنية) في النهج ومن ثم تبين دلالتها في إطارها السياقي.

تولد بعض الأبنية التي يعمد إليها المنشئ دلالات أصلية تتولد من الصيغ والأوزان التي جاءت عليها وأخرى فرعية كان تكون من حالة التصاقها بالزوائد المختلفة [٨]

---

(١) ينظر :دلالة الالفاظ : ابراهيم انيس: ٤٧
(٢) ينظر :الكتاب : ٢ /١٤
(٣) ينظر :الخصائص :١ /٥٠٥
(٤) ينظر :ابحاث ونصوص في فقه اللغة العربية : عبده الراجحي: ٣٨٩ وينظر :العربية والغموض:حلمي خليل :٩٠
(٥) الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري : ١٢ ، ١٣
(٦) ينظر :العربية وعلم االلغة الحديث : محمد محمد داوود : ١٨٣
(٧) ينظر :الاعجاز الصرفي في القرآن الكريم : الهنداوي : ٦٢
(٨) ينظر :الكلمة دراسة لغوية معجمية : حلمي خليل : ٥٩

فضلاً عما يحمله المعنى المعجمي من اضاءات تسهم في إثراء الدلالة المنطلقة من تآزر البنية مع مكونات السياق الأخرى ، مثاله قوله (ع) في حديثه عن الملائكة :((فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلاَ فَمَلأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ مِنْهُمْ سُجُودٌ لاَ يَرْكَعُونَ وَرُكُوعٌ لاَ يَنْتَصِبُونَ وَصَافُّونَ لاَ يَتَزَايَلُونَ وَمُسَبِّحُونَ لاَ يَسْأَمُونَ لاَ يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ وَلاَ سَهْوُ الْعُقُولِ وَلاَ فَتْرَةُ الأَبْدَانِ وَلاَ غَفْلَةُ النِّسْيَانِ))[١].

وهو بذلك يستمد مرجعية قرآنية واضحة ويمتاح من دلالاتها ببنية مغايرة قد اجرى فيها تغيرا على بعض تشكلاتها قال تعالى : { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا }[غافر ٧:]فيسبحون بحمد ربهم أي ينزهون الله سبحانه عن كل ما لايليق بساحة قدسه ومن ذلك وجود الشريك في ملكه ويثنون عليه على فعله وتدبيره [٢].

استعمله الإمام (ع) بصيغة اسم الفاعل (مُسبّحون) وبصيغة الجمع باللاحقة /و ن/ للدلالة على الحدث وذات الفاعل [٣]ولذا فهو يشتمل على أمرين معاً هما المعنى المجرد الحادث من مورفيم الجذر وفاعل هذا الحادث من مورفيم الصيغة[٤]ويدل ايضاً على الحدوث والتجديد وهو ما يقابل الثبوت فقائم يدل على القيام وهو الحدث وعلى الحدوث أي التغير لأن القيام ليس ملازماً لصاحبه فضلاً عن دلالاته على من قام بالفعل أي صاحب القيام[٥]أي ان الحدوث فيه متجدد لصاحبه في احد الأزمنة الثلاثة[٦]

وبذلك تكون الدلالة هي إثبات تلك الصفة أي التسبيح للملائكة واثبات الحدث لاتبيان وقت التسبيح، فضلاً عن ان التعبير بأسم الفاعل يفيد المبالغة في الوصف [٧]

---

(١) شرح نهج البلاغة : خ١ / ١ : ١٠٦
(٢) ينظر :الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ٣٢٦
(٣) ينظر :التكملة : أبو علي الفارسي : ٥٠٨ ، والمهذب في علم التصريف : طه شلاش: ٢٥٢ ، والكلمة دراسة لغوية معجمية : ٥٧
(٤)ينظر :الكلمة دراسة لغوية معجمية : ٥٧
(٥) ينظر :شرح ابن عقيل ١٣٥/٣ ، ١٣٦ ، اوضح المسالك : ابن هشام : ١ / ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، معاني الابنية في العربية فاضل السامرائي : ٤٦
(٦) ينظر : الالسنية العربية : ريمون طحَّان: ١/ ١٥٢
(٧) ينظر : ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية : مصطفى النحاس : ٦٧

والمبالغة هنا حدوث ذلك الفعل العظيم من الملائكة تنزيهاً وتعظيما لله سبحانه وتعالى ، ولعل ما يؤكد هذا المعنى هو استعمال صيغة الجمع (مسبحون) للدلالة على العموم والشمول في ذلك التسبيح من أصناف الملائكة المتعددة فهي ((ليست في مستوى واحد وإنما لبعضها درجات رفيعة والأفعال التي ننسب أليها في القرآن هي أفعال متنوعة تعكس الأنواع المختلفة في الملائكة أو تتعلق بالمراتب المتعددة لوجودها))[١].

قال تعالى {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ }[فاطر:١] وقوله تعالى {وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ}[الصافات١٦٤] وقوله تعالى : {مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ }[التكوير ٢١] وغيرها من الآيات الأخرى التي تشير إلى عظمة ذلك الخلق المذعن لعبادة ربه .

ولعل تلك القيمة الإجمالية المستلهمة من القرآن تطرح أمام المتلقي فرصة التأثير بتلك الصفات التي تشعر بعظمة الخالق سبحانه ومدى مقدار الطاعة التي يجب إن يقدم عليها الانسان.

وفي نص آخر يأخذ الإمام من قوله تعالى : {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ }[الأنبياء١٨] لفظة (يدمغه) وهي كلمة واحدة لاتتفرع ولا يقاس عليها فالدماغ معروف ودمغته ضربته على رأسه ضربة حتى وصلت إلى الدماغ وهي الدامغة [٢] وتكون بمعنى يدمغه أي يهلكه كما يدفع الرجلُ الرجل بأن يشجه على رأسه شجة تبلغ الدماغ .. لم يكن له بعدها حياة [٣] ،او بمعنى يقهره[٤]،قال الزجاج: ((المعنى نذهبه ذهاب الإصغار والإذلال)) [٥] ليوظفها في نص جديد يقول (ع) ((اَللَّهُمَّ دَاحِيَ اَلْمَدْحُوَّاتِ وَ دَاعِمَ اَلْمَسْمُوكَاتِ وَ جَابِلَ اَلْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وَ سَعِيدِهَا اِجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَ نَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ رَسُولِكَ اَلْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَ اَلْفَاتِحِ لِمَا اِنْغَلَقَ وَ اَلْمُعْلِنِ اَلْحَقَّ بِالْحَقِّ وَ اَلدَّافِعِ جَيْشَاتِ اَلْأَبَاطِيلِ وَ اَلدَّامِغِ صَوْلَاتِ اَلْأَضَالِيلِ)) [٦] محولاً البنية الشكلية (يدمغه) إلى (دامغ) وهو اسم فاعل يشير الى الحدوث [٧] والحدوث هنا هو فعل الدمغ استعاره الإمام (ع) لهلاك الضلال ووجه الاستعارة كون الدمغ مهلكاً للإنسان فأشبه من اهلك الباطل ومحاه من أفعال الرسول (ص)[٨] ، وهو تخصيص يعضده استعمال تلك الصيغة فأسم الفاعل،((أدوم واثبت من الفعل)) [٩] وعليه يكون الدمغ ثابتاً ومحققاً على يد النبي (ص) في كسره لصولات الباطل والضلال يؤازر ذلك المعنى دخول السابقة (أل) الوحدة الصرفية المقيدة لتوكيد المعنى وتقويته المعبر عنه بـ (اسم الفاعل) المنسجم مع تلك الدلالات ،

يقول سعد مصلوح : ((إنّ من الأسباب التي تدفع المنشئ إلى إيثار كلمة أو عبارة او تركيب هو ان يكون ما اختاره أكثر مطابقة للحقيقة التي يتحدث عنها))[١٠] وهذا ما تحقق في قوله (ع) .

(١) معارف القرآن : محمد تقي مصباح اليزدي : ٨٣/٢
(٢) مقاييس اللغة : ابن فارس : ٣٠٢/٢
(٣) مختار الصحاح : ٢١١ ، وينظر :الميزان :١٤ /٢٨٥
(٤) ينظر:فتح القدير : الشوكاني : ٤٩٧/٣
(٥) معاني القرآن :الزجاج -٣ -٣١٤
(٦) شرح نهج البلاغة : خ ٧١ / ٦ : ١١٠
(٧)ينظر:مراح الأرواح في الصرف : أبو الفضائل احمد بن علي بن مسعود : ٦٧
(٨)ينظر:من بلاغة الإمام علي (ع) في نهج البلاغة : : ٢٥١
(٩)أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة -احمد مختار عمر-٩٣
(١٠) الأسلوب دراسة لغوية إحصائية - سعد مصلوح: ٢٥،٢٣

ويستمر الإمام (ع) بانفتاحه على النص القرآني مستثمراً دلالاته ومستشرفاً آفاقه لملاحظ دلالية تجسد التفاعل مع أي القرآن الكريم والتشرب بمعانيه ، يقول (ع) : ((اَلْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلاَ مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ وَلاَ مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ وَلاَ مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ الَّذِي لاَ تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ وَلاَ تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ))[1] وهو يستحضر قوله تعالى : {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ }[الزمر ٥٣] وقوله تعالى: {لَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ }[يوسف٨٧] وقوله تعالى: (لايستكبرون عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ)[الأنبياء :١٩] مع تغاير الأبنية في نص الإمام لمقاصد دلالية ، حيث تمثلها بصيغ اسم المفعول (مقنوط ، مخلو ، مستنكف) والقنوط اليأس ،[2] وفي التهذيب اليأس من الخير وقيل اشد اليأس من الشي [3] وقيل ضد الرجاء[4]والاستنكاف من نكف من الشيء واستنكفت منه أي أنفت منه وانكفته أي نزهته عما يستنكف [5] للدلالة على الحدث والحدوث وذات المفعول فضلاً عن دلالته على الثبوت إذا ماقيس بالفعل وعلى الحدوث اذا ماقيس بالصفة المشبهة [6].

فدلالته على الحدث في(مقنوط ، ومأيوس ، ومستنكف) انه لايقنط من رحمته ولا ييأس من مغفرته ولايستنكف عن عبادته دائماً وأبدا ((ففي رحمته سبحانه وتعالى عموم وسعة تشمل الخلائق في الدنيا والأخرى كما قال سبحانه { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ }[الأعراف١٥٦]))[7] هذا معنى الحدوث ، أي الدلالة الزمنية المطلقة لذلك الفعل وهو رحمة الله بعباده.

فضلاً عن أن تلك الصيغ حملت معها دلالة الوصف لله سبحانه وتعالى وبهيأة التنكير للدلالة على الإطلاق والعموم في هذه الألفاظ المتعلقة بالله سبحانه وتعالى .

وتارة تستعمل صيغة المبالغة (فعال) لغرض تكثيف الوصف وإحراز الأثر في المتلقي يقول (ع) ((وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ مَشْغُوفٌ بِكَلاَمٍ بِدْعَةٍ وَدُعَاءِ ضَلاَلَةٍ فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ ضَالٌّ عَنْ هُدَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ))[8] وهو توظيف يستدعي قوله تعالى{ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ }[العنكبوت١٣] في أنفسهم ويحملون الخطايا التي ظلموا بها غيرهم [9] .

عبر عنها الإمام (ع) بصيغة المبالغة حمال لقصد المبالغة في الوصف لذلك الحامل لأثقال غيره والمحاسب عليها ، يعضد ذلك مجيئ الصيغة بهيأة التنكير لمنح المعنى قوة وتفخيماً لذلك العمل وهو النوء بحمله وحمل الآخرين وكأنها صفة ملازمة له باقتضاء مايدل عليه هذا البناء

---

(١) شرح نهج البلاغة : خ ٤٥ / ٣ : ١١٩
(٢) ينظر:لسان العرب : ٥ـ ٣٢٨
(٣) ينظر:تهذيب اللغة : الأزهري : ٩ /٢٥
(٤) ينظر:النهاية في غريب الحديث : ابن الاثير : ٤ /١١٣
(٥) ينظر:م .ن : المكان نفسه
(٦) ينظر:معاني الابنية في العربية : ٥٩
(٧) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : الهاشمي الخوئي : ٤ /٢٤٤
(٨) شرح نهج البلاغة :خ ١٧ /١ : ٣٦٢
(٩) التبيان في تفسير القرآن : الطوسي : ٨ / ١٩٢

وهو أقوى الصيغ دلالة على المبالغة يقول الزركشي: ((تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل)) [١].وهو أكثر من الملازمة والمداومة على الصفة أو ما يمتهنه الشخص [٢]وبشكل يقتضي التكرار والاستمرار والإعادة والتجديد .[٣]

فضلاً عما يعطيه الاسم المشتق من تعلق المعنى بالذات [٤] وبهذا تتضح علة التعبير بذلك الاستعمال عند الإمام (ع) ويمكن حصرها بزاويتين : الأولى تلك الصفة حمل خطايا الآخرين في الرجل او النوع الذي يبغضه الله سبحانه وتعالى ، والثانية : المداومة على حمل خطايا الآخرين والملازمة لها بشكل ثابت جعله من بغض الخلائق الى الله سبحانه ،

ومن ثم فأن هذا الإسهام المفضي إلى تعددية المعاني هو نتيجة لتفاعل المتلقي مع النص واستجابة لموحياته ودلالاته البعيدة فضلاً عن دقة الاستعمال اللغوي وطواعية اللغة اذا ما اريد الحصول منها على أحسن أنواع الفهم [٥]يقول تعالى{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ }[الصف٢] عمد الإمام (ع) إلى محاكاة هذا النص وتوظيفه بهذا الشكل ، يقول (ع) ((قَوْلاً بِغَيْرِ عِلْمٍ [عَمَلٍ] وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ [عِفَّةٍ] وَطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ))[٦]. مستعملاً صيغة المصدر (قولاً) وباسوب الاستفهام المفضي الى التوبيخ لتثبيت حقيقة المخاطبين ووسمهم بهذه الصفات ((فعدم قيامهم بما قالوا تذكير لهم بما في ذلك من المقت الشديد والخزي الأكيد))[٧] اما لماذا استعمل المصدر فلدلالته على الحدث [٨] وغياب عنصر الزمن عنه فالمصدر حدث غير مقترن بزمان معين [٩]إذا كان مجرد عن السياق او ما يسمى بدلالة الصيغة ، والاكيف يمكن تجريد أي حدث عن وقوعه في زمن ما ، والدليل حصول ذلك التوبيخ في زمنه (ع) اذ كان محدداً بمناسبة ((وهو استنهاض أصحابه لما حدث في الإطراف))[١٠] باستعمال بدل على تثبيت تلك الحقيقة (المخالفة بين القول والعمل) ومن ثم المبالغة في وصفها ((فالتعبير بالمصدر يكسب الكلام معنى المصدرية والحالية))[١١]وهو سمة من سمات الاختيار عند المبدع ،فالمبدع هنا ((اختار من الصيغ والألفاظ ما هو انسب للتعبير عن تجربته ومعانيه الدقيقة))[١٢] .

---

(١) - البرهان في علوم القران : ٢/ ٥٢١
(٢) ينظر:معاني الابنية في العربية : ١٠٩
(٣) ينظر:م.ن : ١٠٩
(٤) ينظر:البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : الزملكاني : ١٠٤
(٥) ينظر:استقبال النص عند العرب : : ٢٥٧
(٦) شرح نهج البلاغة : خ ٢٩ / ٢ : ٩٠
(٧) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٤ / ٢١
(٨) ينظر:اللمع في العربية : ابن جني : ١١٤، والنيابة النحوية من خلال القرآن الكريم : هادي نهر : ٥٨
(٩) ينظر:الكلمة دراسة لغوية معجمية : ٥٧ ، ، ١٣٦ ، والنيابة النحوية من خلال القرآن الكريم : ٣٩
(١٠) شرح نهج البلاغة : خ ٢٩ / ٢ : ٩١
(١١) معاني النحو : فاضل السامرائي : ٢ /٧٢
(١٢) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ٦٩

وفي قوله (ع): ((ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ وَسَكَائِكَ الْهَوَاءِ))وهو معنى مأخوذ من قوله تعالى {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا }[الأنبياء٣٠][1] استعمل المصدر (فتق) بدلاً من الفعل – وهو ((أصل صحيح يدل على فتح في شيء))[2] قيل في معناه أقوال : كانتا رتقاً أي ملتصقتين ففصل الله بينهما بهذا الهواء وقيل كانتا رتقاً السماء لا تمطر والأرض لاتنبت ففتق الله السماء بالمطر والأرض بالنبات .. وقيل معناه كانتا منسدتين لا فرج فيها فصدعهما عما يخرج منهما [3] . لتأكيد ثبوت تلك الصفة (الفتق)في صاحبها وهو الله سبحانه وتعالى تعظيماً وإجلالاً على سبيل الدوام والاستمرار ، لذا ناسبها استعمال الاسم لكونه غير مقيد بزمن من الأزمنة فهو اشمل واعم واثبت [4]

فضلاً عن أنّ السياق كله سياق حمدٍ وثناء على الخالق في قدرته وإتقانه وحكمته حتى سميت تلك الخطبة بخطبة (التوحيد) [5]ومن ثم فالأولى استعمال المصدر لانسجامه مع مطالب المقام والسياق وهذا ما توخاه (ع) في كلامه .

ومثله قوله (ع) إِنَّ((الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ))[6] حيث استعمل المصدر (وفاءً) في سياق المدح بكونه رديفاً للصدق الذي ورد كثيراً ومؤكداً في القرآن الكريم لعظيم مكانته ورفعة منزلته ، قال تعالى{الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ }[الرعد٢٠] وقوله تعالى :{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً }[الإنسان٧]

وغيرها من الآيات المتضمنة لتلك اللفظة التي تعني ما يقابل الغدر يقال وفى بعهده وفاءً .. ووفى الشيء يفي بالكسر .. أي تم وكثر [7].

تمثلها الإمام (ع) بذلك التشكل المصدري للدلالة على إبراز تلك الفضيلة واستحضارها بشكل دائم في ذهن المخاطب لما تدل عليه الصيغة من ثبوت وفي نص آخر يقف الإمام (ع) عند قوله تعالى : {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ }[الأنبياء٢٠]أي ينزهون الله دائماً ولا يضعفون عن ذلك ولا يسامون وقيل يصلون الليل والنهار [8] قال الزجاج :((أي لايشغلهم عن التسبيح رسالة مجرى التسبيح منهم كمجرى النفس منا لايشغلنا عن النفس شيء فكذلك تسبيحهم دائم)) [9].

---

(١) شرح نهج البلاغة: خ١ / ١ : ١٠٠
(٢) مقاييس اللغة :٤ /٤٧١
(٣) ينظر:التبيان في تفسير القرآن : ٧ / ٢٤٢
(٤) ينظر:معاني الأبنية في العربية : ٩
(٥) ينظر:شرح نهج البلاغة : ١/١ : ١٠٣ ، ١٠٤
(٦) م. ن خ ٤١ / ٢ : ٢٤٥
(٧) مختار الصحاح : ابو بكر الرازي : ٧٣٠
(٨) فتح القدير :٣ /٤٩٨
(٩) معاني القرآن –الزجاج-:٣١٤/٣ -تفسير القران الكريم –شبر٣١٦

ويتحدث عنه بشكل آخر يقول (ع) :((لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَا يَغْفُلُ وَلَا يَسْهُو وَلَا تَأْخُذُهُ فَتْرَةٌ وَلَا وَسْنَانٌ)) [1] محولاً الفعل إلى مصدر (فترة) ، والفتور سكون بعد حدة ولين بعد شدة وضعف بعد قوة [2] ويقال افتر الرجل فهو مفتر اذا ضعفت جفوته وانكسر طرفه . [3]

أراد به الإمام (ع) نفي ذلك الحدث (الفتور) عن الملائكة ولو لمرة واحدة استشعاراً بعظمة طاعتهم وانقيادهم لله سبحانه وتعالى ((فهم من الذين لايملون التسبيح والتحميد له سبحانه))[4]

قال السيوطي : ((ليس في كلامهم المصدر للمرة الواحدة الا في فعلة))[5] مجرداً عن الزمن وهذا يعني ثبوت تلك الحالة وتواردها بصفة تلازمية لايمكن ان تتغير او تتوقف زد على ذلك ان قيمة الدلالة المنتجة جاءت منسجمة مع حجم الطاعة المقدمة لله سبحانه وتعالى والموظفة بصيغ تدل على فخامة ذلك الحدث (نوم العيون ، سهو العقول، فترة الأبدان ،غفلة النسيان)

وكلها مصادر تشير إلى ثبوت ذلك الفعل الصادر من الملائكة وفي الوقت نفسه يؤكد تسامي ذلك الصنف من المخلوقات على تلك الطاعة الدائمة.

---

(١) شرح نهج البلاغة: خ ١ / ١ : ١٠٦
(٢) ينظر:مفردات ألفاظ القرآن :: ٦٢٢
(٣) ينظر:النهاية في غريب الحديث :٣ /٤٠٨
(٤) شرح نهج البلاغة : خ١ / ١ : ١٠٧
(٥) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : السيوطي : ٢ / ٨٠

: دلالة صيغ الجمـوع

إنّ التنوع في استعمال صيغ الجموع واختيار صيغة بعينها يسهم في إثراء الدلالة وتنوعها من حال إلى حال فالتحول عن فكرة الكلمة في التحليل اللغوي الصرفي إلى فكرة الوحدة الصرفية (المورفيم) قصد إلى الدقة والوضوح والموضوعية [١]

وهو بلا شك يعني إنّ كل صيغة لها مكانها ودلالتها في الاستعمال وإيثار واحدة بعينها له دواعيه ومقاصده يقول (ع) :((اتَّقُوا اللَّهَ بِلَعِنِيَّ أَنْتَهُ وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ إِنْ أَسَرَرْتُمْ عَلِمَهُ وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةً كِرَاماً لاَ يُسْقِطُونَ حَقّاً وَلاَ يُثْبِتُونَ بَاطِلاً))[٢].

وهو إشارة لقوله تعالى : وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ{الانفطار ١٠-١١} يعني من الملائكة يحفظون عليكم ماتعملون من الطاعة والمعصية [٣]آثر الإمام (ع) استعمال (حفظة) وهي على وزن (فعلة) .

قال سيبويه : ((أما ما كان(فاعلاً)يكسرونه على (فعلة) وذلك نحو فسقة وبررة وجهلة وظلمة وفجرة وكذبة)) [٤]، وقد جاء في جميع القرآن جمعاً لـ (فاعل) كورثة جمع وارث وحفظة جمع حافظ وسفرة جمع سافر وكذلك فجرة وكفرة [٥] ويكون ((جمعاً لوصف مذكر عاقل صحيح اللام)) [٦] لمقصد دلالي يكمن في تخصيص هذا الصنف من الخلق وهم من الملائكة لحفظ العباد وإحصاء إعمالهم ، من دون غيرهم من الخلق لان ((هذا الجمع يدل على الصنف المعين من العقلاء ويفتقر إلى معنى الحدث))[٧]في العمل المخصوص ، إذ إنّ أعمال الملائكة متنوعة منها ما يكون بإعطاء البشارة للمؤمنين :إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ }[فصلت ٣٠] ومنها ما يقتضي تسجيل أعمال عباد الله كقوله تعالى : { وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ }[الانفطار ١٠-١١] وقوله : {إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ }[يونس:٢١] وقوله :{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ }[ق :١٨]

---

(١) ينظر:العربية وعلم اللغة الحديث : ١٦٤
(٢) شرح نهج البلاغة : خ ١٨٤ / ١٠ : ٩٢
(٣) ينظر:التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٢٩٢ ، مجمع البيان : ٥ / ٤٥٠
(٤) الكتاب : ٣ / ٦٣١
(٥) ينظر:مفردات ألفاظ القرآن :٤١
(٦) التطبيق الصرفي ١١٧ ، معاني الأبنية في العربية : ١٥٠
(٧) معاني الأبنية في العربية : ١٥١

ومنها ما يمد المؤمنين إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ }[آل عمران ١٢٤][١] وغيرها من الإعمال الأخرى التي انطلق منها الإمام (ع) لتحديد ما يبتغيه من تلك الأنواع وبصيغة تناسب ذلك وتدل على أسميتهم فكان الوزن (فعلة) هو ما يثبت ذلك وفي استعمال آخر تظهر المقصدية في الاختيار عند الإمام (ع)

يقول :((وَإِنْ كَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ تَرِدُ عَلَيْكُمْ تَرِدُ وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ إِلَيْكُمْ تَرْجِعُ فَمُحْتَلِمُ الظَّلَمَةِ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ وَأَلْقَمْتُمُ لَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ))[٢] والظلمة جمع ظالم من صيغ جموع التكسير وظفت لغرض التأكيد والتخصيص ، في تبيان منزلة الظلمة وكونهم ممن يضل ويثير الشبه ويبعد عن الحق

وهو تحرٍ دقيق الاستعمال يكشف عن تحديد هذا الصنف وطبيعة عمله وهم (الظلمة دون غيرهم) الذين ورد ذكرهم بمقاصد متنوعة في القرآن الكريم قال تعالى وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }[التوبة :٢٣] الذين ظلموا أنفسهم وتمردوا على ربهم وظلموا الحياة فيما يمثله موقفهم من عدوان على الحياة في إضعاف الحق وتقوية الباطل [٣] وغيرها من الآيات

أما الطبيعة فلها دلالتها عند الإمام (ع) . يقول : ((فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا وَحَمَلَ شَوَاهِقَ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلَى كَتِفَاتِ مَرَابِيعِ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا))[٤] والشّمخ هي صفة للجبال قد وردت في قوله تعالى : { وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتاً }[المرسلات٢٧] أي وجعلنا في الأرض جبالاً ثابتة عالية فالشامخات العاليات[٥]

بلحاظ التباين في استعمال الإمام (ع) اذ أوردها (ع) بصيغة جمع التكسير لما يدل عليه من حركة وكثرة القيام بالفعل [٦] فالجبال هي كالمرساة تمنع الأرض من الاهتزاز ، أي لو لم تكن هذه الجبال لكان في الأرض استعداد للاهتزاز دائماً [٧]وعليه يتناسب ذلك الاستعمال مع حركة الأرض المستمرة ودور الجبال في حفظها من الاضطراب فضلاً عن السياق الذي يشير إلى الحركة الظاهرة لخلق الأرض والمسارات المرتبطة بها (الماء والجبال والعيون) وغيرها .

---

(١) ينظر:معارف القرآن : ٢/ ٩٠ – ٩١
(٢) شرح نهج البلاغة : خ ١٠٥ / ٧ : ١٣٨
(٣) ينظر:تفسير من وحي القرآن ٦١/١١
(٤) شرح نهج البلاغة :خ ٩٠ / ٦ : ٣٣٨
(٥) ينظر:التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٢٢٨ ، الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٢٥٣
(٦) ينظر:معاني الابنية في العربية : ١٥٢
(٧) ينظر:معارف القرآن : ٢ / ٥٠

وفي نص آخر يقول (ع) : ((لِمَا قَدْ بَسَطَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وَ أَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ))[1] وهو تكرار مكثف في استعمال الصيغ (جهائل جهّال) (وأضاليل و ضلّال) يشير إلى مقت الموصوف بتلك الخصال ، التي ذمها القرآن الكريم في عدد من آياته قال تعالى : { إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ }[هود٤٦] وقوله تعالى :ثُمَّ إِنَّكُم أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ }[الواقعة٥١] التي استلهم الإمام (ع منها نصه .

أما دلالة الصيغ المستعملة (جهالّ وضلّال) فيكمن في أنّ من دلالات هذا البناء هو التكثير والمبالغة في القيام بالفعل [2] والفعل هو اكتساب الجهل والضلال بشكل مفرط ومفسد للحال نتيجة تصور خاطئ للمعرفة وإدعاء في العلم لذلك ناسبه هذا الجمع للإشارة إلى تلك الحقيقة الموصوفة . ويطرد وصف آخر على هذا الوزن يصف فيه الإمام (ع) أحوال أهل الدنيا وما يعتريهم من تبدل حال وسوء موقف ،

يقول (ع) : ((دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ وَ بِالْغَدْرِ مَوْصُوفَةٌ لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا وَ لَا يَسْلَمُ نُزَّالُهَا))[3] والنُّزال بالضم وتشديد الزاي: جمع نازل [4] ، قد وظف بأقصى غايات التعلق والمبالغة في حب الدنيا وبوزن فعال للدلالة على نفي ذلك التعلق والاطمئنان إليها حيث لاخلود ولا نعيم مستمر.

ويستمد (ع) وصفاً آخر من القرآن الكريم ليحرك المتلقي ويجعله يتواصل باستمرار مع ما اعدّ له وبخاصة إذا كان الموصوف هو الجنة ، يقول (ع) : ((دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ وَ مَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَ لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا وَ لَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا وَ لَا يَبْأَسُ [يَيْأَسُ] سَاكِنُهَا))[5] وهو بذلك يحفز المخاطب لنيل تلك الدرجات والمنازل الخالدة ، قال تعالى : { جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً }[الكهف١٠٧] وقوله تعالى : {فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً }[السجدة١٩] .

---

(١) شرح نهج البلاغة : خ ٨٦ / ٦ : ٢٨٩
(٢) ينظر:معاني الأبنية في العربية : ١٤٨
(٣) شرح نهج البلاغة : خ ٢٢١ / ١١ : ١٩٧
(٤) ينظر:نهج البلاغة :محمد عبده:٣٢٧
(٥) شرح نهج البلاغة : خ ٨٤ /٦ :٢٧١ .

انطلق الإمام (ع) من ذلك التفاوت بين تلك المنازل (الفردوس ، المأوى ، النعيم ، الخلد) وبصيغة التنكير لغرض الترغيب والانشداد إليها وبصيغة جمع التكسير (مفاعل) وهي صيغ تطرد في جمع الثلاثي المزيد لغرض الإلحاق بالرباعي او الخماسي شرط ان يكون مبدوءا بالميم وليس الزائد قبل آخره حرف مد وذلك نحو (مفعل) وصف للمذكر والمؤنث واسم الآلة نحو (مدعس) ومداعس ومبرد ومبارد ... وفي ما لحقه التاء نحو (مفعلة) مثل مكرمة ومكارم [١]

ومن ثم فهي تحمل معنيين إمّا أن تكون جمع (منزلة) وتفيد المبالغة في مراتب تلك الجنان والتفاوت فيما بينهما وإما أن تكون جمعاً (لمنزل) مفيدة للمكان الذي يستوطن فيه صاحبه وهي مشعرة أيضا بعظمة الجنان وتبيانها . وكلاهما مستمد من القرآن الكريم غايته حث الانسان والتوجه الى تلك المنازل الرفيعة من خلال ما امر به ونهي عنه في هذه الحياة .

وتبقى أغلب نصوص الإمام (ع) مستندة إلى الواقع في كثير من كلماته ، حتى يستطاع قراءة الكثير من نصوصه في ضوء الأحداث المعبر عنها ، يذهب الدكتور صلاح فضل إلى ان إنتاج الدلالة يأتي من حالة التنقل من الأداء اللغوي الآلي ؛ لغرض لفت الانتباه بالتشكل الذي يجعل من النص يغدو جماليا [٢] وهذا ما يتلمس في قوله (ع) ((عَدَلُوا بِالْمَسِيرِ إِلَى قَلِيبٍ عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ وَمُوزِعِينَ بِالْجَوْرِ لَا يَعْدِلُونَ عَنْهُ بِمُجَافَاةٍ عَنِ الْكِتَابِ نُكُبٍ عَنِ الطَّرِيقِ)) [٣] قال الراغب : ((نكب عن كذا أي مال قال تعالى : { عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ }[المؤمنون ٧٤]))[٤] أي ان هؤلاء الموصوفين بعدم الإيمان بالآخرة عن ذلك الصراط او جنس الصراط لعادلون عنه [٥]، استعمله الإمام (ع) بمغايرتين الأولى عن حدث او صف دنيوي والثانية ، استعمال جمع التكسير (نكب) وهي جمع ناكب ، لغرض إثبات صفة القوم الحيارى عن الحق بكونهم (حيارى ، موزعين بالجور ، جفاة عن الكتاب ، نكب عن الطريق) وهي صفات تقتضي التعبير بما يدل على الاسمية او يقترب منها ويبتعد عن الحدث ، فكان جمع التكسير المناسب لذلك الوصف المحمل بإظهار حقائقهم المعلنة والخفية تجنباً واستشعاراً من خطرهم.

---

(١) ينظر:الكتاب : ٣ / ٦١٢ ،
(٢) ينظر:الأساليب الشعرية المعاصرة : صلاح فضل : ١٣٨
(٣) شرح نهج البلاغة : خ ١٢٥ / ٨ : ٨٣
(٤) مفردات ألفاظ القرآن : ٨٢٢ ، لسان العرب : ٦ ، ٢٥١
(٥) ينظر:فتح القدير : ٣ / ٦١٣

وبهذه التغيرات في البنى اللسانية تكون كل طريقة في القول هي حقيقتها قول شيء مختلف [١] يؤدي معنى مغايرا تفرضه طبيعة النص بمكوناته المختلفة .

ومما ورد في وصف الملائكة قوله (ع) : ((مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ وَصَافُّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ))[٢] أي صافون في الصلاة بين يدي خالقهم لايتزايلون [٣] والصف هو ان تجعل الشيء على خط مستو كالناس والأشجار ونحو ذلك[٤] ،

قال تعالى : { وَالصَّافَّاتِ صَفّاً }[الصافات ١] أي التي تصف في السماء من الملائكة كصفوف الخلق في الدنيا .. وقيل المراد بالصافات هنا الطير . [٥]

وظف الامام (ع) ذلك المشهد بصيغة جمع المذكر السالم (صافون) لتثبيت ذلك الحدث وهو أنهم ((قائمون صفوفاً لايتفارقون))[٦] مدى الزمن بحكم ما يدل عليه جمع الصفات اذا جمعت جمعاً سالماً فانها تقترب من الفعلية [٧]

ومثال ماورد في جمع القلة قوله (ع) : ((وَقُوداً أَمْثَالَ مَدَارٍ وَمُرُوبُونَ أَقْتَاساً وَمَقْبُوضُونَ أَحْضَاراً وَمُضَمَّنُونَ مُضَمَّرُونَ أَجْدَاثاً وَكَائِنُونَ رُفَاتاً وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً وَمَدِينُونَ جَزَاءً وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً))[٨] والفرد اصل صحيح يدل على وحدة من ذلك الفرد وهو الوتر [٩] والفرد الذي يختلط به غيره فهو أعم من الوتر واخصّ من الواحد جمعه أفراد وفرادى [١٠]

ورد في القرآن الكريم بصيغة الإفراد قال تعالى : { وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً }[مريم٩٥] وقال تعالى : { جِئْتُمُونَا فُرَادَى }[الأنعام٩٤]وفرادى جمع فرد كسكارى جمع سكران وكسالى جمع كسلان والمعنى جئتمونا منفردين واحداً واحداً كل واحد منفرد عن أهله وماله وما كان يعبده من دون الله فلم ينتفع بشيء من ذلك [١١] وقد تكون فرادى واحدها فريد نحو اسير واسارى .[١٢]

---

(١) ينظر:الأسلوب والأسلوبية : غرا هام : ٢١
(٢) شرح نهج البلاغة : خ١ /١ : ١٠٦
(٣) ينظر: م . ن : خ١ / ١: ١٠٧
(٤) ينظر:مفردات ألفاظ القرآن : ٤٨٦
(٥) ينظر:روح المعاني :٢٣ /٨٧
(٦) نهج البلاغة : صبحي الصالح : ٢٠
(٧) ينظر:معاني الأبنية في العربية : ١٤٤
(٨) شرح نهج البلاغة : خ ٨٢ / ٦ : ١٩٩
(٩) ينظر:مقاييس اللغة :٤ /٥٠٠
(١٠)ينظر:مفردات الفاظ القرآن : ٦٢٩
(١١)ينظر:فتح القدير ٢ / ١٧٨
(١٢)ينظر:مفردات ألفاظ القران :٦٢٩

أما (أفراد) فهو جمع قلة على وزن أفعال يكثر في (فُعل)[١] وليس بالضرورة أن يكون هذا الجمع دالاً على القلة لان العرب تضع احد البناءين صالحاً للقلة والكثرة فيستغنون بكل واحدٍ عن الآخر [٢].

ومن ثم دلالته عند الإمام (ع) نفسية تبين ما يصير إليه الانسان وينتهي إليه من القبض والقبر والرفات والبعث (المنفرد عن الأهل والمال)[٣] . وأخرى جمالية تكمن في التوافق بين الفواصل (اقتداراً ، واحتضاراً ، وأجداثا ، ورفاتاً ، وإفرادا) لما في ذلك من وقع يشد السامع ويقلقه بوساطة ذلك الإطلاق وقصر الفقرات المكون منها النص .

وقد يؤتى بصيغ جمع التكسير (فواعل) على سبيل المبالغة والتكثير في الإنذار والتذكير بحجج الله بقوله : ((وَأُنْذِرُكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ فَأَحْصَاكُمْ عَدَداً وَوَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً فِي قَرَارِ خَبْرَةٍ وَدَارِ تَجْرِبَةٍ تُمْخَضُونَ فِيهَا وَتُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا))[٤]والبوالغ هي (الظاهرة البينة)[٥]أعاد الإمام (ع) تشكيلها بصياغة الجمع بعد إفرادها في قوله تعالى :{قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ }[الأنعام١٤٩] قصداً في المبالغة والإظهار لتلك الحجج لأنّها مؤثرة على الناس ، وبصيغة اسم الفاعل الجمع (البوالغ) دلالة في استمرار تلك الحجج الظاهرة البينة على الإنسان .

---

(١) ينظر :في علم الصرف :د ،أمين علي السيد :١١٠ ، معاني الأبنية في العربية : ١٣٥
(٢) شذا العرف في فن الصرف : ٩٩
(٣) تفسير القرآن الكريم : شبر : ١٦٠
(٤) شرح نهج البلاغة : خ ٨٢ / ٦ : ١٩٣
(٥) نهج البلاغة :صبحي الصالح : ١٢١

. دلالات أخرى

تؤكد الدراسات الحديثة أنّ المتلقي لايتفاعل مع النص أو يستجيب له إلا إذا كان ذا صلة بواقعه وحياته .[1]ومفردة مثل الموت ذات وقع كبير في حياة الانسان فكانت ولا تزال تمثل القادم المخيف والمقلق لوجوده، يقول (ع) : ((الْآنَ عِبَادَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ مُهَلٌ وَ الرُّوحُ مُرْسَلٌ فِي فِنَاءَةِ الْإِرْشَادِ وَ رَاحَةِ الْأَجْسَادِ وَ بَاحَةِ الِاحْتِشَادِ وَ مَهَلِ الْبَقِيَّةِ وَ أَنَفِ الْمَشِيَّةِ وَ إِنْظَارِ التَّوْبَةِ وَ انْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ قَبْلَ الضَّنْكِ وَ الْمَضِيقِ وَ الرَّوْعِ وَ الزُّهُوقِ وَ قَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ وَ أَخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ))[2] وهو يستدعي قوله تعالى : { فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ }[القمر ٤٢].

عمد الإمام الى تحويل المصدر(أخذ) إلى اسم المرة (أخذة) للدلالة على تهويل تلك الأخذة ، المنسوبة للعزيز المقتدر والمتكررة في ذهن السامع لغرض الانتباه والاتعاظ من الغفلة.

فهي في حقيقتها تدل على حدوث تلك الأخذة العظيمة والحدوث هنا قوة العزيز المقتدر وأخذه للروح؛ لذلك ناسبها ذلك الاستعمال وبتسلسل تشترك فيه مكونات السياق كافة لإبرازه بهذا الشكل.

ومثل ذلك قوله (ع) : ((فَبَادِرُوا الْعَمَلَ وَ سَابِقُوا الْأَجَلَ فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ وَ يَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ وَ يُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ فَأَصْبَحَ بَعْضُهُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ نَوْمَةٍ عَلَى سَبِيلِ عَمًى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَ قَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالْإِرْتِحَالِ وَ أُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ))[3] ،مستمدا ذلك من قوله تعالى : ((قال رب ارجعون)) (المؤمنون :٩٩) مستعملا اسم المرة (رجعة) للدلالة على الوعيد والإنذار من تحقق ذلك المصير الذي يقبض فيه الانسان كلمح بالبصر .

وفي نص آخر يقول (ع) : ((أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً وَ أَقْطَعُ مُعْتَرٍّ مَعْذِرَةً))[4] بعد تلاوته لقوله تعالى :{يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ }[الانفطار ٦].

وهو امتداد لقوله تعالى : {وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ } [الشورى١٦]والدحض أصل يدل على زوال وزلق يقال دحض رجله أي زلقت ومنه دحضت الشمس زالت ودحضت حجة فلان إذا لم تثبت .[5] معناه لاثبات لهم كالشيء الذي يزول عن موضعه[6] صاغه الإمام (ع) بصورة افعل التفضيل (ادحض) .

---

(١) ينظر:استقبال النص عند العرب : ٨٣
(٢) شرح نهج البلاغة : خ ٨٢ / ٦ : ٢١٧
(٣) م ، ن : خ ١٨٤ /١٠ :٩٨
(٤) شرح نهج البلاغة : خ ٢١٨ / ١١ : ١٨٢
(٥) ينظر:مقاييس اللغة : ٣٣٢/٢
(٦) ينظر:فتح القدير ٤ / ٦٦٤

وهو اسم تفضيل يصاغ للدلالة على أنّ شيئين اشتركا في صفة معينة وزاد احدهما على الآخر فيها [١]. أيّ الانسان حجته باطلة أمام الله سبحانه وتعالى إذا قورن بغيره ، فالإنسان مجبول على النقص وعرضة للوقوع في المعصية وهذا ما توخاه (ع) من ذلك الدحض .

وتارة يعتمد الإمام (ع) آلية التكثيف في نصه من خلال إقامة علاقات نصية مع أكثر من نص قرآني لإبراز قيمة النص المتحدث عنه ولفت انتباه السامع أليه .

يقول (ع) في قصة إبليس ((فَأَنْظَرَهُ اسْتِحْقَاقاً لِلسَّخْطَةِ وَاسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ))[٢] والنظرة مصدر بمعنى التأخير والانتظار [٣]ورد في أكثر من نص قرآني وبصياغات مختلفة .

قال تعالى قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ} [الأعراف ١٤ – ١٥]*التعبير استعمل فيه الفعل (انظرني)واسم المفعول (منظر) للدلالة على الحدث مجرد عن الزمن[٤].

أما الإمام (ع)فقد استعمل المصدر (نظرة)للدلالة على الحدث مجرداً من الزمن [٥] والحدث هنا طلب التأخير والإمهال لأجل الإغواء وعلى نحو ثابت لايمكن أن يتغير فيه ذلك الطلب بحكم مايدل عليه الاسم ، وعليه فطلب النظر هنا ومن ثم إعطاؤه يشير إلى ثبوت تلك القضية وتأكيدها .

ومن استعمالاته المصدر أيضا ، قوله (ع) : ((وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا فَقَدْ نَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا وَنَعَتَ لَكَ نَفْسَهَا))[٦] .و إخلاد الشيء جعله مبقى و الحكم عليه بكونه مبقى [٧] وعلى هذا قوله سبحانه ((ولكنه اخلد إلى الأرض)) (الأعراف :١٧٦)وظفّه الإمام (ع) بصيغة المصدر (إخلاد)للدلالة على خطر ذلك الحدث (الإخلاد) و التركيز عليه ؛لما فيه من ضياع للهدف الذي خلق من اجله الانسان ؛ لذا أورده (ع) مسبوقا بالتحذير (إياك) وذكر فعل الاغترار .

---

(١) ينظر:التطبيق الصرفي: ٩٤
(٢) شرح نهج البلاغة : خ١ / ١ :١١١
(٣) ينظر:مفردات الفاظ القرآن : ٨١٣ * وينظر : [الحجر : ٣٦] ،و [ص : ٧٩]
(٤) ينظر:معاني الابنية في العربية : ٩-٦٠
(٥) **ينظر:التطبيق الصرفي :٦٦، والمهذب في علم التصريف : ٢٢٦ ، والنيابة النحوية من خلال القرآن الكريم : ٣٩ .**
(٦) **شرح نهج البلاغة : ك ٣١ /١٦ :٦٩**
(٧) **مفردات الفاظ القران :٢٩٢ .**

المبحث الثاني: دلالات صيغ الفعل:

تبرز دلالات الكلام من خلال ما يتضمنه النص من استعمالات مقصودة ، تظهر فيها ملامح التركيز والتوخي على بعد من أبعاد الملفوظات اللغوية كأن يعمد المتكلم إلى توظيف الاسم او الفعل بأنواعهما المتعددة . او يلجأ إلى المغايرة في التركيب والخروج عن النمط المألوف في الاستعمال وغيرها من اللمسات التعبيرية ،

كل ذلك يستبطن مقاصد دلالية تنبعث من داخل السياق وأخرى خارجية تتعلق بسياق الموقف الذي يحيط بالإنتاج الفعلي للكلام في المجتمع اللغوي او السياق الثقافي بما يمثله من مفهوم واسع لثقافة المجتمع [١]لأن العلاقة بين الانسان وبيئته علاقة آخذ وعطاء وفعل وانفعال وتأثير متبادل وصراع موصول وهو في تفاعله معها يتأثر وينفعل بشتى الانفعالات ويرغب ويفكر ... ويعبر عن أفكاره ومشاعره باللفظ تارة وبالحركة والإشارة أخرى [٢].

وهو ما عبر عنه رولان بارت بقوله : ((الشكل ليس حلية ولا مجموعة قواعد بل تشخيص لأحاسيس ملتصقة بتجاويف الذات وبأعماق الموضوع)) [٣]ينطلق المنشئ في تصويرها أو تشكيلها بمعالم مناسبة لمقاصد الكلام وطبيعة موضوعاته كي تتاح الإمكانات التواصلية كاملة بتجسيرٍ مشترك ومؤثر في إحداث التفاعل عند المتلقي

. صيغة (فَعّل) :

يقول (ع) في معرض توحيد الخالق : ((فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ))[٤]وهو مأخوذ من قوله تعالى {وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً }[النبأ٧] والأوتاد جمع وتد أي جعلنا الجبال أوتادا للأرض لتسكن ولا تتحرك [٥].

عدل الإمام (ع) في استعماله إلى التعبير بالفعل (وتّد) والمعروف ((انه لايعدل من تعبير إلى تعبير إلا ويصحبه عدول من معنى إلى معنى))[٦]لغرض يبدو من سياق الخطبة فظاهر الكلام من بدايته هو حمد الله سبحانه وتعظيمه والثناء عليه بما أرانا من آياته في خلقه المستوجبة لذلك الحمد والتعظيم والإنابة لذلك المدبر العظيم بتعبير يناسب (استعمال الأفعال)(فطر ، نشر ، وتد) فهي أفعال ماضية لها دلالتها على الحقيقة وزمانها [٧]،ترسخ في ذهن المتلقي ذلك الاقتدار العظيم الذي يحيا الانسان بوجوده

---

(١) ينظر:مباحث في اللسانيات : احمد حساني : ١٥٨ ، ١٥٩
(٢) ينظر:أصول علم النفس : احمد عزت راجح : ٢٠
(٣) درجة الصفر في الكتابة : رولان بارت : ١٢
(٤) شرح نهج البلاغة : خ١ / ١ : ٨١
(٥) ينظر:فتح القدير :٥ /٤٥٢ ، والميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٢٥٩
(٦) معاني النحو :٢/٧٢٠
(٧)معاني الأبنية في العربية : ١١

وباختيار مقصود فـ(وتّد) على وزن (فَعّل) وهو وزن يعبر عن المبالغة والكثرة ،[١] *وهو ما ينسجم مع دلالات التعظيم والانقياد لله سبحانه وتعالى ، فالمشهد كله حركة واهتزاز وميدان ، فما يناسبه هو

توظيف الفعل (وتد) ليحدث أثرا في ذاكرة الانسان المتحرك المحفوظ من الكوارث والانهيارات الكونية بفعل ذلك التثبيت المعبر عنه ب(الأوتاد) وبصيغة الفعل الذي أعطى وظيفة تواصلية تنفتح على مسارين ، الأول الإذعان بقدرة الخالق العظيم والرجوع إليه والثاني ، انسجام ذلك التعبير الفعلي مع المشهد المتحرك (الفطر ، النشر ، التثبيت) .

. صيغة (فعل)

وفي مشهد آخر يتكرر الحمد والثناء لله سبحانه وتعالى ، يقول (ع) :((اَلْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ وَاَلْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لاَحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ وَاَلْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ اَلْإِنْعَامِ وَلاَ مُكَافَأِ الأفضال))[٢] وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى : {وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ }[الفلق٣] وقوله تعالى :{أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ }[الإسراء٧٨] بنمط يطغي عليه الاستعمال الفعلي* (وقب ، وغسق) والوقب هو الدخول أما الغسق فهو اشتداد الظلام [٣] او بدء الليل [٤]

استعرضهما الإمام (ع) في سياق الحمد لما في ذلك الوقت من خصوصية لا تتوفر في غيره من حيث شدة الغفلة فيه [٥] والحمد في تلك الغفلة اشد على الانسان وفي الوقت نفسه أكثر رضا لله سبحانه وتعالى لذا تطلب شكر المنعم وأداء حقه في احمز الأمور وأصعبها على سبيل الدوام والاستمرار دون زمن محدد لتجدد من يحمد الله سبحانه في ذلك الوقت بامتداد الزمان .

ومن ثم فإنّ هذا الاختيار في التعبير يشير الى ((ان لكل فرد معجمه اللغوي المتميز فهو يميل إلى استعمال بعض الكلمات دو ن بعضها الآخر وهناك كلمات لايستعملها على الإطلاق ولكل فرد طريقته الخاصة في بناء الجمل والربط بينها فهو قد يستعمل بعض الصيغ دون بعضها الآخر أو يستعمل أدوات معينة دون أخرى))[٦].

أما القيمة فتتفاوت بين الإفراد في توظيفهم لتلك المفردات وما تعكسها من بنيات أسلوبية دقيقة ((فالمفترض ان المبدع يوظف في إبداعه كل الإمكانات اللغوية المتاحة لديه بحيث يفيد من كل اختلاف شكلي بين الصيغ والألفاظ لمناسبة المعاني المراد بيانها))[٧].

---

(١) ينظر:شرح الشافية : ابن الحاجب : ١/ ٩٢ أدب الكاتب : ابن قتيبة : ٣٥٤، شذ العرف في فن الصرف : الحملاوي : ٢٩ * للاستزادة من تلك الشواهد ينظر :خ ١/١ :١٢٣ .وخ ١٨٤ :١٠ :٩٢ .
(٢) شرح نهج البلاغة : خ٤٨ / ٣ : ١٥٧ . *ومثل ذلك ينظر :خ ١٠٨ /٧ :١٥٨ .وخ ١ /١ :١١٠ .
(٣) ينظر:مفردات ألفاظ القرآن : ٦٠٦ ، وينظر الأمثل في تفسير القرآن : ٩ /٧٧
(٤) ينظر:التبيان في تفسير القرآن : ٦ / ٥٠٨
(٥) ينظر:منة المنان في الدفاع عن القرآن : ٧٤
(٦) اسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث : البد راوي زهران : ٢٢
(٧) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ٦٢

. صيغة افتعل واستفعل:

ومن الواضح ان هذه الاختلافات الشكلية هي المنتجة للدلالة ، يقول (ع) : ((فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ))[1] مستحضراً البنية القرآنية في صيغة فعل الأمر (فاعتبروا) في سياق الحديث عن مشاهد المستكبرين وعواقبهم الوخيمة ، التي ذكرها القرآن الكريم في أكثر من آية ، كقوله تعالى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى }[النازعات٢٦] أي لعظة لمن يخشى الله تعالى ويخاف عقابه ونقمته ، ودلالة يمكن أن يعتبر بها العاقل ويميز بين الحق والباطل .[2]وغيرها من الآيات ،

أما سر استعمال فعل الأمر في نص الإمام (ع)وهو كثير في كلامه ، فجاء للإفضاء بإطلاق الدلالة حيث يدل الأمر على الحال والاستقبال أو يشترك بين الحال والاستقبال [3]والإطلاق هنا لغرض الاتعاظ والعبرة وبما ينسجم مع السياق من وجوه الأمر المتعددة التي يخرج بها من الغرض الحقيقي الى المجازي كالتأديب والإرشاد والوعيد وغيرها [4].

وكلها تقصدها المطلب السياقي ترسيخا وتأكيدا لتلك الحقيقة التي ينبغي الالتفات والتنبه اليها .

ومثله قوله (ع) :((أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ وَاذْكُرُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ الْهَدْيُ وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ))[5] وقوله (ع) : ((وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ))[6]حيث استعمل (ع) فعل الأمر في النصين (استشفوا) و (فاستشفوه) ، وهما لم يردا في التعبير القرآني بهذا الشكل ، بل استعمل المصدر في قوله تعالى قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ }[يونس٥٧] سمي شفاء لما يعالجه من امرض الفكر والروح التي تنفذ الى الانسان فتدخل عقله لتثير فيه الشبهات التي تفسح المجال للكفر والضلال والنفاق لتدفع الانسان للسير في هذا الاتجاه المنحرف،[7] توخى الإمام (ع) ذلك المطلب بالتعبير الفعلي .*

---

(١) شرح نهج البلاغة : خ ٢٣٨ / ١٣ : ١١٢
(٢) ينظر:مجمع البيان في تفسير القرآن : : ٥ / ٤٣٢
(٣) ينظر:البحث النحوي عند الاصولين : مصطفى جمال الدين : ١٥٤
(٤) ينظر:جواهر البلاغة احمد الهاشمي -٤٩-٥٠
(٥) شرح نهج البلاغة: خ ١٠٩ / ٧ : ١٧٣
(٦) م.ن : خ ١٧٧ / ١٠ : ١٨
(٧) ينظر:تفسير من وحي القرآن ١١ / ٣١٧
* ومثل ذلك ينظر :خ١٥٩ /٩ :١٦٧ . وك ١١ /١٥ :٦٧ .

(استشفوا) على وزن (استفعل) الذي من معانيه الطلب والتحول من حال إلى حال ووجود الشيء على صفة [1] وهي معان متوقعة ومتحققة من ذلك الاستعمال في (استشفوا) لان المخاطب أسير لذلك الشفاء

القرآني في كل زمان ومكان في حين أن استعمال الفعل هو انطلاق من الصفة الثابتة للقرآن لأنه ((شفاء)) إلى الإرشاد والطلب والاتخاذ المطلق والمنطلق من حقيقة القرآن المحكمة والمعالجة للإمراض الروحية والجسدية التي تعترض الانسان .

. صيغة (يفعل)

وتارة يوظف الفعل في مشاهد القيامة ، مثاله قوله (ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ،[٢] وهو مأخوذ من القرآن الكريم ، قال تعالى : {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ }[آل عمران٩] وقوله تعالى :{ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ }[هود١٠٣] وقوله تعالى : { يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ }[التغابن٩] .

عمد الإمام (ع) في ذلك إلى استعمال الفعل المضارع (يجمع) لما في تلك الصيغة من تصوير الحدث وتشخيصه في عين المخاطب [٣] والحدث هو تبيان اضطراب الناس ووجل أحوالهم ، جراء إماتة الخلائق وبعث من في القبور وإحياء الموتى بعد السكون والسبات وهو إيحاء بتجدد الحياة وحدوث مصير غير مألوف للخلائق يعضده استعمال الفعل المضارع (يجمع) الذي يتعين فيه الاستقبال اذا اسند إلى متوقع من خلال قرائن السياق

قال الرضي :((ولا يصرف إلى الاستقبال إلا لقرينة)) [٤] والمتوقع هنا ما لاينكر فهو متيقن الوقوع والحدوث حقيقة وزماناً ، قال الرازي : ((الاسم له دلالة على الحقيقة دون زمانها وأما الفعل فله دلالة على الحقيقة وزمانها)) [٥] ، علماً ان السياق القرآني في بعض آياته أراد أن يؤكد تلك الحقيقة ويثبتها لذلك عبر بالاسم للدلالة على ثبوت ذلك المسلك

يقول الدكتور فاضل السامرائي: معلقاً على استعمال الاسم (جامع ومجموع) في قوله تعالى : {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ }[آل عمران٩] ((والأصل تجمع الناس لانه في الاستقبال ولكن لأن الأمر متحقق ثابت اخبر عنه باسم الفاعل الدال على الثبوت ،

ومنه قوله تعالى : {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ }[هود١٠٣] فانه انما أثر اسم المفعول الذي هو مجموع على الفعل المستقبل الذي هو (يجمع) لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه الموصوف بهذه الصفة))[٦]وقوله تعالى: { يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ }[التغابن٩]

فهو إشارة الى الجزاء في ذلك اليوم أي ((والله معاقبكم يوم يجمعكم))[٧] وبذلك تتبين الدلالة التعبيرية في استعمال الإمام (ع) بلحاظ المقصد وطبيعة السياق .

---

(١) ينظر:المهذب في علم التصريف : ٩٩- ١٠٠
(٢) شرح نهج البلاغة : خ ١٠١ / ٧ : ٨٠
(٣) ينظر:الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ٢١٦
(٤) شرح الرضي على الكافية : الرضي الاسترابازي : ٤-١٦
(٥) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : الرازي : ٧٥
(٦) معاني الأبنية في العربية : ١٤
(٧) الكشاف : الزمخشري : ٤ / ٥٤٨ ، وتفسير القرآن الكريم : عبد الله شبر : ٥٢٠

ومثله قوله (ع) : ((اِحْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ وَ يَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ وَ تَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ))[1] وهو استدعاء للنص القرآني بتمثل مغاير في البنية ، قال تعالى : {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً }[المزمل١٧] ، أي يجعل الوالدان وهم الأولاد الصغار شيبا لشدة وعظم أهواله كما يقال قد حدث أمر تشيب منه النواصي .[2] وقيل هو كناية عن شدة اليوم لا عن طوله[3]

عبر الإمام (ع) عن ذلك بصيغة الفعل (تشيب) لغرض التحذير من هول ذلك العذاب المتحرك من (الفحص والزلزال والشيب) وهي أفعال ذات تردد وحركة تتجدد وتحدث بتجدد الوافدين عليها ، وهو اقتضاء مناسب للتعبير الفعلي ،

ومن جانب آخر فيه إشارة إلى ترقب ذلك اليوم من خلال الصيغة المضارعة الدالة على المستقبل (تشيب) والسعي الحثيث لتجنب ذلك المصير المهول فشيب الأطفال انقلاب مفزع يدعو إلى التأمل والحذر والاستعداد .

.. صيغة (افعل)

وقد تتوارد المعاني الدلالية للاستعمال الفعلي من خلال إفصاح المقام عنها بشكل واضح ، يقول (ع) موبخاً أصحابه : ((أَضْرَعَ اللَّهُ خُدُودَكُمْ وَ أَتْعَسَ جُدُودَكُمْ لَا تَوْفُونَ الْحَقَّ بِمَعْرِفَتِهِ وَ لَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ))[4] والمعنى اضرع الله خدودكم إي أذل الله وجوهكم وأتعس جدودكم أي حط من حظوظكم[5] والتعس هو الانحطاط والعثور [6] ، قد استعملها القرآن بصيغة المصدر قال تعالى : {وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ }[محمد٨]أي خزياً لهم وويلاً لهم [7] .

أما الإمام (ع) فقد أورده بصيغة الفعل (أتعس) وهذا الوزن يدل على معان كثيرة أشهرها ، التعدية او الصيرورة والتعريض ووجود الشيء على صفة من الصفات وللسلب والدخول في شي مكاناً أوزماناً او حكماً ومنها الدلالة على المصادفة والاستحقاق والدعاء وغير ذلك [8]

وكلها معان تتوافق مع سياق الحال من حيث التعدية إلى الإصابة بحظوظهم والتعريض بهم وسلب ما كانوا عليه من حظ وغيرها من المعاني المحتملة وهي بمثابة استمطار تدفق عن الحالة الشعورية للإمام (ع) إزاء أصحابه ، مما أفضى إلى هذا التشكل الدلالي أي التعبير بالصيغة الفعلية (أتعس) ليوحي بذلك الزخم المكثف من الدلالات . *

(١) شرح نهج البلاغة :خ :١٥٨ /٩ :١٦٠
(٢) ينظر : التبيان في تفسير القران :١٠ /١٦٧
(٣) ينظر : الميزان :٣٠ /١٤٧
(٤) شرح نهج البلاغة : خ٦٨ /٦ :٨١
(٥) ينظر : نهج البلاغة : صبحي الصالح :١٠٨
(٦) ينظر : لسان العرب :١ /٣٠٣
(٧) ينظر : التبيان في تفسير القران :١٠ /١٦٧
(٨) ينظر : شرح الشافية :١ /٨٣ ، أدب الكاتب :٤٤٤ ، ٤٥٨ ، أوزان الفعل ومعانيها :٥٦، ٧٢
***ومثل ذلك ينظر :خ١ /١ :١١٤ . وخ ١٨٣ :١٠ :٧٣ .**

وعليه فإنّ هذا التعبير يجعل من الأسلوب عملاً قصدياً يقوم بوظيفته التي حددها لها المبدع ليس باستعمال المفردة وحدها((بل بما يضمها من سياقات اجتماعية وثقافية عامة))[١] وهذا ما اتضح كثيراً في كلامه (ع).

. صيغة (فعل)

ومما استعمل في نطاق الفعل أيضا ، قولـه (ع)((فِي الظَّلْمَاءِ وَتَسَنُّمِ ذُرْوَةِ الْعَلْيَاءِ وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ أَفْجَرْتُمْ [وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ] عَنِ السِّرَارِ وَقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ [يَلْوِيهِ] الْوَاعِي وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ))[٢] والوقر هو ثقل في الأذن بالفتح ، وقيل هو ان يذهب السمع كله والثقل اخف من ذلك وقد وقرت إذنه بالكسر توقر وقرا أي صمَّت [٣]

استعمل في القرآن الكريم بصيغة المصدر ، قال تعالى : { كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً }[لقمان٧] وقال : { وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً }[الأنعام٢٥] وغيرها كناية عن الصم [٤]او عدم السماع بوضوح [٥]، وظفه الإمام (ع) بصيغة الفعل المبني للمجهول (وقر) للدلالة على التركيز على الحدث وهو صممهم عن سماع الحق ((فهم لم يفهموا بيانه بعد ما بينه ولم يقبلوه بعد ما سمعوه ولم يطيعوه بعد ما فهموه وجهلوا قدره بعد ما عرفوه))[٦]وعناية بالمفعول به (ذهاب سمعهم) وتحقيراً لشأنهم .*

قال ابن ابي الحديد: ((هذا دعاء على السمع الذي لم يفقه الواعية بالثقل والصمم))[٧] نتيجة نفارهم واستكبارهم وشدة لجاجهم وعنادهم ونهاية بغضهم وعداوتهم ومنتهى نفرتهم عن قبول الحق[٨] .

. صيغة (يفعل) :

ومن استعمالاته (ع) للفعل أيضا قوله (عليه السلام)((عَالِمٌ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ وَتَخُونُ الْعُيُونُ))[٩]وهو إشارة إلى قوله تعالى : {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ }[غافر١٩] بلحاظ التباين في استعمال الإمام (ع) وتوخيه للتعبير بالفعل (تخون) وإسناده إلى العيون لملمح دلالي يكمن في ان خيانة العيون ليست صفة ثابتة في أصحابها ، أي أنها متجددة بتجديد الزمن والخلق فما يناسبها حينئذ التعبير بالفعل الدال على التجدد والحدوث [١٠]*، في حين جاء قوله تعالى للدلالة على ثبوت صفة العلم لله سبحانه وتعالى فيما تختان به الأعين من النظر إلى غير ما يجوز النظر إليه على وجه السرقة[١١] .

---

(١) اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي:د ،احمد محمد قدور : ١٦١
(٢) شرح نهج البلاغة : خ ٤ / ١ : ١٩٩
(٣) ينظر:لسان العرب : ٦-٤٧٢
(٤) ينظر:الميزان في تفسير القرآن ١٦ / ٢٢١
(٥) ينظر:تفسير من هدى القرآن: ٣ /٤١
(٦) منهاج البراعة في في شرح نهج البلاغة : ٣ / ١٢٥ .* للاستزادة ينظر :خ ٢١٦ :١١ :١١٥ .
(٧) شرح نهج البلاغة: خ٤ /١ : ٢٠٠
(٨) ينظر:منهاج البراعة في في شرح نهج البلاغة ٣ / ١٢٦
(٩) شرح نهج البلاغة: خ ١٣٢ / ٨ : ٢٠٥
(١٠)ينظر: الفعل زمانه وبنيته : إبراهيم السامرائي :٣٢ * ينظر مثل ذلك :خ ١/١٧ :٢٦٢ .
(١١)ينظر:التبيان في تفسير القرآن : ٩ / ٦٦ ، الميزان في تفسير القرآن ١٧ / ٣٣٨

ومن ثم فإنّه توظيف يعكس قوة الاسلوب في إنتاج الدلالة يقول ريفايتر: ((إن اللغة تعبر والأسلوب يعمل على إبراز القيمة))[1]التي يحتويها النص .

.. صيغة (فعل):

قال تعالى : {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }[الملك ١٤] أي اللطيف بعباده من حيث يدبرهم بلطف التدبير فلطف التدبير هو الذي يدبر تدبيراً نافذاً لايخفى عن شيء يدبره به والخبير معناه العالم بهم وباعمالهم[2] .

أخذ الإمام (ع) ذلك المعنى وأظهره بقوله إنَّ((لَطَفَ اللَّهِ لَا يُتَخَيَّلُ إِلَّا لِمَا لَا يُرَى وَ مِمَّا لَا يَزَالُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَ نَهَارِهِمْ لَطُفَ بِهِ خُبْراً وَ أَحَاطَ بِهِ عِلْماً))[3] ،

ولطف على وزن (فعل) وهو وزن يرى فيه النحاة والصرفيون انه يرد للدلالة على القرائن والطبائع في الأوصاف المخلوقة كالحسن والقبح .. وانه صار كالغريزة في صاحبه نحو شجع وكرم [4]

في الوقت الذي أنكر فعليتها بعض الباحثين المحدثين زاعماً أنها ليست ((فعلاً بالمعنى التام للكلمة وإنما جاءت في كلامهم للهيأة التي يكون عليها الفاعل)).[5]

ولعل هذا الرأي يجانب الصواب في نفي فعلتها اذ انها كشأن الأفعال الأخرى لها خصوصيتها ودلالتها يقول إبراهيم أنيس : ((هذه الأفعال في الأصل مفتوحة العين في الماضي ثم لقصد المبالغة في معناها حولت الى صيغة أخرى وذلك بضم العين))[6]

تمثلها الإمام (ع) في نصه لإبلاغ حقيقة اللطف والرحمة العظيمة لله سبحانه إزاء ما يقترفه العباد في ليلهم ونهارهم في مسار الزمن فضلاً عن إثبات تلك الصفة في حقه سبحانه اذ تدل تلك الصيغة (فعل) على رسوخ الوصف في صاحبه لأنه لايجيء إلا من الطبائع والنعوت [7].

---

(١) معاير تحليل الاسلوب :ريفاتير : ٢١
(٢)ينظر:التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٦٤
(٣) شرح نهج البلاغة : خ ١٩٢ / ١٠ / ١٥٩
(٤)ينظر:الكتاب : ٢ / ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، شرح الشافية : ١/ ٧٤ ، دروس التصريف :٥٦
(٥) من قضايا اللغة: مصطفى النحاس :١٥٥
(٦) من أسرار اللغة : إبراهيم أنيس : ٤٦ –في اللهجات العربية –إبراهيم أنيس -١٤٧
(٧)ينظر:المهذب في علم التصريف : ٦٣

الفصل الرابع الدلالة النحوية

لم يقف تامل الاوائل في دراسة الظواهر اللغوية عند اطار الشكل وحسب ،بل كان الاهتمام بالمعنى له وجوده عندهم .

((فالظاهرة اللغوية ليست ظاهرة شكلية فقط ، ولكنها تستخدم في مواقف وظيفية وتعكس إلى حدٍ ما العالم الذي نعيش فيه، وترتبط بمن يستخدمون اللغة في مواقف معينه، ومن هنا فإنها تتحرك في ضمن ظواهر أخرى غير لغوية تؤثر في اختيار أساليبها المتنوعة وفي دلالاتها فقد تستخدم التعبير نفسه في مواقف مختلفة ، مما يؤدي إلى فروق معنوية أسلوبيه تأثيرية فالمعنى يرتبط في جانبٍ منه بالتركيب النحوي))[١] وهو مقصد بُنيت عليه الدراسات السابقة إذ ((إن الدلالة النحوية تستمد من إقامة علاقات نحوية بين الألفاظ في الجمل على وفق قوانين اللغة))[٢] وهو ما تنبه إليه عبد القاهر الجرجاني بقوله: ((ليس الغرض بنظم الكلم إن توالت ألفاظها في النطق بل إن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل))[٣] حتى يكون لكل كلمة داخل الجملة وظيفة نحوية [٤]

ولم تقف العناية بالدلالة النحوية عند علماء النحو واللغة والبلاغة بل تخطت ذلك إلى الأصوليين لبيان الأحكام القرآنية الشرعية وذلك لارتباط علم الأصول بفهم المعاني النحوية فهو ((علم مرتبط بتوجيه التركيب اللفظي وبيان دلالته التي تختلف من تركيب إلى أخر وكم من المسائل الشرعية يختلف الحكم فيها تبعا لاختلاف التركيب ومدلوله))[٥]((مثل الفاعلية والمفعولية والإضافة والتعجب والاستفهام والنفي ونحوها ، وليس وظيفة الأصولي إلا إدراك هذه المعاني النحوية المختلفة باختلاف التراكيب))[٦] المشترط فيها صحة التعبير من الناحية اللغوية والجري على ((سنن الكلام الفصيح فالمعنى ينبغي أن يؤدي بتعبير سليم وليس لك أن تقول:إذا كان المعنى مفهوما فلا عبره باللفظ بل لابد أن يتوصل إلى المعنى المطلوب بتعبير صحيح فصيح))[٧] وهذا ماسيتلمسه البحث في شواهده . وباختلاف تنوع التراكيب والعوارض التي تطرأ عليها .

المبحث الأول / دلالة معاني الكلام / أولا /الجملة الخبرية

قال بالمر: ((فإن وظيفة النحو الأولى وصف بنية الجملة ومن ثم تعريفها)) [٨] وهذا مادأب عليه النحويون حين نظروا إلى تركيب الجملة وما تشتمل عليه من مكونات اسنادية ، متجاوزين ذلك الإطار في بعض الأحيان إلى اعتماد المعيار الدلالي في وصف الجملة ، من ذلك مايتعلق بجملتي (الخبر والإنشاء) . قال ابن الاثير:((والخبر كل قول أفدت به مستمعه مالم يكن عنده))[٩] أو ماإشتمل على الصدق والكذب إن كانت له نسبه واقعة في الخارج تطابقه أو لا تطابقه [١٠] القصد منه الإفادة سواءًكان إثباتا أو نفيا . فقولك:

1- علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات : يحيى عبابنه ، آمنه الزعبي : 17
2- الدلالة اللغوية عند العرب :عبد الكريم مجاهد :194
3- دلائل الإعجاز :عبد القاهر الجرجاني :98
4- ينظر:علم الدلالة : احمد مختار عمر : 13
٥ - أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من ايات القران التشريعية :عبد القادر السعدي :39
٦ - البحث النحوي عند الأصوليين :مصطفى جمال الدين :31
٧ - الجملة العربية والمعنى : فاضل صالح السامرائي :11
٨ - علم الدلالة : بالمر :46
٩ - المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر :٢٠٣/٢
١٠ _ ينظر: نحو المعاني: الجواري:113

جاء زيد يراد به إن هذه النسبة الكلامية لها نسبة في الخارج أي انه وقع مجيء زيد وكذلك قولك لم يجئ زيد [١] وعلى الرغم من انتفاء معيار الصدق والكذب في كلام الله سبحانه وتعالى وحديث نبيه وبعض الآراء العلمية لحتمية مصداقيتها في الواقع الخارجي ،[٢] تلمح بعض الإشكاليات النقدية حول هذا المعيار يقول تمام حسان :((حدد البلاغيون نوعين عامين من الأسلوب هما الخبر والإنشاء وبينوا التفريق بينهما على احتمال الصدق والكذب وعدم احتمالهما وهو معيار منطقي لا فني))[٣] أي إن التفريق بينهما لم يقم على أساس إدراك الخصائص الفنية لكل منهما لذا فهو ((معيارٌ قصّر بمعاني الجمل ومدلولاتها وارتباطاتها عن سياق النص والموقف ووظيفة كل منهما باتجاه الآخر))[٤] لأن ((البحث في الأنواع أو معاني الكلام ليس في القضية المنطقية صدقا أو كذبا وإنما في مدلول الكلام (الجملة) وهو برمته واتجاهه تعبير عن المتكلم أو إفادة للمخاطب بوجه الخبر أو الطلب أو الإنشاء))[٥] بفارق الدلالة بين هذه الوجوه ((فالحقيقة المعنوية والنفسية المعبر عنها بلفظ الإنشاء غير الحقيقة المعنوية المعبر عنها بلفظ الخبر))[٦] وهذا ما تفرضه اللغة بغايتها الكبرى المتمثلة بالإفهام وأمن اللبس [٧] على أيدي منشئيها وبتنوع مستوياتهم وجهات خطابهم .((وكما اعتدت اللغة باختلاف دور الفرد بالأداء فجعلت من معانيها العامة التكلم والخطاب الخ، اعتدت كذلك بغايات الأداء فقسمت معاني الجملة العربية إلى خبر وإنشاء وقسمت الخبر إلى إثبات ونفي وتوكيد وقسمت الإنشاء إلى طلب وشرط وإفصاح وقسمت الطلب والشرط والإفصاح كلاً إلى أقسام مختلفة))[٨] تشتمل على دلالات مختلفة ((فالجمل في اللغة تتباين أساليبها ولكنها تشترك في المعاني الذهنية المتكونة منها))[٩] يعمد إليها الكاتب لإفصاح عن حسه وعن تصويره للوجود [١٠] بما يلائم سياق الموقف . من ذلك قول الإمام (ع) ((حِينُسْئِلَ عَنِ الْخَيْرِ مَا هُوَ فَقَالَ لَيْسَ الْخَيْرُ [الْخَيْرَ] أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللَّهَ وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ رَجُلٍ أَذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ وَرَجُلٍ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ))[١١]

كشف الإمام (ع) في ذلك ما أشار إليه القرآن من تلك المعاني كقوله تعالى:((يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ)) (الانبياء:٩٠)) وغيرها* والمعنى يبادرون إلى الطاعات ويسارعون إليها من الإيمان بالله ويجتهدون في السبق إليها رغبة فيها ولعلمهم بما لهم بها من حسن الجزاء .[١٢]

وظفه الامام (ع) بصيغة خبر يفهم منه انه (خبر ابتدائي) وهو الخبر الذي يكون خاليا من المؤكدات لان المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه [١٣] فالسائل لا يعرف معنى الخبر وما مصاديقه ، لذلك جاء

---

١ -ينظر : دلالات التراكيب :محمد أبو موسى :190
٢ _ ينظر : البلاغة والتطبيق : احمد مطلوب :106
٣ _ الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب :311
٤ _ دلالة السياق :ردة الله بن ردة ألطلحي :511
٥ _ م . ن :511
٦ _ دلالات التراكيب : 284
٧ _ ينظر : قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم :سناء البياني :273
٨ _ اللغة العربية معناها ومبناها :363
٩ _ قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم :270
١٠ _ ينظر : النقد والحداثة :عبد السلام المسدي :37
١١ _ شرح نهج البلاغة :١٨ /حكمة ٩١ : ١٩٩
١٢ _ ينظر : التبيان في تفسير القرآن : الطوسي :7 / 378
* قوله تعالى : ((لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ))(الزمر: ٥٣)
١٣ _ ينظر : البلاغة والتطبيق :107

الجواب مخالفا لما يتوقعه الذهن من انه يكمن في (المال والولد)، بل في العلم والعبادة، وبصورة تقتضي تحريك الهمة في المتلقي من خلال تدارك الذنوب بالتوبة والمسارعة في الخيرات، وهذا ما أراده القرآن الكريم، أعاده الإمام لغرض التوكيد و (إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو الكلام)[١] .

ومع مراعاة حال المخاطب من حيث موقفه من القضية المخبر بها إيجابا أو سلبا، تكون الصياغات المختلفة لأسلوب الخبر من حيث تجرده أو اشتماله على المؤكدات ،[٢] قال تعالى((وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ))(آل عمران :٧).

اخذ الإمام (ع) هذا المشهد ووظفه بتخصيص يبين حقيقة الراسخين في العلم، يقول (ع): ((وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ فَمَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)) [٣] يعلق ابن أبي الحديد على ذلك ذاكرا سبب الخطبة هو إنكار الإمام لقول السائل الذي طلب وصف الله سبحانه مثل مايرى بالعيان ،فأجابه الإمام بعد غضبه واستحالة لونه واظهار اثر الإنكار عليه، بالرجوع إلى القرآن والسنة ومن ثم سلوك سبيل الراسخين في العلم الذي غنوا بالإقرار بما عرفوه عن الولوج والتقحم بما لم يعرفوه،[٤] مؤكدا ذلك بأداة التوكيد (أنّ)[٥] لأن المخاطب متردد في معرفة (الراسخين في العلم) وصورتهم الحقيقية وهذا ما يدخل ضمن (الخبر الطلبي) الذي يتردد المخاطب فيه ولا يعرف مدى صحته ،[٦]

فضلا عن خروج ذلك الخبر إلى دلالة اقتضاها السياق تتمثل ب (المدح) للموصوفين ومن ثم إقرارها في ذهن المخاطب، لأن المتكلم عالم بتلك الحقيقة أي (الرسوخ)* وأصحابها (الراسخين في العلم) وهم الثابتون في العلم الضابطون له االمتقنون فيه [٧] الذين أعطاهم الله الرؤية الواضحة للأشياء[٨] كجزء من دلالة النص وان كان المعترض طالبا وصف الله سبحانه وتعالى .

وفي نص آخر يأتي الإخبار لغرض الإطلاق في دلالات التعظيم والثناء على الله سبحانه وتعالى لما انعم على عباده بنعم لا تعد ولا تحصى قال (ع)((وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ))[٩] مستلهما ذلك المعنى من قوله تعالى:((وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (النحل:١٨) . محولا الشرط إلى إخبار لمناسبات السياق ونسقها الصوتي (الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ،ولا يحصي نعماءه العادون ،ولا يؤدي حقه المجتهدون)[١٠] ، وللتركيز على عظم النعم التي لاستطيع إحصاءها العادون ،قال الراوندي : وفي قوله تعالى((وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا))(النحل:١٨) بلفظ الإفراد وقول أمير المؤمنين (ع) (لا يحصي

---

١ _ ينظر : مفتاح العلوم : السكاكي : 166
٢ _ ينظر : دلالة السياق :516
٣ _ شرح نهج البلاغة : 90 / 6 :313
٤ _ ينظر : شرح نهج البلاغة : 90 /6 : 314 _ 315
٥ _ ينظر : شرح الرضي على الكافية :4 / 341 ، معاني النحو :3/ 148
٦ -ينظر : البلاغة والتطبيق :107 ، وينظر :دلالة السياق :517
*** يقول (ع) : ((اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا))**
٧ -ينظر : مجمع البيان : 1 / 408
٨ _ ينظر : تفسير من وحي القرآن : 5 / 140
9- شرح نهج البلاغة :1 /68:1
10-م.ن

نعماءه العادون) بلفظ الجمع سر عجيب لأنه تعالى أراد أن نعمة واحدة من نعمة لايمكن العباد عد وجوه كونها نعمة، وأراد أمير المؤمنين (ع) إن أصول نعمه لاتحصى لكثرتها فكيف تعد وجوه فروع نعمائه وكذلك في كون الآية واردة بلفظ (إن) الشرطية وكلام أمير المؤمنين (ع) على صيغة الخبر تحته لطيفة عجيبة لأنه سبحانه يريد أنكم إن أردتم إن تعدوا نعمة لم تقدروا على حصرها ، وعلي (ع) اخبر انه قد انعم النظر فعلم أن أحدا لايمكنه حصر نعمه تعالى)) [١]

وهذا مايفهم من خلال الشكل والمعنى ((فقولنا (خبر) إنما نقصد به شيئين احدهما وصف الأسلوب صياغيا من حيث اشتماله على متطلبات الجمل الخبرية والآخر المعنى الأصلي لهذه الصياغة))[٢] الذي يتعدد بتعدد المشيرات التي تدفع المخبر إلى هذا القول وتحثه عليه ،[٣] إلى الحد الذي يكون فيه ((للمعنى جوانب أو اعتبارات أوسع من أن يضمها مجرد القول)) [٤] في النصوص المتينة ((لان النصوص الخالية من أي احتمال لا تقدم عرضا مرضيا لمنتجيها أي إنها لا تملك سوى خيارٍ واحد))[٥]

ومن ثم لاتعدد جوانب المعنى فيها . وإذا سلمنا بان ((الخبر نقل حقيقة أو معلومة يقف عليها المتكلم أو المنشئ فيعبر عنها لينقلها لمن يلقى إليه الكلام))[٦] وهو المتلقي أو المرسل إليه الذي يعاين النص ويتأمله فيكشف عن خفاياه ويجلو غوامضه ويقدم ظاهره وباطنه في صورة قد تروق الناظرين وقد تصرفهم عنه بإيجاز ،[٧] فذلك لا يقف عند التوصيل فحسب بل له مقاصد أرادها المرسل من وراء ذلك الإخبار .

يقول (ع) في حديثه عن النبي ادم (ع) : ((ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ وَ آمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ وَ حَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَ عَدَاوَتَهُ فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ وَ مُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ وَ الْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ وَ اسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً وَ بِالْأَمْنِ فَزَعاً بِئْسَ الْمُبْدَلُ بِهِ لَوْ كَانَ مُصَدِّقاً وَ بِئْسَ عَزْمُ الرَّأْيِ رَأْيُهُ لَوْ كَانَ مُتَأَمِّلاً فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ الْمَرَدَّةِ إِلَى جَنَّتِهِ وَ وَعْدِ الْمَرْدَّ إِلَى تَوْبَتِهِ وَ لَقَّاهُ كَلِمَاتِهِ فَأَسْكَنَهُ مُسْبَحَانَهُ لَهُ فِي قَرَارِ الْبَلِيَّةِ وَ تَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ))[٨] حيث يستمد مما تحدث عنه القرآن الكريم في قصة ادم (ع) . كقوله تعالى ((يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً))(البقرة: ٣٥)) وقوله تعالى: ((فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ)(البقرة: ٣٧) وقوله تعالى: ((اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ))(البقرة: ٣٦) وغيرها.*

أوردها الإمام بإطار الإخبار لا لكونها تحتمل الصدق والكذب كون الصدق والكذب يصدق على كل كلام يؤخذ من غير النظر إلى قائله والإخبار التي وردت في القرآن الكريم وأحاديث النبي (ص) والحقائق العلمية والبديهيات التي لا يشك فيها لايمكن أن تحتمل الكذب مع أنها إخبار عن شئ ولذلك تخرج من هذا التعريف ،[٩] بل أعادها ضمن سياق جديد يتضمن الحديث عن كل ما يتعلق بآدم (ع) (الخلقة، الميثاق، الصراع مع إبليس، رغد العيش، التوبة، الهبوط إلى الأرض)، والمقاصد تفهم من السياق وقرائن الأحوال تنتمي إلى دائرة النصح والتحذير من مزلات الشيطان وهي في شكلها النهائي تستهدف المخاطب.

---

١ - شرح نهج البلاغة :خ1/1 :87
٢ - دلالة السياق :515
٣ -ينظر : خصائص التراكيب ::46
٤ - علم الدلالة :بالمر :47
٥- مالا يقوله النص : جبار النجدي :77 (بحث منشور)
٦ - نحو المعاني : :113
٧ - ينظر : في قراءة النص : قاسم المومني :72
٨- شرح نهج البلاغة : خ 1/1 :114
٩ -ينظر : البلاغة والتطبيق :106

إذ ((أن الكلام لن يكون مفيدا ولا الخبر مؤديا غرضه مالم يكن حال المخاطب ملحوظا ليقع الكلام في نفس المخاطب موقع الاكتفاء والقبول))[1] ويتكرر ذلك الإخبار في حديثه عن النبي (ص) ورسالته السماوية يقول (ع)((الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ عَلَى عَوَائِدِ مَعْرُوفِهِ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ وَنَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً فَأَدَّى أَمِيناً وَمَضَى رَشِيداً))[2] مستمدا ذلك التصوير من قوله تعالى : ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (الحجر:٩٤) ،مغيرا الإنشاء إلى خبر لدلالات اقتضاها المقام تشتمل على تعظيم رسول الله (ص) وما أداه في رسالته من وقوف بقوة ومجاهرة الأعداء ،[3] لان المتكلم والمخاطب عالما بذلك الحكم والمسلك الذي انتهجه الرسول الكريم (ص) فلا بد إذن من خروج لتلك الدلالة الإخبارية لمقصد ما .

ومثل ذلك قوله (ع):((فَإِنَّهُ وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ وَخَابِطُونَ فِي فِتْنَةٍ قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ فَبَالَغَ فِي النَّصِيحَةِ وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ))[4] وذلك يشير إلى قوله تعالى: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ))(النحل: ١٢٥) أي ادع إلى دينه لأنه الطريق إلى مرضاته بالحكمة أي القرآن [5] استعمله الإمام بهيأة الإخبار للحديث عما فعله النبي (ص) من مبالغة في النصح والتزام بالطريق ودعوة إلى الحكمة والموعظة الحسنة، وهذا ما يتطلبه الخبر ((إذ إن الدقة في التعبير تحتم تركيبا لفظيا معينا وذلك بان ينقله إلى المخاطب في صورة من الكلام تلاءم حالته من غير زيادة و نقصان))[6] وان كان يحمل دلالة التبجيل والثناء على شخص النبي (ص) غرضا يستفاد من ذلك الإخبار ، وفي وصف الكون يكثر الإمام (ع) من استعمال الخبر، كونها حقائق ثابتة وذات اثر في تنبيه المتلقي إلى أسرار تلك العوالم ومن ثم إدراك القدرة الإلهية العظيمة قال تعالى : ((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)(فصلت: ٥٣)) . يقول (ع) : في صفة خلق السماء : ((رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّى بَيْنَهَا وَأَلْزَمَ جَوَّهَا فَلَكَهَا وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا وَرَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا وَأَجْرَاهَا عَلَى أَذْلَالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا وَمَسِيرِ سَائِرِهَا وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا))[7] فقوله (ع): ((ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها)) يشير إلى قوله تعالى: ((إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ) (الحجر:١٨) ، أي كل من استرق السمع من الشيطان يتبعه شهاب مبين ،[8] قال الفراء: ((أي لا يخطئ))،[9] أراد الإمام من توظيفه بالأسلوب الخبري هو تقرير تلك الحقيقة واثبات عظمة الله وإحاطته بما خلق ،ومثل ذلك أيضا قوله (ع) :((لَا اعْتَرَضَتْهُ فِي مَا حَظَرَ عَلَى خَلْقِهِ عَارِضَةٌ وَلَا اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَتَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ وَلَا فَتْرَةٌ بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ وَأَحْصَاهُمْ عَدَدُهُ وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ))[10] .

---

[1]- في النحو العربي نقد وتوجيه:مهدي المخزومي ٢٤٢
[2]-شرح نهج البلاغة :خ٩٩ /٧ :٦٦
٣- ينظر : تفسير من وحي القران : ١٣ : ٢١٨
٤- شرح نهج البلاغة :خ٩٤ /٧ : ٥١
٥- ينظر : مجمع البيان : ٣ : ٣٩٢
٦- علم المعاني : عبد العزيز عتيق :٥٢
٧- شرح نهج البلاغة :خ٩٠ /٦ :٣٢٤
٨- ينظر :التبيان :٦ /٣٢٥
٩- معاني القران : الفراء :٢ /٨٦
١٠ - شرح نهج البلاغة : خ٩٠ /٧ :٢٠

قال ابن أبي الحديد :((واعتورته مثل عرته ونفذهم علمه تشبيه بنفوذ السهم.. فكأنه جعل علمه تعالى خارقا لهم ونافذا فيهم ،ويروى (وأحصاهم عده) بالتضعيف))[١] وهو مأخوذ من قوله تعالى:((وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً)(الجن: ٢٨))) أي ما كان أو يكون منذ خلق الله ادم الى ان تقوم الساعة،[٢]وهو مسوق لإفادة عموم العلم بالأشياء ،[٣] أراد الإمام (ع) توظيف ذلك المعنى وهو اطلاق الدلالة في تعظيم الله سبحانه وتعالى وبيان هيمنته المطلقة على الموجودات دون ملالة او فترة ومن النفي ما يرد بصيغة الاخبار للدلالة على تقرير حقيقة مفروغ منهما ، يقول (ع) في وصف المتقين :((لَا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ.))[٤] فقوله (لا ينابز بالالقاب) أي لا يدعو غيره باللقب الذي يكره ويشمئز منه ،[٥] وهوتعبير يراد منه التحبيب والترغيب لذلك السلوك المذكور في القرآن الكريم ((وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ)) [الحجرات :11] بان يذكر احدكم الاخر باللقب الذي يوحي بالذم مما ينكره الناس اويكرهونه من الالقاب اللاحقة بهم بطريقة او باخرى لان ذلك يؤذيهم ويسئ اليهم فيما يضغط على مشاعرهم وكرامتهم في المجتمع ،[٦] حوله الامام (ع) الى اخبار في وصف يراد منه التأسي والاتباع . وهو مسلك استحسنه البلاغيون وعللوا اسبابه بحمل المخاطب على المذكور ابلغ حمل وبالطف وجه [٧]

ثانيا/الجملة الإنشائية

إن اللغة لاتقدم جوهر الحقائق فقط بل أنها أيضا تحمل ميول المتكلم نحو الآخرين وتحمل تقديره للواقع وإدارته ، ولا ترتبط اللغة فقط بالتفكير المنطقي ، بل ترتبط ايضا بنفسية البشر وانفعالاتهم وعواطفهم وطقوسهم [٨] لذلك تنوعت الاساليب حتى استعمل كل منها على نحو مايتطلبه مناسبات القول وحال المخاطب فيها .[٩] كالإنشاء الذي هو كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته .[١٠]

فانه لم يكن على ضرب واحد وانما على نوعين فمنهما مايقتضي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب وله خمسة انواع هي (الامر والنهي والاستفهام والتمني والنداء) واخر مالا يستدعي مطلوبا وله عدة اساليب كصيغ المدح والذم والتعجب والقسم والرجاء وصيغ العقود [١١] او بتقسيم اخر ذهب اليه بعض الباحثين ان الجملة الانشائية تقسم الى طلبية وشرطية وافصاحية. [١٢]

---

١ _ شرح نهج البلاغة : خ٩٠ /٧: 25
٢ _ ينظر : البرهان في تفسير القران : 5 /393
٣ _ ينظر : الميزان : 20 / 129
٤ _ شرح نهج البلاغة : خ١٨٦ /١٠ :١١٧
٥ _ ينظر : نهج البلاغة : صبحي الصالح : 384
٦ _ ينظر : من وحي القرآن : 21 / 177
٧ _ ينظر : مفتاح العلوم :155 ، الايضاح في علوم البلاغة : 1 / 146- 147
٨ _ انفتاح النسق اللساني ،دراسة في التداخل الاختصاصي :محي الدين محسب :11
٩ _ ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه :245
١٠ _ ينظر : البحث النحوي عند الاصوليين :248 ،والبلاغة والتطبيق :121
(١) ينظر : دلالات التراكيب دراسة بلاغية :196-197 ،معجم المصطلحات البلاغية وتطورها :احمد مطلوب :1 /332
(٢) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها :244 ، الخلاصة النحوية :تمام حسان :137

ولكل منها دلالته الخاصة ،التي عني بها البلاغيون وتجاوزا فيها الصناعة النحوية اذ تخطوا الاشتغال بمجرد المعاني الوظيفية إلى مغامرات في حقل المعاني الذوقية والخلجات النفسية .[١] وهذا ما سيقف عليه البحث في تقصيه لمواطن الجملة الإنشائية ودلالاتها .

النهي : هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام[٢] ، يكون بصيغة (لاتفعل)[٣] المكونة من (لا) الناهية والفعل .المخصصة للمخاطب في اغلب الاحيان ، وقد تستعمل قليلا في نهي الغائب كما في قوله تعالى : ((لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)[ال عمران :28] وعلى قلة ايضا في نهي المتكلم نحو (لا أرينك ههنا)[٤] وقد يكون النهي بغير هذه الصيغة (لاتفعل) أي باستخدام الدلالة المعجمية المتضمنه تحريما للفعل او نهيا عنه[٥] ،كقوله تعالى((فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ))(الحج: ٣٠) أي ((لاتقربوا الرجس فالنهي يأتي من المعنى المعجمي وان كان المعنى النحوي على الأمر))[٦] ، وكقوله تعالى : ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ)(المائد:3)) ،و((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ)(النساء: ٢٣))[٧]هذا ويفيد النهي كثيرا من المعاني الجانبية التي يفصح عنها السياق كالدعاء ويكون صادرا من الأدنى إلى الأعلى كقوله تعالى : ((رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً)) [البقرة:286]

والالتماس ويكون صادرا إلى من مساوية في الرتبة ،وللضراعة ،واليأس ، والاهانه، والتحذير ، والنصح ، والتوبيخ ،والوعيد ، والتحقير وغيرها ،[٨] من المعاني التي يقصدها المتكلم في خطابه يقول (ع) في ذلك : ((انْفِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ وَلا تَثَّاقَلُوا إِلَى الْأَرْضِ فَتُقِرُّوا بِالْخَسْفِ وَتَبُوءُوا بِالذُّلِّ وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ الْأَخَسَّ وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الْأَرِقُ وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ))[٩] مستنفرا أتباعه للقتال ومثيرا فيهم الهمة وترك التقاعس والركون إلى الحياة، بأسلوب إنشائي تضمن الأمر في (انفروا) والنهي في (ولا تثاقلوا) وهو بذلك يستدعي قوله تعالى في سورة التوبة:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) (التوبة:38)) ،وهو قول قائم على جهة التوبيخ والتعنيف [١٠] .

يتجه الميل إلى الأرض والانشداد إليها بترك النفور والجهاد في سبيل الله ،[١١] وظفه الإمام (ع) بذلك المعنى مع بيان العاقبة المتمثلة بالخسف أي الضيم وتحمل الذل ،قال ابن أبي الحديد : ((ولا تثاقلوا بالتشديد أصله ((تثاقلوا)) وتقروا بالخسف تعترفوا بالضيم وتصبروا له وتبوؤا بالذل ترجعوا به ،والأرق الذي لا ينام))[١٢] .

---

(٣) الاصول ::316

(٤) الايضاح في علوم البلاغة : 58 ، دلالات التراكيب دراسة بلاغية :٢٥٧ ،وقواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم :316 ،والخلاصة النحوية :140

(٥) الصاحبي في فقه اللغة :140

(٦) الكتاب :3 / 101 ،شرح الكافية :2 /252،قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم :306

(٧) دلالة السياق :527

(٨) البيان في روائع القرآن :343

(٩) دلالة السياق : 527

(١٠) البلاغة والتطبيق :129_130 ، اساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين :قيس اسماعيل الاوسي :465 _469 ودلالات التراكيب دراسة بلاغية :257- 258 وقواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم :317

(١١) شرح نهج البلاغة : ك ٦٢ /١٧ :١٧١

(١٢) ينظر:التبيان : 5 /218

١١ _ الميزان:9 /291

١٢ _ شرح نهج البلاغة :ك 62 /17 :171

ولعل هذه المعاني مناسبة للتعبير بالصيغ الإنشائية دون الخبرية فهي أقوى تجديدا لنشاط السامعين واشد تنبيها وأكثر إيقاظا وادعى إلى المطالبة بالمشاركة في القول وفي الحكم وهي في الوقت نفسه أدق في تصوير مشاعر الخطيب وأفكاره لان أفكاره ومشاعره المتنوعة في حاجه إلى أساليب تفصح عنها[١] وهذا ما تحقق في النص للمتكلم والمخاطب بذلك التنوع .

وفي موضع آخر يستمد الإمام (ع) النص القرآني ليوظفه في اسلوب إنشائي هدفه التأثير على المخاطب، يقول (ع): ((وَلا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلاَّ بِشَرْطٍ وَثِيقٍ))[٢] والوثيق المحكم القوي [٣] أراد منه الإمام التحذير من تمني الموت دون استكمال ما يقبل به إلى الله سبحانه وتعالى ، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم : ((فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (الجمعة:6)) إذ إن عدم تمنيهم الموت هو بما قدمت أيديهم وهو كناية عن الظلم والفسوق فمعنى الآية ولا يتمنون الموت أبدا بسبب ما قدمته أيديهم من الظلم فكانوا ظالمين والله عليم بالظالمين يعلم أنهم لا يحبون لقائه لأنهم أعداؤه لا ولاية بينه وبينهم ولا محبه ،[٤] وبذلك يكون النهي في نص الإمام أي عدم تمني الموت، هو طلب لاستحضار النقيض الذي أشار إليه القرآن من الصدق.

أما الأمر فهو إحدى الجمل الحافزة على إيقاع حدث ما،[٥] تستعمل في طلب صادر عن استعلاء،[٦] مع خروجه لمعان أخرى يقتضيها السياق ، أما صوره فيرد بصيغة الأمر (افعل) والفعل المضارع المسبوق بـ (لام الأمر) والمصدر الدال على طلب الفعل والنائب عن فعله ألطلبي ، والأمر بصيغة الخبر وبما اسماه النحويون والبلاغيون (أسماء الأفعال)،[٧] بتفاوت دلالة كل منهما من حيث الاستعمال وما يتطلبه المقام ،فهي إذن طرائق للوصول إلى المعنى لكنها ليست ذات دلالة واحدة فكل تعبير يختلف عن التعبير الآخر ((فالأمر بفعل الأمر غير الأمر بالمصدر وهو غير الأمر باسم الفعل وغير الأمر بالاستفهام وغير الأمر بالخبر ، فكل تعبير له دلالة خاصة))[٨]

أما الدلالات التي يمنحها الأمر بصوره المختلفة فهي موكولة إلى السياق الذي يبث هذا المعنى أو ذاك، يقول (ع) في إحدى رسائله إلى احد ولاته: ((فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ))[٩] مريدا من ذلك معنى النصح والإرشاد من خلال الطلب في الخفض واللين والبسط والمساواة، وهي معان استمدها (ع) من القرآن يقول تعالى: ((وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)(الاسراء:24)) ويقول تعالى :((فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه:44))؛
لغرض بسطها وإحراز أثرها في المتلقي، بما تمتلكه من مساحة تعبيرية واسعة لا تقف عند زمن معين، من خلال ما يدل عليه الأمر: ((وهو طلب الفعل بالإجماع... وجواز وروده على الفور والتراخي))[١٠]

---

١ _ ينظر: سلطة الحق :٢٩٥
٢ _ شرح نهج البلاغة : ك٦٩: ١٨ / ٣١
٣ _ ينظر: نهج البلاغة :صبحي الصالح :588
٤ _ الميزان :19 /309
٥ _ ينظر: الخلاصة النحوية ::139
٦ _ ينظر: مفتاح العلوم :152
٧ _ ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين :113 ، ،وقضايا لغوية قرآنية :64_65
٨ _ الجملة العربية والمعنى ::107
٩ _ شرح نهج البلاغة :ك 27 /15 :124
١٠ _ اساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين :103

وقد يرد الأمر ولا يراد به مأمور معين وإنما يراد به كل من يتأتى منه الفعل المأمور به وذلك مرشد إلى العناية بالفعل والى انه جدير بان يخاطب به كل احد،[1] كقوله تعالى : ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)(آل عمران: ١٠٣) أي وامتنعوا بحبل الله واستمسكوا به أي بعهد الله لأنه سبب النجاة كالحبل الذي يتمسك به للنجاة من بئر أو نحوها،[2] . اخذ الإمام (ع) ذلك المعنى وصوره بصيغة الأمر ،يقول : ((وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْصِحْهُ وَأَحِلَّ حَلالَهُ وَحَرِّمْ حَرَامَهُ وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا))[3] ، حاثا على وجوب التمسك بحبل القرآن وهو معنى أي الوجوب من المعاني الرئيسة التييخرج إليها الأمر في أغراضه السياقية، إذ إنّ المعنى الحقيقي للأمر عند الأصوليين هو الدلالة على الوجوب تكليفا وبالوضع الأولي الحقيقي ولا يصرف إلى غيره الا بقرينه [4] يفصح عنها السياق ،كقوله (ع) ((إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الآخِرَةِ وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لأَقْوَامٍ فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ [شَخْصَوا] اخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ))[5]

قال ابن أبي الحديد : ((ثم قال :فاحذروا من الله ماحذركم من نفسه وذلك لأنه تعالى قال (فاتقون) وقال (فارهبون) وقال ((فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ)(المائدة: 44)) وغير ذلك من آيات التحذير ،[6] و لاسيما قوله تعالى : ((وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ)(آل عمران: 30))) ،أي ويحذركم الله عقابه على اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين وعلى سائر المعاصي ،[7] ذلك أن الله سبحانه نفسه هو المخوف الواجب الاحتراز ،[8] لذا يلحظ تكرار الإمام لذلك الفعل (التحذير) وبصورة الأمر (فاحذروا) ومن الله سبحانه وتعالى ،لتفعيل الحدث في ذهن المخاطب وهو الاحتراز من أوامر الله ونواهيه .**أما النداء:** فهو رفع الصوت ومده ليفصح عن تنبيه المنادى وحمله على الإصغاء [9]أو ما يسمى طلب الإقبال للحي العاقل .. وغيرالعاقل من النوق والطير والوحش .. وأحوال النفس وعواطفها، والأرض والسماء وغيرها،[10] يراد من ذلك .

يقول (ع) في ذلك :((فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ)[11] ، مستعملا الأمر في (اتقوا) مشفوعا بالنداء (عباد الله) لغرض الترغيب والحث في نيل التقوى ،وهو مطلب أكثر القرآن من ذكره، قال تعالى : ((يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ))(الزمر: ١٦) وقال : ((يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ)(الزمر :١٠) وغيرها .

وللنداء دلالة أخرى تتضح في كلامه (ع)، يقول:((أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُوَ وَلا تُرِكَ سُدًى فَيَلْغُوَ وَمَا الدَّارُ الدُّنْيَا فِي تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلَفٍ مِنَ الآخِرَةِ الَّتِي قَبَّحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ وَمَا الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى هِمَّتِهِ

---

١ _ ينظر: دلالات التراكيب دراسة بلاغية :257
٢ _ينظر: التبيان :2 /545
٣ _ شرح نهج البلاغة : ك٦٩/١٨/٣١
٤ _ ينظر: قضايا لغوية قرآنية :67
٥ _ شرح نهج البلاغة :خ 23 / 1 :286
٦ _ ينظر: م .ن :288
٧ _ ينظر: مجمع البيان :1 / 429
٨ _ ينظر: الميزان : 3/ 161
٩ _ينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم :434
١٠ _ ينظر: دلالات التراكيب دراسة بلاغية :261
١١ _ شرح نهج البلاغة :خ٨٢/٦/٢٠٢

كَالْآخِرِ الَّذِي فَظَرَ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَدْنَى سُهْمَتِهِ))[1] مريدا التنبيه في خطابه من خلال الإطلاق في المنادى وهو استعمال كلمة (الناس) لتشمل الجميع ، إذ لم تخلق البشرية للعبث أو اللغو ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)) (المؤمنون:١١٥) . أي ظننتم إنا خلقناكم لا لغرض وحسبتم إنكم إلينا لا ترجعون أي إلى الحال الذي لا يملك نفعكم وضركم فيها إلا الله كما كنتم في ابتداء خلقكم قبل أن يملك أحدكم شيئا من أمركم [2] لذا اقتضى التنبيه والتحذير بصورة تقترب من أحاسيس المخاطب ووجدانه، فكان أن استعمل النداء للحاجة الملحة إلى لفت من يسمع وإيقاظه[3] .

ومن الاستفهام قوله (ع) موبخا أصحابه: (أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ لَا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ وَلَا أُوعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ مَا بَالُكُمْ مَا دَوَاؤُكُمْ مَا طِبُّكُمُ الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ أَقَوْلاً بِغَيْرِ عِلْمٍ [عَمَلٍ] وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ [عَقْلٍ] وَطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ))[4] ، على سبيل التقريع والتبكيت وباستفهامات متصعدة تشير إلى اضطراب أحوالهم ،وتناقض أفعالهم لأقوالهم ،وهو ما أشار إليه القرآن الكريم((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ)) (الصف:2) توبيخا للمؤمنين على قولهم مالا يفعلون[5] وقيل إنّ الخطاب للمنافقين وهو تقريع لهم بأنهم يظهرون الإيمان ولا يبطنونه[6] استعمله الإمام (ع) بإطلاقه لتوصيف حالة التردد والتناقض التي كان عليها إتباعه راجيا ما يضاد هذه الصفات من الصدق والوفاء والعلم وغيرها ، من خلال تلك الاستفهامات التي لا تساوي ما أراده المتكلم من معان ((فالمعاني اكبر من الكلمات وان الكثير من المشاعر والأفكار يحتبس في صدور الناس ولا تحملها كلماتهم وإشعارهم مما لا يرتاب فيه من يعرف طبيعة اللغة، ولو كانت اللغة قادرة على أن تستوعب كل اختلاجة وكل سانحة لما لجأ الإنسان إلى غيرها في التعبير عن حسه وشعوره))[7] . ومع ذلك تلمح دلالاتها بوساطة ((السياق النصي أو سياق الموقف بما يشمله من متكلم ومخاطب))[8] ، يقول (ع) فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ وَأَعْلَامُ الدِّينِ وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ))[9] وهو استفهام إنكاري قائم على التوبيخ والذم لمن انصرف عن الحق المتمثلة بعترة النبي (ص) وهو اقتباس قرآني

قال تعالى:(فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ))(يونس: :٣٤) أي أنى تصرفون عن الحق وتقلبون عنه ومنه آلافك والكذب لأنه قلب المعنى عن جهته[9] والتوجه نحو الضلال ،[10] أعاده الإمام (ع) بأسلوبه أي الاستفهام ولتفعيل ذلك الإنكار المتضمن التوبيخ والتأنيب لمن أفك وكذب.

المبحث الثاني .....دلالة بنية الكلام

---

١ _ شرح نهج البلاغة : حكمة٣٧٦/١٩/٢٤٧
٢ _ ينظر: التبيان : 7/ 401
٣ _ ينظر: دلالات التراكيب دراسة بلاغية : 262
٤ _ شرح نهج البلاغة : خ٢٩/٢/٩٠
٥ _ ينظر: الميزان : 19 /286
٦ _ ينظر: مجمع البيان : 5/ 278
٧ _ دلالات التراكيب دراسة بلاغية :221
٨ _ دلالات السياق : 525 ،وينظر :في النحو العربي نقد وتوجيه : 242
(١٠)- شرح نهج البلاغة :خ ٨٦ /٦ :٢٨٩ .
٩ _ ينظر: التبيان : 5 / 374
١٠ _ ينظر:الأمثل : 6 / 325

أولا : الجملة الاسمية:

لعل مسار الدراسة اللغوية أول أمره كان معنيا بالتركيب الشكلي أكثر من غيره أو كما يقول تمام حسان: ((الاتجاه إلى المبنى أساسا ولم يكن قصدها المعنى إلا تبعا لذلك وعلى استحياء))[١] إلى درجة الحكم على نوع الجملة من حيث تركيبها ونوع المسند فيها ، فالمصدرة باسم جملة اسمية ... والمصدرة بالفعل فهي جملة فعلية [٢] وان تأخر المسند فيها [٣] وصولا إلى البلاغيين والانعطاف بالدراسة إلى المعيار الدلالي التحليلي للجملة سواءأكانت اسمية أم فعلية، قال عبد القاهر: ((من فروق الخبر الفرق بين الإثبات إذا كان بالاسم وبينه إذا كان بالفعل وهو فرق لطيف تمس الحاجة في علم البلاغة إليه، وبيانه أنّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على انه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء))[٤] .

وهذا ما أكده القزويني في الإيضاح : ((فان من شان الفعلية أن تدل على التجدد ومن شأن الاسمية أن تدل على الثبوت))[٥] ، فإذا كان خبرها ـ أي الجملة ـ اسما فقد يقصد بها الدوام والاستمرار الثبوتي بمعونة القرائن وإذا كان خبرها مضارعا فقد تفيد استمرارا تجدديا إذا لم يوجد داع إلى الدوام ،[٦] وبذلك يكون لكل من الجملتين دلالته الخاصة وان المعنى في كل منهما يختلف عن الآخر ،يعدل عن احدهما لضرب من التأكيد والمبالغة ،[٧] بما يناسب النص والمقام الذي استوجب هذا التعبير المقصود .

وتتجلى دلالات استعمال الجملة الاسمية عند الإمام (ع) في مواضعها التي أريد لها أن تكون فيها ، كقوله (ع) لأصحابه في تعليم الحرب والمقاتلة: ((أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللَّهِ وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ [صلى الله عليه وآله] فَعَاوِدُوا الْكَرَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ وَالرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ وَقَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً فَصَمْداً صَمْداً حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ (وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)(محمد:٣٥)))[٨] .

يقول ابن أبي الحديد : ((وهذا الكلام خطب به أمير المؤمنين (ع) في اليوم الذي كان عشيته ليلة الهرير في كثير من الروايات ، وفي رواية نصر بن مزاحم انه خطب به في أول أيام اللقاء والحرب بصفين))[٩]، مما يشير إلى ثبوت المناسبة التي تطلبت ذلك التعبير المشير إلى إظهار الهمة وقوة العزيمة، خاصة بعد ختمه بقوله تعالى : ((وانتم الأعلون)) للإشارة إلى طلب الثبوت والدوام على نصر الحق .فالحالة الثابتة للإنسان إذا كان على الحق هو النصر من الله سبحانه وتعالى ،فانتم الأعلون ((وانتم القاهرون الغالبون))[١٠] بقيمكم وقدراتكم لان الإيمان بصيرة وقوة [١١].

---

١ _ اللغة العربية معناها ومبناها :12
٢ _ ينظر: البحث الدلالي في تفسير الميزان :243
٣ _ ينظر: معاني النحو : 1 /16
٤ _ دلائل الإعجاز : 192
٥ ـ الإيضاح في علوم البلاغة :1 / 191 ، وينظر : علم المعاني ::48
٦ _ ينظر: الكليات :أبو البقاء الكفوي :140 ، معاني الأبنية :17
٧ _ ينظر: المثل السائر : 2 / 51
٨ _ شرح نهج البلاغة : خ 65 / 5 : 136
٩ _ شرح نهج البلاغة : خ 65 / 5 : 142
١٠ _ التبيان في تفسير القرآن : 9/ 308
١١ _ ينظر: تفسير من هدي القرآن : 13 / 273

وبذلك تظهر دقة استعمال الجملة الاسمية المتمثلة بالآية المباركة وانسجامها مع مسلك النص المفضي إلى ذلك التأكيد والثبوت، زاده جمالية تأكيد ذلك الثبوت بتكرار المصدر (فصمدا صمدا) ومن ثم تصعيد المعنى بقوله تعالى (وانتم الأعلون) لتكثيف الدلالة المقصودة من الخطاب ، وعليه يكون هذا التوظيف القرآني عند الإمام داخلا في أسلوبه ليشكل إضافة تقوم بوظيفة لا تتصل بالجمال فقط بل على وجه التحديد بالفعالية والتأثير ،[١] كذلك مثلا تكراره لمسلك التوحيد وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بجلاله بصور لغوية لها دلالتها على ذلك ((باعتبار مباني اللغة مباني أفكار وصور وخواطر))[٢] ، يقول (ع) : ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَ الْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ وَ الظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ))[٣] وهذا مأخوذ من قوله تعالى : ((هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) (الحديد:٣) ،أي هو أول الموجودات لأنه قديم سابق لجميع الموجودات وما عداه محدث والقديم يسبق المحدث بما لا يتناهى من تقدير
الأوقات والآخر بعد فناء كل شئ لأنه تعالى يفني الأجسام كلها وما فيهما من الإعراض ويبقى وحده .. وقوله الظاهر والباطن قيل في معناه قولان احدهما: انه العالم بما ظهر وما بطن والثاني انه القهر لما ظهر وما بطن [٤] .

فضلا عن ذلك فانه ((ليست لاوليته تعالى ولا اخريته ولا ظهوره ولا بطونه زمانية ولا مكانية بمعنى مظروفيته لهما والا لم يتقدمهما ولا تنزه عنهما سبحانه بل هو محيط بالأشياء على أي نحو فرضت وكما تصورت))[٥] ؛ لذلك استعمله الإمام (ع) بهذا الوصف أي التركيب الاسمي للدلالة على ثبوتية تلك الصفات له سبحانه والخارجة عن دائرة الزمان والمكان بشكل مطلق، وفي موضع آخر يستمد (ع) شاهدا قرآنيا ليوظفه في سياق جديد قال تعالى: ((وإذا الصحف نشرت)) [التكوير:10] حول فيه الفعل (نشرت) إلى اسم مفعول لدلالة اقتضاها المقام، يقول (ع): ((فَاعْمَلُوا وَ أَنْتُمْ فِي بَقِيَّةِ الْأَنْفَاسِ وَ الصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ وَ التَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ وَ الْمُدْبِرُ يُدْعَى وَ الْمُسِيءُ يُرْجَى قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ الْعَمَلُ وَ يَنْقَطِعَ الْمَهَلُ وَ تَنْقَضِيَ الْمُدَّةُ وَ يُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ وَ تَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ))[٦] ، مؤكدا حقيقة ثابتة هي إن الصحف منشورة في الحياة الدنيا (لكتابة الصالحات والسيئات)[٧] ، بتعبير اسمي يثبت ذلك التحقق ويدفع الشك عن عدم التيقن من حصول ذلك العمل في الحياة الدنيا .

فالصحف منشورة ((أي وانتم بعد إحياء لأنّه لا تطوى صحيفة الإنسان إلا إذا ما مات))[٨] ، وتلك حقيقة ثابتة دلت على الثبوت فجئ لأجلها بجملة مسندها اسم [٩] وهذا يجعل السامع يحس بان المسند إليه يتصف بالمسند اتصافا ثابتا، كقولنا محمد ذكي.. فالصورة المرسومة في الذهن واضحة من حيث الإحساس بثبوت

---

١ _ ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته :صلاح فضل :87
٢ _ دلالات التراكيب دراسة بلاغية:23
٣ _ شرح نهج البلاغة : خ 95: / 7 :52
٤ _ ينظر: التبيان : 518/9
٥ _ ينظر: الميزان : 19 /165
٦ _ شرح نهج البلاغة : خ 241 /13 :229
٧ _ نهج البلاغة : صبحي الصالح : 452
٨ _ شرح نهج البلاغة ك خ 241 /13 : 229
٩ _ ينظر: معاني النحو :: 1 / 16 ، وينظر :البلاغة فنونها وأفنانها : فضل حسن عباس :111

الصفة للموصوف فالذكاء ثابت لمحمد[١] ، فكذلك النشر ثابت للصحف ،سواء كان كناية عن أعمال العباد يوم القيامة أي تظهر بكاملها كما هي [٢] أو في الحياة الدنيا كما أرادها الإمام (ع) .

ويستمر تولد الأفكار في (نهج البلاغة) فإذا أنت منها أمام حشد لا ينتهي وهي مع ذلك لاتتراكم ، بل تساوق ويترتب بعضها على بعض [٣] ولا سيما في امتياحه من النص القرآني ومثل ذلك يتكرر عنده (ع) يقول في معرض توحيده الله عز وجل((لَكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ وَإِلَهُ الْخَلْقِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ))[٤] إذ وصف الشمس والقمر بـ (الدائبين) لتعاقبهما على حال واحدة لا يفتران ولا يسكنان [٥] ، مما يعني ثبوتهما على حالة واحدة ،وذلك ما يناسب استعمال الجملة الاسمية لهما ،لإظهار تلك الحقيقة الثابتة التي تحدث القرآن الكريم ((وسخر لكم الشمس والقمر دائبين)) [إبراهيم:٣٣] ومن ثم الإفادة منها في سياق توحيد الخالق جلّ وعلا وهو أمر يرتبط بالمتكلم، إذ إن بناء النص وتحويله بهذا الشكل جاء نتيجة الثراء التعبيري الموجود في اللغة والتأمل في بنيتها ((فإعادة بنائها يعود إلى مقتضى الدافع الكامن في نفس مستعملها))[٦] والدافع هنا هو الحديث عن صفات ثابتة لذلك جاءت منسجمة مع طبيعة النص ومقامه . وفي نص آخر يقول (ع): ((تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَتَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ)[٧] ،وفي ذلك تأكيد على عظيم تلك الفريضة لذا أورد الحديث عنها بالتعاهد والمحافظة والاستكثار والتقرب،ومن ثم استرجاع ما قاله القرآن في ذلك ((إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً)(النساء: ١٠٣) كناية عن الفرض والإيجاب كقوله تعالى: ((كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ))(البقرة: ١٨٣). والموقوت أي جعل له وقت، ظاهر اللفظ إن الصلاة فريضة مؤقتة منجمة تؤدي في أوقاتها ونجومها ، والظاهر إن الوقت في الصلاة كناية عن الثبات وعدم التغير بإطلاق الملزوم على لازمه فالمراد بكونها كتابا موقوتا إنها مفروضة ثابتة غير متغيرة أصلا [٨] آزر ذلك الثبات كونها جملة اسمية صدرت بـ (إنّ) التو كيدية لتكثيف المعنى وتقويته؛ لأنه أريد به التعبير عن حقيقة ثابتة .

وان كان فيما مضى تحقق معنى الثبوت من إيراد الجملة الاسمية فإنها قد ينصرف معناها إلى السرعة والتأكيد في سياق آخر تشير قرائنه إلى ذلك ،

إذ يستشهد (ع) بنص قرآني في معرض التحذير والتهديد تلمح منه تلك الدلالة، يقول (ع): ((فَلْيَسْتَطْلِكَ مَنْ تَطْلُبُ وَيَقْرُبْ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ أَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ أَحَبُّ الِاقْتِحَامِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ وَقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)(هود: ٨٣)))[٩] ،

---

١ _ ينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم :: ٣٨
٢ _ ينظر: الكاشف : 7 / 523
٣ _ روائع نهج البلاغة : 11
٤ _ شرح نهج البلاغة : خ 89 /6 : 304
٥ _ ينظر: م . ن :305
٦ _ النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك : إبراهيم محمود خليل :160
٧ _ شرح نهج البلاغة :خ١٩٢ : ١٠ / ١٥٨
٨ _ ينظر: الميزان : 5 / 64
٩ _ شرح بهج البلاغة : ك 28 / 15 : 139

عامدا إلى التدرج في تصعيد نبرة الخطاب على مستوى اختيار الألفاظ والتراكيب القصيرة، وصولا إلى الذروة بتوظيف النص القرآني ((وَما هِيَ مِنَ الظّالِمينَ بِبَعيدٍ))(هود: ٨٣)المسوقة لغرض التهديد ،[١] بصياغة اسمية مناسبة للحدث تدل على السرعة والتأكيد في انجاز ذلك الفعل، وهو الاستجابة للقتال، مع الإيمان بتحقيق النصر والغلبة.

وقد يتجاوز الإمام (ع) في استعمالاته للنص القرآني تصريحا أو ضمنا إطار الانعكاس الفردي ، ليركز على حقيقة يتمثلها العقل الجمعي ، أي الخروج من الجزئي إلى الكلي ،لاسيما إذا كانت تتعلق بالعدالة الإلهية ، فمثلا القرآن الكريم يؤكد على إن الله هو الحاكم بالحق وهو احكم الحاكمين، لان كل مظاهره حق تدعو إليه الحكمة سواءفي قوله أو فعله ،[٢]

استثمر الإمام (ع) ذلك المعنى وصوره بهذا الشكل يقول:(ع)(يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ وَ لَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ وَ حَقُّ الْمَسْأَلَةِ وَ قَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ أَمَّا الِاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ وَ نَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً وَ الْأَشَدُّونَ بِالرَّسُولِ صَوْلًا فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ وَ سَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ وَ الْحَكَمُ اللَّهُ وَ الْمَعُودُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٣] مستعملا عبارة (والحكم الله) لثبوت تلك الحقيقة وانطباقها على جميع العباد (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))(البقرة: ١١٣).

إذ يقال حكم يحكم حكما فهو حاكم وحكم إذ قضى وفصل بين المتنازعين[٤] ، واستعمال الحكم في كلامه (ع) يعني المتخصص بذلك فهو ابلغ[٥] ، لذلك أورده (ع) وأسنده إلى الله سبحانه بصياغة اقتضت تحقق تلك الدلالة المشار إليها .

ثانيا : الجملة الفعلية

الفعل هو عبارة عن حركة الوجود، فكل ما في الكون له حدث مقترن بزمن معين، حتى عد في إطاره التركيبي أكثر الجمل شيوعا في الاستعمال، بل أكثر قدرة على الإعراب عن دقائق الزمن [٦] ولا يقتصر الأمر على العربية حسب بل للجملة الفعلية المساحة الواسعة في الاستعمال اللغوي العربي وفي سائر اللغات السامية [٧] ، يراد من استعمالها الإخبار بمطلق العمل مقرونا بالزمان من غير أن يكون مبالغة وتوكيدا[١] ومن غير

---

١ _ ينظر: الميزان : 10 /357
٢ _ ينظر: التبيان : 493/5
٣ _ شرح نهج البلاغة : خ٩/١٦٣: ١٨٥
٤ _ ينظر: لسان العرب: ١٢٩/٢
٥ _ ينظر: مفردات ألفاظ القرآن : 249
٦ _ ينظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق :مهدي المخزومي : 125 ، والفعل زمانه وأبنيته :: 15
٧ _ ينظر: العربية بين أمسها وحاضرها : إبراهيم السامرائي : 109

تكلف إذ إن طريقة العرب تدبيج الكلام وتلوينه فتأتي الفعلية تارة والاسمية أخرى[٢] بفارق الدلالة التي يمنحها النص بمكوناته . فإذا قيل في دلالة الفعل إنّه ((يفيد الحدث في زمن معين))[٣] لتصوير الحدث في الماضي أو الحال أو المستقبل [٤] .

فذلك لا ينطبق على الأفعال المسندة لله عز وجل ،قال تعالى: ((وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا)) [الأنعام:59] فعلمه لا يتحدد بالمستقبل فحسب وإنما يعلمها ساقطة وثابتة،[٥] ويعلم عددها ولحظة الانفصال عن غصنها وطيرانها في الهواء حتى لحظة استقرارها على الأرض فهذا جلي أمام علم الله[٦] لا في زمن بعينه بل مطلق الزمن، إذ إن الفعل (يعلم) هو فعل خالد ابد الدهر ليس مقيدا بزمن المضارع فحسب بل هو مطلق من الناحية الزمنية وهذا من أسرار الإعجاز القرآني في الظاهرة الزمنية[٧] التي استحضرت عند الإمام (ع) بإسناد الفعل (يعلم) إلى الله سبحانه بنص يتشرب من الآية المذكورة، يقول (ع)((لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ يَوْظِفُهُ لِسَانٌ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ وَلَا خَفِيِّ الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ وَلَا دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا وَلَا مَقِيلِ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ وَخَفِيِّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ))[٨]

قال ابن أبي الحديد : ((ويعلم مساقط الأوراق ،من قوله تعالى: ((وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا))(الأنعام: ٥٩) دون الإشارة إلى دلالة ذلك الاستعمال الفعلي، وهو مقصد يستبطن إبراز دور العمل [٩] المتمثل بالعلم وعلى صيغة (يفعل)(يعلم) للدلالة على كون العمل ((لا يحدث في زمن خاص ولكنه يحدث في كل وقت ولا يلاحظ فيه وقت معين ولكنه يدل على الدوام))[١٠] ، كدلالة عامة للصيغة وخاصة للمادة (يعلم) ((إذا أسندت إلى الله سبحانه فعلم الله خالد من الناحية الزمنية))[١١] .

وهذا ما توخاه الإمام (ع) في كلامه ، بتركيزه على الأفعال المتعلقة بالله والدالة على عظمته (لايشغله ،ولا يغيره ،ولا يحويه ،ولا يصفه ،ولا يعزب ،ويعلم) مسندا ذلك بما له علاقة بالنص القرآني لتوكيد المعنى وتقريره في الأذهان .

ومثل ذلك قوله (ع) ((قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ الْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ))[١٢] ، آخذا ذلك المعنى من آيات كثيرة تحدثت عن علم الله ، قال تعالى: ((يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ))(البقرة:٧٧) وقوله تعالى: ((يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)(طه: ٧) وقوله تعالى : ((يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ)(الأنعام: ٣)) موظفا ذلك بصياغة فعلية مؤكده بـ (قد) للدلالة على تحقق علم الله ومعرفته بالسرائر؛لان الزمن لا يكمن في البناء ذاته وإنما يأتيه من النظم[١٣] ، وهو ما يسمى عند المحدثين بـ (الزمن

---

١ _ ينظر: أساليب بلاغية : احمد مطلوب : 142
٢ _ ينظر: المثل السائر : 1 / 84
٣ _ من أسرار اللغة :249
٤ _ ينظر:الفعل والزمن :عصام نور الدين :79
٥ _ ينظر: التبيان : 4 /154
٦ _ ينظر: الأمثل : 4 / 292 ، من هدى القرآن : 3 / 86
٧ _ ينظر: الإعجاز النحوي في القرآن الكريم : فتحي عبد الفتاح الدجني : 177
٨ _ شرح نهج البلاغة : خ 179/ 10 : 47
٩ _ الألسنية التوليدية والتحويلية : ميشال زكريا :86
١٠ _ في النحو العربي نقد وتوجيه : 134، وينظر : الدلالة الزمنية في الجملة العربية : علي المنصوري : 103
١١ _ الإعجاز النحوي في القرآن الكريم : 177
١٢ _ شرح نهج البلاغة : خ 85 / 6 : 272
١٣ _ ينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم : 96

النحوي) يتأتى من خلال ((وظيفة السياق تحددها الضمائم والقرائن))[١] . والقرينة هنا تضام (قد) مع الفعل (علم)، لإفادة معنى التقريب وكون الفعل محقق الوقوع [٢] ، وهذا مما لا شك في تحققه بإسناده إلى الله سبحانه .

وتارة يتجلى التوظيف القرآني عند الإمام (ع) بأسلوب يقترب من الدلالة القرآنية المرداة على الرغم من الفارق بين النصين ، فمثلا يقول تعالى : ((وَنَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ))(إبراهيم: ٥) ، بصيغة الأمر لغرض الالتفات والاتعاظ بنعم الله وعقوباته على مصائر الأمم السابقة ولا شك إن المراد بها أيام خاصة ونسبة أيام خاصة إلى الله سبحانه مع كون جميع الأيام وكل الأشياء له تعالى ليست إلا لظهور أمره تعالى فيها ظهورا لا يبقى معه لغيره ظهور فهي ألأزمنة والظروف التي ظهرت أو سيظهر فيها أمره تعالى أو آيات وحدانيته وسلطنته كيوم الذي يظهر فيه سلطان الآخرة وتسقط فيه الأسباب الدنيوية عن التأثير ويوم القيامة الذي لا يملك فيه نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله وكالأيام التي اهلك الله فيها قوم نوح وعاد وثمود فان هذه وأمثالها أيام ظهر فيها الغلبة والقهر الإلهيان وان العز لله جميعا ويمكن أن يكون منها أيام ظهرت فيها النعم لله ظهورا ليس فيه لغيره تعالى صنع كيوم خروج نوح (ع) وأصحابه من السفينة بسلام إلى غيره تعالى فهي أيام الله منسوبة إليه [٣].

اخذ الإمام (ع) ذلك المعنى وصاغه بعد تلاوته لقوله تعالى: ((يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ))(النور:٣٦، ٣٧) حيث الحديث عن دور الذكر ، وصفات أولئك الرجال يقول (ع)((إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جَلَاءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ عَزَّتْ آلَاؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ كَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّاءِ فِي الْفَلَوَاتِ))[٤] ، محولا صيغة فعل الأمر في النص القرآني (وذكرهم بأيام الله) إلى صيغة المضارع (يذكرون بأيام الله) لان الحديث عن جمع وهم (الرجال) في نصه ولغرض المبالغة في تصوير ذلك الفعل (التذكير) وتفخيم اثر أولئك الرجال في ذهن السامع بما يقومون به من تذكير بالأيام التي كانت فيها النقمة

بالعصاة والهتف بالزواجر عن المحارم في أسماع الغافلين والأمر بالقسط والنهي عن المنكر [٥] لا في زمن محدد بل في كل زمن يهيء الله من عباده لذلك لا في المستقبل فحسب كما تدل عليه (الصيغة) بل منذ بداية حصوله وبامتداد الزمن ((ففعل الحال في الحقيقة مستقبل لأنه يكون أولا أولا فكل جزء خرج منه إلى الوجود صار في حيز المضي))[٦] ، مع دلالته على الحال والاستقبال ،[٧] ومن ثم تخلص الدلالة إلى حصول ذلك الحدث (التذكير) في كل زمن ، بإلهام من الله سبحانه لأولئك الرجال (وناجاهم في فكرهم) أي ألهمهم،[٨]

---

١ _ اللغة العربية معناها ومبناها : 242
٢ _ ينظر: مغني اللبيب :ابن هشام : 1 / 188
٣ _ ينظر: الميزان :12 / 14 ، والامثل : 7 / 404
٤ _ شرح نهج البلاغة : خ 217 / 11 : 135
٥ _ ينظر: شرح نهج البلاغة خ٢١٧ :١١: ١٣٨
٦ _ الفعل والزمن :42
٧ _ ينظر: شرح المفصل : 7 / 6 .
٨ _ ينظر: شرح نهج البلاغة : خ 217/ 11 : 137
٥ـ اللغة :١٦٢
٦ـ تفسير من وحي القران :١٠ /١٠٢
٧ـ شرح نهج البلاغة :خ ٩٦ :٧: ٥٤

بشكل مستمر يستفاد من الإسناد إلى مسبب ذلك الحدث وهو الله سبحانه ومن التعبير بالفعل يقول فندريس : ((الجملة الفعلية تعبر عن الحدث مسندا إلى الزمن منظورا إليه باعتبار مدة استغراقه منسوبا إلى فاعله موجها إلى مفعول إذا لزم الامر))[٥] وقد يستعمل الفعل لاستحضار حكاية الحال الماضي والاتعاظ بها، مثال ذلك ما يورده القرآن الكريم عن قصص الأنبياء ودعوتهم أقوامهم إلى سبيل الرشاد، قال تعالى: ((قَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ))(الأعراف: ٧٩) وقوله: ((ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً) (نوح:٨، ٩) . كل ذلك من اجل السير في خط الرسالة ليبلغوا مداها الأخير في نهاية المطاف وهو الجنة في الدار الآخرة بالإضافة إلى سعادة الدنيا[٦] فالأفعال (أبلغتكم،نصحت ، أعلنت،أسررت) تدل على الماضي، وتشير إلى حصولها على يد الأنبياء، من ذلك اخذ الإمام(ع) وامتد بتجربته مع قومه في النصح والإرشاد والإعلان والإسرار، يقول (ع): ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَظْهَرَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا))[٧]

.فقوله (ع): ((ودعوتكم سرا وجهرا)) ونصحت لكم فلم تقبلوا، يستحضر الصورة القرآنية المذكورة ويشير إلى شبه التجربة بينهم، يقول ابن أبي الحديد: ((ثم اقسم عليه السلام إن أهل الشام لابد أن يظهروا على أهل العراق وان ذلك ليس لأنهم على الحق وأهل العراق على الباطل بل لأنهم أطوع لأميرهم ومدار ألنصره في الحرب إنما هو على طاعة الجيش وانتظام أمره ... ثم ذكر (ع) نكته لطيفة في هذا المعنى ، فقال العادة إنّ الرعية تخاف ظلم الوالي وأنا أخاف ظلم رعيتي))[٨] ، وذلك حكاية حال ماضيه ناسبها استعمال الأفعال الماضية بما تدل عليه ، قال الزمخشري: ((الفعل الماضي هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك))[٩] ، والسياق يشير إلى أنها أحداث اقترنت في زمنه (ع) .تمثلها الإمام في كلامه لاستحضار رسالات الأنبياء والأولياء ودورهم في تقويم منهج الحق على الأرض .

وفي نص آخر يوظف الإمام (ع) النص القرآني بصياغة فعلية لها دلالتها المنسجمة مع سياقها، بفارق التحول في البنية، يقول تعالى: ((وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ) (الشعراء:٩٠)

)الزلفة هي المنزلة والخطوة .. والمزالف ألمراقي ، وأزلفته جعلت له زلفى[١] والبراز الفضاء ... ومنه المبارزة للقتال ... أو الظهور في فعل محمود أو الكشف عما هو مستور ومنه قوله تعالى: ((وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ))(إبراهيم: ٤٨)... وقوله: ((وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ) (الشعراء:٩١) تنبيها أنهم يعرضون عليها ،[٢] من خلال ظهورها وكشف الغطاء عنها للضالين عن طريق الحق والصواب ،[٣] أما إزلاف الجنة فالمقصود إنها قربت للمتقين لينالوها من اقرب موقع من دون جهد فلا يكلفون أن يبذلوا جهدا للوصول إليها،[٤] والطريف إن القرآن لم يقل : اقترب المتقون أو أزلف المتقون إلى الجنة بل قال (وأزلفت الجنة للمتقين) للدلالة على مقامهم

٨- م.ن: : ٥٥
٩- المفصل : ٢٤٤
١ _ مفردات ألفاظ القرآن : 382
٢ _ ينظر: مفردات الفاظ القرآن : 118
٣ _ ينظر: مجمع البيان :4 / 192
٤ _ ينظر: تفسير من وحي القرآن : 17 / 147

الكريم وعظم شأنهم،[١] أما الإمام (ع) ، فقد جاءت عبارته بهذا الشكل وهي عامدة إلى تقصد ذلك التوظيف القرآني.

يقول (ع) في الإيمان: ((سبيل أبلج المنهاج أنور الفجاج فليسلك الإيمان يستدل على الصالحات وبالصالحات يستدل على الإيمان وبالإيمان يعمر العلم وبالعلم يرهب الموت وبالموت تختم الدنيا وبالدنيا تحرز الآخرة وبالقيامة تزلف الجنة وتبرز الجحيم للغاوين))[٢] ، قال ابن ابي الحديد : ((وبالقيامة تزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين)) هذا من القرآن العزيز ،[٣] على الرغم من ترك الذكر (المتقين) في إيراد النص ولعله من خطأ النساخ ، حول الإمام(ع) الأفعال الماضية في النص القرآني إلى أفعال مضارعة (أزلفت،وبرزت) إلى (تزلف ،وتبرز) مع الاتحاد في بنائها للمجهول؛ لان المضارع يتعين فيه الاستقبال اذا اسند إلى متوقع،[٤] وإزلاف الجنة وبروز الجحيم مما لاشك في وقوعه ،اما بناؤها للمجهول فيشير الى تعظيم المصير الذي سيؤول أليه كل من المتقين والغاوين ، وبذلك تكون الجملة الفعلية لها دلالتها التي اريدت في وضع التعبير المناسب في مكانه على الرغم من عدولها عن الفعلية التي جاءت في النص القرآني لمطلب ما . يقول ابن الأثير : ((وإنما يعدل عن احد الخطابين إلى الآخر لضرب من التأكيد والمبالغة))[٥] ومثله ـ أي الحديث عن القيامة ، يقول الإمام (ع) بعد تلاوته لسورة الكوثر :((يا لها مراما ما أبعد مغزاها وما أفظعه وخطرا ما أفظعه لقد استخلوا منهم أي مدكر وتناوشوهم من مكان بعيد))[٦] وهو بذلك يحيل إلى قوله تعالى : ((وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) (سبأ:٥٢) والمراد من التناوش ، التناول ، يقال ناشه بيده ينوشه نوشا[٧] والمعنى كيف لهم ان يتناولوا الإيمان من بعد يعني في الآخرة وقد تركوه في الدنيا وهو معنى (من مكان بعيد) وهو تمثيل لحالهم في طلب الخلاص بعد ما فات عنهم ،[٨] استعمله الإمام (ع) بصيغة الماضي (وتناوشوهم) ،بحكم ما تدل عليه الصيغة من المضي ولملائمته في سرد أحداث ماضية في اسلوب القصص ،[٩] فضلا عما تحمل الصيغة من معنى المشاركة قال سيبويه:((وأما تفاعلت فلا يكون الا وأنت تريد فعل اثنين فصاعدا))[١٠] ، لذلك اسند الفعل إلى الواو تفخيما لذلك الحدث وهو التناوش لمن خلا من أسلاف المخاطبين .

يقول ابن ابي الحديد : ((واستخلى فلان في حديثه أي حدث عن أمورٍ خالية والمعنى أنه أستعظم ما يوجبه حديثهم عما خلا وعمن خلا من أسلافهم و أثار أسلافهم من التذكير فقال أي مدكر وواعظ في ذلك .. وتناوشوهم من مكان بعيد أي تناولهم والمراد ذكرهم وهم وتحدثوا عنهم فكأنهم تنالوهم))[١١] وفي ذلك تتضح دلالة الجملة الفعلية بغرض التذكير والاعتبار بمن سبق .

---

١ _ ينظر: الامثل : 11 / 357
٢ _ شرح نهج البلاغة : خ 156 /9 : 154
٣ _ ينظر:م . ن :155
٤ _ ينظر: شرح الرضي على الكافية : 2 / 231 ، الاعجاز النحوي في القرآن الكريم : 171
٥ _ المثل السائر : 2/ 51
٦ _ شرح نهج البلاغة : خ 216 / 11 : 111
٧ _ ينظر: لسان العرب : ١٤ /٣٢٦
٨ _ ينظر: فتح التقدير : ٤١٩/٤ ، لسان العرب //٦/٢٧٦ ، الميزان : 16 / 406 ، الامثل : 13/ 450
٩ _ ينظر: الفعل والزمن : 55
١٠ _ الكتـــــــــــاب : 4 / 69
١١ ـ شرح نهج البلاغة : خ 216 /112:11

ويلجأ (ع) إلى تكثيف المرجعيات القرآنية في بعض نصوصه إذا تطلبها المقام لاسيما إذا كان القصد من ذلك توجيه المتلقي وإرشاده ، يقول (ع) :«فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ » [1] مستمداً ذلك منأيات كثيرة قال تعالى(والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (يس:٣٨) وقوله تعالى «وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ(يس: ٣٩) وقوله تعالى « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (آل عمران:١٩٠) وقوله تعالى « وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) (التكوير:٦). إذاً فهو نص مكتنز بالتعبير القرآني يستهدف النظر والتفكير في قدرة الله المطلقة على تدبير الكون واتقانه لكل حركة فيه ، أورد الإمام (ع) أغلب فقراته في ذلك النص بجمل فعلية للدلالة على أمرين الأول : حركة بعض هذه المخلوقات مثل الشمس والقمر واختلاف الليل والنهار وتفجر البحار فهي مشاهد متغيرة وغير ثابتة ، والثاني : تنبيه المخاطب المطلق في كل زمن للاتعاظ بهذه القدرة العظمية من خلال النظر القائم على التأمل والتفكر في ذلك الخلق العظيم ، المليء بمشاهد تملأ العين والأذن وتتغلغل إلى الفكر والوجدان بصورة لا يمكن غضّ النظر عنها .

ومن مشاهد الكون في القرآن الكريم الدالة على عظمة الله سبحانه ، يأخذ الإمام بعض صوره ويعيدها بتوظيف جديدة ينسجم ومطالب السياق ، يقول (ع): «ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا وَأَدَامَ مُرَبَّهَا وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ وَسَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَسَمْكاً مَرْفُوعاً بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا وَلَا قَرَارٍ يَمْسُكُهَا وَلَا عَلَائِقَ يَنْظِمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ» [2]هو نص مكتنز بما أشار إليه القرآن في آيات عديدة ، أستعمل الإمام (ع) بعضاً منها بصياغة فعلية لها دلالتها ، فقوله « فسوى منه سبع سمواتوقوله« ثم زينها بزينة الكواكب » يشير إلى أن الله عدَّلهن وخلقهن [3] ثم جعل الكواكب في السماء زينة وجمال بأنوارها وأشكالها فضلاً عن منافعها وفوائدها[4]وهي أفعال اقترن حدوثها في الزمن الماضي زمن الخلق الأول لذا ناسبها بما يدلُّ عليها ، من جانب ، فضلاً عن استحضارها مرّة أخرى لغرض بيان القدرة الإلهية وعظمتها في أبداع ذلك العالم من جانب أخر ، وهو ما ذكره القرآن في موارد كثي

الحديث عن خلق العالم وأنواع المخلوقات لإيقاف الإنسان على العظمة الإلهية وما أودع الله في المخلوقات من أحكام وأسرار»[5] ومثله يأتي استعمال الفعل بما يناسب زمن حدوثه ،كقوله(ع)وقد مربقتلى الخوارج يوم النهروان ((بُؤْساً لَكُمْ لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ فَقِيلَ لَهُ مَنْ غَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ وَالْأَنْفُسُ الْمَنَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي فِي الْمَعَاصِي وَوَعَدَتْهُمُ الْإِظْهَارَ فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ النار» [6] فقوله : «وغرَّتهم الأماني» هو أشارة إلى قوله تعالى((وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ)(الحديد:

---

١ - م ، ن : خ 231 /13 :44
٢ - شرح نهج البلاغة : ؟ خ 1 /1 :100- 101
٣ - تفسير القرآن الكريم : صدر المتالهين : 2 /274
٤ - الكاشف : /330
٥ - معارف القرآن : محمد تقي مصباح اليزدي:3/2
٦ - شرح نهج البلاغة :حكمة :329 /19 :193

١٤) . أي الأماني النفسية وذبذبات الشهوة حتى متم على هذه الحالة [١]صاغ الإمام ذلك بتركيب فعلي (وغرتهم بالأماني) يدل على حدث يشير إلى زمن الماضي ، وهو ما تدل عليه (الصيغة) (غرَّ) ومناسبات السياق الذي يشير إلى سبب حدوث هذا القول.

المبحث الثالث..... **عوارض بناء الجملة**

أولا:الحـــــــــذف والذكر:

من الأسباب التي أستحسنها العربُ في كلامهم وعُدِّت من الأشكال الجمالية في الكلام ، إسلوب الحذف قيل فيه « هو بابٌ دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر ، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون أذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً أذا لم تبن »[٢] تفنن العرب في استعماله فحذفوا الحرف والكلمة والجملة لمقاصد يتطلبها المقام وهو آمر لا يخلو من الشجاعة وإقدام في تبني ذلك المسلك ،لذلك سمي ب(باب شجاعة العربية)[٣]وعد سنّةُ من سنن العرب [٤] ينماز البلغاء وأرباب البيان في طرقه والإبداع في توظيفه لما فيه من إثراءٍ للنص بقيم أسلوبية كبيرة مهمتها الإيحاء [٥] بدلالات النص المتنوعة ، وهذا ما طفح به النص ألنهجي بشكل عام* ، وبتعامله مع النص القرآني وفق هذه الإجرائية بشكل خاص .

من ذلك ما ذكره القرآن الكريم عن الشيطان وأساليبه في آياتٍ عديدة كقوله « وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً)(الإسراء: ٦٤) والجَلْب ((سوق الشيء يقال جلبت جلباً .. و أجلبت عليه صحت عليه بقهر)) [٦]أُريد منه معنى أي وصح عليهم لسوقهم إلى معصية الله بأعوانك وجيوشك فرسانهم ورجالتهم وكأنه أشار إلى أن قبيلة وأعوانه منهم من يعمل ما يعمل بسرعة كما هو شأن الفرسان في الحرب ومنهم من يستعمل في غير موارد الحملات السريعة كالرجالة ، فالخيل والرجل كناية عن المسرعين في العمل والمبطئين فيه وفيه تمثيل نحو عملهم [٧] أستثمر الإمام (ع) ذلك المعنى بمغايرة في البنية والمخاطب إذ أستعمل (وأستجلب) مكان (وأجلب) والإشارة إلى الغائب بعد أن كانت للمخاطب ، مع الحذف للجار والمجرور (عليهم) .

يقول (ع) : ((أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ وَاسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجِلَهُ وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي وَلَا لُبِّسَ عَلَيَّ وَايْمُ اللَّهِ لَأَفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ))[٨] ،وهو أفصاح يكشف عن دلالة مقصودة من حذف (الجار والمجرور) (عليهم) تكمن في ألإطلاق والمبالغة لعمل الشيطان من الجمع والسوق للخيل والرجل يدل على ذلك استعمال الفعل (وأستجلب) أي طلب أن يجلب له [٩]بتلك الصيغة للزيادة في المعنى وتصدير الجملة ب(إلا) يدل على شدَّة الاهتمام باستماعها (وبأنَّ) على ردِّ المخاطبين عن الخطأ إلى

---

١ ـ ينظر:البرهان في تفسير القران : البحراني :٩ / ٣٨٧
٢ ـ دلائل الأعجاز ::170
٣ ـ الخصائص : 2/ 360
٤ ـ ينظر:الصاحبي في فقه اللغة :175
٥ ـ ينظر:البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث : مصطفى السعد ني :139 -141
*تناول الباحث تلك الظاهرة في نهج البلاغة بعنوان (الحذف صوره ودلالاته في نهج البلاغة) رسالة ماجستير .
٦ ـ مفردات ألفاظ القرآن :198
٧ ـ ينظر:الميزان في تفسير القرآن :13 /154، وتفسير مـــــــــن وحي القرآن :179/14 .
٨ ـ شرح نهج البلاغة :1/خ 10 :225
٩ ـ ينظر:لسان العرب :٣١٣/٢

الصواب [1] فضلاً عن التعدد في معنى الشيطان ((فيمكن أن يعني بالشيطان الشيطان الحقيقي ويمكن أن يعني به معاوية فأن عنى معاوية فقوله .. كلام جارٍ على حقائقه وإن عنى به الشيطان كان ذلك من باب الاستعارة))[2] ،كلُّ ذلك آزر المعنى مع الحذف للجار والمجرور (عليهم) دون التقيد بدلالات(على)[3].

أسهم في تكثيف الدلالة وتصعيدها ، وفي نص أخر يتحول إطار التركيب القرآني عند الأمام (ع) بحذف (حرف الجر) لملحظ دلالي ابتغاه المقام يقول (ع) : « وَ لَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا لِعِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الْجُهَلَاءِ أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرَكُمْ تَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَ لَا عِلَّةٌ أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ وَ طَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ فَقَالَ أَنَا نَارِيٌّ وَ أَنْتَ طِينِيٌّ وَ أَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتَرَفَةِ الْأُمَمِ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ فَقَالُوا: «نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين »[4]فقوله : أنا ناري وأنت طيني مأخوذ من قوله تعالى : ((خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)(لأعراف: ١٢) حيث تصور إبليس أن عنصر النار أشرف من عنصر الطين وذهب عنه أن النار أنما هي بمنزلة الخادم لعنصر الطين ،وما شرف آدم ألا لان الله خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه والجواهر في أنفسها متجانسة وإنما تُشرَّق بعارضٍ من عوارضها [5]

أستعمله الإمام بحذف حرف الجر (من) وبصيغة النسب أي الإضافة إلى الياء لما في ذلك من زيادة قوة في الفعل [6]وإشباع في معنى الصفة [7]لغرض المبالغة في أثبات تلك الصفة (الخلقة من النار وتفضيلها على الطين) الدالة على العصبية ومساوئها ، إذ أن مقام الحال للخطبة هو « أن أهل الكوفة قد فسدوا في أخر خلافة أمير المؤمنين وكانوا قبائل في الكوفة فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة أخرى فينادي باسم قبيلته يا للنخع مثلا أو يا لكندة نداءً عالياً يقصد به الفتنة وإثارة الشر : فيتألب عليه فتيان القبيلة التي مرَّ بتا فينادون يالتميم ويا لربيعة ويقبلون إلى ذلك الصائح فيضربونه فيمضي إلى قيلته فيستصرخها فتُسل السيوف وتثور الفتن ولا يكون لها أصل في الحقيقة ألا تعرض الفتيان بعضهم ببعض »[8] لذا فاستعمال تلك الصيغ (ناري وطيني) جاء مناسباً لثبوت تلك العصبية المنهي عنها في فعل إبليس فيهم

وبشكل مبالغ فيه من خلال الإضافة إلى ياء النسب الدالة على ذلك دون استعمال حرف الجر (من) وما فيه من معان ، لا تساوي ذلك الإطلاق ألذي أحدثه الحذف، يقول أبن ألأثير: يعد الحذف دليلاً على زيادة المعاني في الألفاظ » [9].

---

١ ـ ينظر:من بلاغة الأمام علي (ع) في نهج البلاغة :128
٢ ـ شرح نهج البلاغة :1/ خ 10 :225
٣ ـ ينظر:معاني النحو :3 /45 - 51
٤ ـ شرح نهج البلاغة :13 / خ238 :125
٥ ـ ينظر:فتح القدير : ٢ /٢٤٤
٦ ـ ينظر:الكشاف : الزمخشري :370/2
٧ ـ ينظر:الخصائص : 104/3
٨ ـ شرح نهج البلاغة :13 / خ 238 :126
٩ ـ المثل السائر ::279/2 وينظر :ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : طاهر سليمان حمودة :91- 92

وفي صورة أخرى يوظف الأمام (ع) المشهد القرآني ، فقال تعالى : ((إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً)) (الواقعة:٤) عامداً إلى حذف المصدر (رجًّا، ونسفا ودكاً) للدلالة على تعظيم الخالق والسرعة في إنجاز الحدث من خلال التركيز على الأفعال المستعملة .

يقول (ع) : « حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَ الْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ وَ أُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ وَ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ أَمَادَ السَّمَاءَ وَ فَطَرَهَا وَ أَرَجَّ الْأَرْضَ وَ أَرْجَفَهَا وَ قَلَعَ جِبَالَهَا وَ نَسَفَهَا وَ دَكَّ بَعْضَهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلَالِهِ »[١] فالتركيز على أحداث واضح من خلال الإلحاق« والحق أخر الخلق بأوله ، أي تساوي الكل في شمول الموت والفناء لهم فالحّق الآخر بالأول . وآماد السماء حركها ..وفطرها شقها وأرَّج قلعها من أصولها ودك بعضها بعضاً صدمه ودقه حتى يكسره ويسويه بألا رض » [٢].

وكلُّها أحداث مهولة تطلب السياق ذكرها دون توكيدها بمصدرها ،لسرعة تتابعها وقوة وقوعها على السمع لذلك فالحذف كان مناسباً لإبراز تلك الدلالة « إذ فجُّر في ذهن المتلقي شحنة فطرية أيقظت ذهنه وجعلته يتخيل ما هو مقصود » [٣] بعد التكثيف المتلاحق للنص القرآني والمنسجم مع قوة الحدث . وفي مقام أخر يقول (ع) : « أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً وَ أَقْطَعُ مُعْتَرِّ مَعْذِرَةً لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ وَ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ وَ مَا أَنَسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ »[٤]حاذفاً لصفة الرب الواردة في قوله تعالى ((يا أَيُّها الإنسان ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)) (الانفطار:٦) حيث ذكر الكريم هنا دون سائر أسمائه وصفاته لأنه كان لقنه بالإجابة حتى يقول غرني الكريم [٥] وقيل ذكر الكريم للمبالغة في المنع عن ألاغترار والأشعار بما به يغرُّ الشيطان فأنه يقول له أفعل ما شئت فأن ربك كريم لا يعذبّ أحداً .[٦]

أما الأمام فلم يذكر صفة لرب للدلالة على التعظيم وألا طلاق في صفات الرب المنعم والساتر والغفور والكريم والعفو إذ قيل ما غرَّ الإنسان هو عفو الله إذ لم يعاجله بالعقوبة أول مرة[٧] وهو قادر على أن يجعله في صورة القردة والخنازير ونحوها من الحيوانات والعجم[٨] لذا فالحذف هنا أسهم في أطلاق صفات الرّب ويفخّم من دلالات الاغترار والتجرؤ على المعصية على نحو التقريع والتوبيخ يرفد ذلك (ألاستفهام الموجود في هذه العبارات وهي عن أسباب جرأته على الذنوب وأسباب غرته بربه وغفلته عن شدَّة بأسه وعن أسباب أنسه بهلكة نفسه بتطويرها في المعاصي معها استفهاماً على سبيل التقريع والتوبيخ) [٩]. وهو

توظيف يُلمس فيه الاختيار والتناسق بشكل دقيق بين مكونات النص أضفى جمالية وتوازناً ملحوظاً على التدرج في تواصل الكلام وترابطه، عبر اللغة التي تعد ((المجال الحيوي لإصدار المعنى وترميمه عبر حركة اللفظ))[١٠]من خلال السياق الذي يمثل كبرى القرائن . وما فيه من دلالات نفسية واجتماعية وتاريخية[١١].

---

١ ـ شرح نهج البلاغة: خ /7/108: 158
٢ ـ شرح نهج البلاغة : خ /7/108: 164 - 165
٣ ـ الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية: فتح الله احمد سليمان : 139
٤ ـ شرح نهج البلاغة: خ 11/218 :182
٥ ـ مجمع البيان :449/5
٦ ـ تفسير الصافي :295/5
٧ ـ فتح القدير : ٥ /٤٩٢
٨ ـ شرح نهج البلاغة: خ 11/218 :183
٩ ـ من بلاغة الإمام علي (ع) في نهج البلاغة :490 - 491
١٠ ـ اللغة و التأويل ::97
١١ ـ ينظر:البيان في روائع القرآن ::1/ 173 وينظر : مباحث في اللسانيات : أحمد حساني 154

من ذلك ماأخذه الأمام (ع) من تجربة النبي لوط (ع) مع قومه ، في قوله تعالى((أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ)(هود: ٨٠) والركن من((ركن الشيء جانبه الذي يسكن إليه ويستعار للقوَّة))[١]أريد منه عزّ العشيرة الذين يستند إليهم كما يستند إلى ركن من الحائط [٢] وهذا ما أراده نبي الله لوط (ع) أي لو كان لي من أستعين به في دفعاكم ...أو لو كان لي عشيرة .. والشدَّة بجمع يصعب مع التفكك وقد يكون بعقد يصعب معه التحلل [٣].

هذا المعنى وظّفه الإمام (ع) في تجربته مع أصحابه يقول((أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ وَلَا زَوَافِزُ يُعْفَقُ إِلَيْكُمْ مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا فَكُلَّمَا جُمِعَتْ [جَمَعَتْ] مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ » [٤] مجرياً الحذف لصفة الركن الواردة في القرآن الكريم ، لدلالة السياق عليها وعلم السامع بذلك « أي لستم بركنٍ يُستند إليكم ويُمال على العدو بعزُّكم وقوتكم » [٥]استعاره له من ركن الجبل وهو جانبه بما بينهما من المشاركة في الشدَّة و امتناع المعتصم به [٦].

ثانيا/التقديم والتأخير

يحكم العربية نظامٌ دقيق من القواعد والأسس ، لها دورها في إحكام صحة التعبير الذي يكشف عن المعاني الكامنة في الذهن بصورة تراكيب تأتلف وتتركب لإنتاج المعنى بأختلاف دواعي الكلام إذ قد تدعو ((الحاجة إلى أن ينوَّع المتكلم الجمل تبعاً لتنوع دواعي الكلام))[٧]أوقد يغيُر في بنيتها فيجيء على خلاف الأصل أو على غير المألوف لسبب أو لأسباب ترجع إلى معنى يُقصد إليه ويراعى منه ما يعرف بمقتضى الحال[٨] كالتقديم والتأخير وهو((فنُ رفيع يعرفه أهل البصيرة بالتعبير والذين أوتوا حظاً من معرفة واقع الكلام))،[٩] يقصده المتكلم بعينه لأحوال خاصة يقتضيها التعبير منها أن القاعدة الدلالية هي أن المهم يُقدَّم [١٠]وليس رصف الألفاظ على الصورة المعهودة في العربية [١١]إذ تشير المخالفة للمألوف في التركيب أي تأخير ما حقه التقدم والعكس إلى دلالات كثيرة أجملها الباحثون في ملاحِظ تتبع من السياق والمقام أهمها التقديم للتبرك والتعظيم والتشريف وارتفاع المنزلة والسبق والتقديم بالذات والتقديم للسببية ، والقرب والبعد والخفة والثقل والتخصص والعناية والاهتمام والتناسب والانسجام والتقرير[١٢] سواءٌ أكان على مستوى تقديم اللفظ على عامله .. أم تقديم بعضها على بعض.[١٣]وهذا ما يُعنى به البحث إذ عمد الإمام (ع) إلى النص

---

١ ـ مفردات ألفاظ القرآن : ؟
٢ ـ ينظر:النهاية في غريب الحديث :ابن الأثير : ٢ /٢٦٠
٣ ـ ينظر: التبيان في تفسير القرآن :41/6، الميزان 354/10 ، الكاشف :252/4
٤ ـ شرح نهج البلاغة: :2/خ 34 :151
٥ ـ المصدر نفسه : 2/خ 34 :152
٦ ـ ينظر:من بلاغة الإمام (ع) في نهج البلاغة :203
٧ ـ قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ::270
٨ ـ ينظر:نحو المعاني ::84
٩ ـ التعبير القرآني:51
١٠ ـ ينظر:البحث الدلالي في تفسير الميزان 229
١١ ـ ينظر: ينظر:نحو المعاني :25
١٢ـ ينظر:الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: /230 ـ 239 فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب :فتحي عبد القادر فريد: 54 -62 ، وينظر التقديم والتأخير حميد العامري :٥٩ /٦٢ والتعبير القرآني :48 ـ 71
١٣ _ ـ ينظر: التعبير القرآني : 48

القرآني فقدم بعض الألفاظ أو أخرها لمقاصد طلبها المقام وبدلالات مناسبة لما يُتحدَّث عنه .من ذلك قوله(ع) في وصفه للقرآن: «إنّه ربيعٌ لقلوب الفقهاء ومحاجّ لطرق الصلحاء ودواءٌ ليس بعده داءٌ ونورٌ ليس معه ظلمةٌ وحبلٌ وثيقٌ عروته ومعقلٌ منيعٌ ذروته وعزٌّ لمن تولاه وسلمٌ لمن دخله وهدًى لمن ائتمّ به وعذرٌ لمن انتحله وبرهانٌ لمن تكلّم به وشاهدٌ لمن خاصم به وفلجٌ لمن حاجّ به وحاملٌ لمن حمله ومطيّةٌ لمن أعمله وآيةٌ لمن توسّم وجُنّةٌ لمن استلأم وعلمٌ لمن وعى وحديثٌ لمن روى وحُكمٌ لمن قضى» [1] وهو تعبير جاء بصيغة الأفراد لأنه يتحدث عن القرآن الكريم وصفاته .

فقوله (ع) : «وحبلاً وثيقاً عروته» يشير إلى قوله تعالى(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)(البقرة: ٢٥٦) بإجراء تغير في بنية الخطاب القرآني من حيث تحويل الإيمان بالله والكفر بالطاغوت إلى حديث عن القرآن ، وتقديم الوثقى وتنكيرها ، ومن ثم إفرادها لدلالات اقتضاها الخطاب، أولاً المراد من العروة الوثقى ،الاستعمال المجازي ، أي عُرى الإسلام وشرائعه التي يتمسك به ، والوثق ((كلمة تدل على عقدٍ واحكام ووثقت الشيء أحكمته))[5] و الوثقى فعلى من الوثاقة وجمعها وثق مثل الفضلى والفضل.وقد أختلف المفسرون في تفسير العروة الوثقى بعد اتفاقهم على إنّ ذلك من باب التشبيه والتمثيل لما هو معلوم بالدليل بما هو مدرك بالحاسَّة فقيل المراد بالعروة الإيمان وقيل الإسلام وقيل لا أله ألا الله ولا مانع من الحمل على الجمع [6] ثانياً ،الدلالة من ذلك التقديم والتأخير تكمن في العناية والاهتمام بكون القرآن أولاً حبلاً وثيقاً أي منجياً لمن أحكم المسك به ، وفي هذه الدلالة ، يقول سيبويه: ((كأنهم يقدمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهم ببيانه أعنى إن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم))[7]لذلك قُدِّم الوثيق على العروة الوثقى على العروة ، ولغرض المحافظة على انسجام الأسلوب واستمراره بنسق متوازن يُحدث أثره في السمع ذكر :وحبلاً وثيقاً عروته ، ومعقلاً منيعاً ذروته ، وعِزًّا لمن تولاه ... إلى نهاية النص، مما أضفى جمالية أخرى تضاف إلى دلالة العناية والاهتمام ، وتارة لا تكون العناية باللفظة من حيث أنها لفظة معينة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال [8]كقوله تعالى : ((يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً)(البقرة: ٣٥) فقدم الأكل على الرغد ، أي وكلا منها متوسعين

في العيش [2] في حين تقدم الرغد على الأكل في نص الأمام (ع) : يقول « فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ اخْتَارَ آدَمَ ع خِيَرَةً مِنْ خَلْقِهِ وَوَلَّجَهُ جَنَّتَهُ وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ وَأَوْعَزَ إِلَيْهِمَا فِيمَا نَهَاهُمَا عَنْهُ وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ» [3] لغرض التعظيم والتشريف للنعمة التي أعطاها الله سبحانه لأدم(ع)، فالرغد طيب العيش الذي لا عناء فيه[4] وهو المعنى الأعم السعة في المكان والزمان وسائر الخصوصيات والجهات ، ورغد العيش يستفاد منه التوسعة في جميع وسائل النعمة والراحة لهما [5] لذلك بدأ بالأوسع إعظاماً

---

١ ـ شرح نهج البلاغة : خ191/ 10 : ١٥٥ ، ١٥٦
(٥) مقاييس اللغة :٦ /٨٥
(٦) ينظر : التبيان في تفسير القران :٢ /٣١١ ، تفسير الكاشف :٦ /١٦٦
(٧) الكتاب :١ /٣٤ .
(٨) التعبير القرآني :٥٠
٢ ـ ينظر:مجمع البيان :1 /84
٣ ـ ينظر: شرح نهج البلاغة : خ٩٠ /٧ :٥
٤ ـ ينظر: مقاييس اللغة :٢ :٤١٧ ، فتح القدير :١ :٨٧ الميزان :131/1
٥ ـ ينظر:مواهب الرحمن :205/1

لتلك النعمة ، وهو مسلك أُستعمل في القرآن كثيراً ، قال تعالى ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)) (الأحزاب:٥٦) فقد ذُكر لفظ الجلالة أولا تعظيماً له [١] ، وفي موضع أخر يُلمح المغايرة للنص القرآني عند الإمام (ع) : يقول في صفة خلق السماء : ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا وَ أَدَامَ مُرَبَّهَا وَ أَعْصَفَ مَجْرَاهَا وَ أَبْعَدَ مَنْشَأَهَا فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ وَ إِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ وَ عَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ تُرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ وَ سَاجِيَهُ عَلَى حَائِرِهِ حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ وَ رَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ وَ جَوٍّ مُنْفَهِقٍ فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلاَهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً وَ عُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ سَمْكاً مَرْفُوعاً بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا وَ لاَ دِسَارٍ يَنْظِمُهَا» [٢] فقوله «سمكاً مرفوعاً » مأخوذ من قوله تعالى ((رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا)) (النازعات:٢٨) ، والسَّمْك السقف [٣]، أي رفع سقفها وسمك كل شيء قامته و ارتفاعه [٤] بشكل جعل مقدار علوها رفيعا [٥]قدمه الإمام (ع) على الرفع لغرض التناسق الموسيقى بين الجمل «موجاً مكفوفاً وسقفاً محفوظاً وسَمْكاً مرفوعاً ... بوساطة ألفاظ ذات جرس محدود لها أثرها في الوقع على المتلقي ، فضلاً عن ذلك تستشعر دلالة العناية والاهتمام تقديم السمك على الرفع لان الحديث عن صفة خلق السماء لذلك قُدَّم ما هو ملائم لمقتض المقام . وإذا انتقلنا من مشاهد الطبيعة إلى عالم الإنسان نرى بعض الصور المركّزة في التعبير وبما تحويه من دلالات مكثفة في تقديم بعض الألفاظ أو تأخيرها ، من ذلك قوله (ع) ((أُولَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا وَ عَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا وَ هَجَرَتْ فِي لَيْلِهَا غُمْضَهَا حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا وَ تَوَسَّدَتْ كَفَّهَا فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ وَ تَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ وَ هَمَهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ وَ تَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ)) [٦]إذ قدَّم الجار والمجرور (عن مضاجعهم) على الفاعل (جنوبهم) ، عكس النص لقرآن، قال تعالى : ((تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)) (السجدة:١٦). لمقاصد دلالية تتضح من خلال السياق ، فالتجافي ، ((من جفا الشيء عن الشيء وتجافى عنه إذا لم يلزمه ونبا عنه والمضاجع جمع المضجع وهو الموضع الذي يضطجع فيه))[٧]وبذلك يكون المعنى أن الجنوب قد اضطجعت وهدأت في المضاجع ثم تجافت وابتعدت عنها وهذا يناسب القيام أخر الليل [٨] لا كما قيل أنه التنفل ما بين المغرب والعشاء ... أوهم الذين يقومون لذكر الله سواءً أكان في صلاةٍ أم غيرها [٩] لان القيام في جوف الليل أشد على المؤمن وأكثر قوّة . لذلك قدَّم الإمام (ع) ما يخص ذلك وهو المضاجع . لغرض التخصيص والتأكيد على مجافاتها عند المعشر الموصوفين في حديثه (ع) فضلا عن ذلك مراعاة النسق في الفواصل بين أطراف الكلام فأخر جنوبهم لتتلاقى مع (عيونهم ومعادهم وشفاهم وذنوبهم) ، ولما فيها من معنى ثقيل اقتضاه ذلك التأخير ((وهو تنحي أرواحهم بحسب قواهم العملية عن الغوا شي الطبيعية والشواغل الجسمية التي تلي الجنبة السافلة منها أو القيام عن المضاجع البدنية عن عالم الأجسام بقطع التعلقات ومحو الآثار أو عن عالم الإمكان

١ـ ينظر:فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب:٥٤* وللمزيد ينظر : التعبير القرآني ::
٢ ـ شرح نهج البلاغة :خ1 /1:100-101
٣ـ ينظر: مختار الصحاح :314
٤ ـ ينظر: تفسيرمن وحي القرآن :24 /47
٥ ـ ينظر:تفسير القرآن الكريم : عبد الله شبر :547
٦ ـ شرح نهج البلاغة : ك 16/45 :226
٧ ـ لسان العرب : ١ /٤٣٧ وينظر : ١٠٧/٤ ،النهاية في غريب الحديث : ٢٨٠/١
٨ ـ ينظر:الأمثل في تفسير القرآن :13 / 118
٩ ـ ينظر:فتح القدير:٤ /٣١٦

بمحو الصفات))[1] ،وعليه فلكل من هذا التقديم والتأخير دلالته المقصودة ، باقتضاء المقام وطبيعة التعبير المناسب الذي يهدف إلى غاية عند المتكلم ((بدونها لا يستطاع فهم سلوك الكائن الحي وتفسيره))[2]، من ذلك مثلاً قوله (ع) : ((الْأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ وَالسَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ وَكُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)) (المدثر:٣٨) وَالنَّاسُ مَنْقُوصُونَ مَدْخُولٌ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ سَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ»[3] قوله (ع) والسرائر مُبْلُوَّه أمتياحٌ من قوله تعالى ((يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ)) (الطارق:٩) باختلاف التركيب حيث قدَّم السرائر وحول الفعل (تبلى) إلى أسم مفعول (مُبْلُوَّه)، لأهميتها وشرفيتها ، فالسرائر : ما أُسِرَّ في القلوب من النيات والعقائد وغيرها وما يخفى من أعمال الجوارح وبلاؤها تعرفُها وتصفُّحها [4] ،فكل ما يعمله الإنسان هو انعكاس لسرائره ، التي تكشف يوم القيامة وتعرف من الله سبحانه ، لذاك قُدِّمت حسب الرتبة فالبدء معرفة ما فيها ومن ثم كشفها ، وهذا ما تطلبه المقام فا لأقاويل محفوظة والسرائر مُبْلُوَّه ، أي الظاهر والخفي سيان يوم القيامة .فالاعتبار والاختبار كله أنما هو بإظهار موجب المعنى ففي الطاعة الحمد والثواب وفي المعصية الذم والعقاب [5] إما ما يخفيه الإنسان في الدنيا من أعماله التي كان يكتمها عن الآخرين مما لا يستطيع أن يتحمل مسؤوليته أمام الله فأنها تخبر وتكشف وتظهر حين يقف الإنسان للحساب على أساسها [6] بشكل متحقق الوقوع وهذا ما يفيد التعبير بالجملة الاسمية (والسرائر مُبْلُوَّه) التي تفيد الدوام والثبوت[7]وفي منحى أخر ينعكس التوظيف القرآني عند الإمام (ع) بملحظ يتفق وطبيعة المقام المصوَّر ، يقول (ع) : ((وأعلموا إنهَّ ليس لهذا الجلد الرقيق صبرٌ على النار ، فارحموا نفوسكم فأنكم قد جربتموها في مصائب الدنيا ، فرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تُدميه والرمضاء تُحرقه فكيف أذا كان بين طابقين من نارٍ ضجيج حجر وقرين شيطان)) [8] والقرين هو الصاحب [11].

أفاد الإمام (ع) في توظيفه من النص القرآني ، قال تعالى((وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) (الزخرف:٣٦) يأمره بالشر ويحثه عليه ويفتح نوافذ عقله على الباطل[9]بمصاحبة لا مفارقة فيها[10]أستعمله الأمام(ع) بملحظ مقصود يقتضي التقديم فقال « وقرين شيطان » لغرض التخصيص عليه وتبيان فخامته لمن يكون في تلك النار بين ضجيع الحجر وصحبة الشيطان الذي يلزمه حتى في الآخرة ولا يمكن الفرار منه، وما ينبئ به السياق فمجمل النص يتحدث عن تلك الملازمة وأثارها ، فالشوكة تصيب والعثرة تدمي والرمضاء تحرق والضجيع الحجر والقرين الشيطان لذلك تطلب المقام تقديمه ووضعه في محله ، لجلب انتباه المتلقي إلى ذلك المصير .

---

١ .تفسير القرآن الكريم : صدر المتالهين الشيرازي : ٨ /١١٥ ، ١١٦

٢ ـ أصول علم النفس : أحمد عزت راجح: ٢٧

٣ ـ شرح نهج البلاغة : حكمه 349 /19: 212

٤ ينظر: م.ن ، ومجمع البيان :١٠ : ٣٦٥ . وفتح القدير :٥ :٥٢٤

٥ ـ ينظر:التبيان في تفسير القران :325/10

٦ ـ ينظر:تفسير من وحي القرآن :24 /208

٧ ـ ينظر:التعبير القرآني : 62 .

٨ ـ شرح نهج البلاغة :خ184 / 10 :97

(١١) ينظر : لسان العرب :٥ :٢٧٤ ، مختار الصحاح : ٥٣٣ .

٩ ـ ينظر:تفسير من وحي القران :٢٠/٢٩٣.

١٠ ـ ينظر:تفسير الصافي :4/ 2391 ،تفسير الكاشف :549/6، الميزان 18 /106 ،تفسير من وحي القرآن :20 /293

ثالثا: : التعريف والتنكير

توزعت ملاحظ هذا الموضوع على أبعاد مختلفة تنوع فيها الطرح باختلاف دارسيه ، من ذلك التوجه التاريخي وهو تبني دراسة أصول هذه القضية في اللغات السامية،يقول برجشتراسر :((أن قواعد هذا الموضوع سائدة في العبرية والآرامية والعربية إلى درجةٍ تتقارب فيها حد التفريق بين التعريف والتنكير))[١]والأخر الاتجاه النحوي القائم على وضع الحدود لكل من النكرة والمعرفة مع بيان الفرق بينهما فضلاً عن قضية الأصل والفرع فيهما، يقول سيبويه :((وأعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة وهي أشدُّ تمكناً لان النكرة أول ثم يدخل عليها ما تعرَّف بهفمن ثم أكثر الكلام ينصرف في النكرة))[٢]وهو في ذلك يتلمس مطلباً دلالياً يشير إلى خفة الاستعمال للنكرة مقارنة بالمعرفة، أما حدُّها فهو((ما شاع في جنسٍ موجود في الخارج تعدده أو مقدر وجوب التعدد فيه))[٣]حيث القابلية للتعدد في ذلك الجنس من دون التخصيص أو التقييد الموجود في المعرفة ،ومن جهة أخرى يلمح عند بعض النحويين((أن أكثر الأسماء نكرات وهذه النكرات بعضها أنكر من بعض فكلما كان أكثر عموما فهو أنكر مما هو اخص منه))[٤] .

ولعل ذلك التوجيه مرتبط بقضية الأصل والفرع السابقة ،أمَّا المسلك الثالث فتمثل بالمعيار الدلالي وهو ما تجسد بوضوح عند

البلاغين على الرغم من وجود أشارات له عند النحويين[٥] ، فالنكرة بما أنها لفظة مبهمة شائعة لا تدل على شيء بعينه[٦]فهي إذن تحقق المعاني الأضداد في الكلام ((كالتكثير والتقليل والتعظيم والتحقير والعموم والنوعية))[٧] حسب مقتضيات السياق[٨]أمَّا التعريف فقد يكون بنفس اللفظ دون حاجةٍ إلى قرينة وذلك كالتعريف بالعملية وقد يكون بقرينة تكلم أو خطاب أو غيبة كالتعريف بالضمائر وقد يكون بقرينة حسية كتعريف بالأسماء الموصولة وقد يكون بحرف وهو المعرَّف بآل أو بإضافة معنوية وهو الإضافة إلى واحد مما ذَكر[٩] تتغير دلالاتها تبعاً لاستعمالاتها السياقية وهي كثيرة[١٠] .

---

١ ـ التطور النحوي للغة العربية : برجشتراسر :143، والتعريف والتنكير بين الدلالة والشكل:محمود أحمد نحلة :11 وما بعدها
٢ ـ الكتاب :22/1
٣ ـ شرح الحدود في النحو: الفاكهي :133/2
٤ ـ ينظر:ألأصول في النحو : ابن السراج :١٤٨/1
٥ ـ ينظر:شرح المفصل ، أبن يعيش :35/1 ، شرح أبن عقيل 129/1
٦ ـ ينظر:الطراز : العلوي :11/2
٧ ـ ينظر:الإيضاح في علوم البلاغة : القز ويني :50 -51
٨ ـ ينظر:مفتاح العلوم : 91 -92، معاني النحو :37/1 - 38 ، والبيان في روائع القرآن :126/2 -127
٩ ـ ينظر:المعاني في ضوء أساليب القرآن : عبد الفتاح لاشين :236
١٠ ـ ينظر:معاني النحو ::43/1،82،100،101-102

وذلك ما سيتحراه البحث كاشفاً عن دلالات التنكير والتعريف في النصوص النهجية فمن الموارد التي يُلحظ فيها الاستعمال القرآني قوله (ع) مذكّراً بضروب النعم : جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَاهَا وَ أَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا وَ أَشْلاَءً جَعَلَهَا لأَعْضَائِهَا مُلاَئِمَةً لأَحْنَائِهَا فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا وَ مُدَدِ عُمُرِهَا بِأَبْلَغَ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا وَ قُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا فِي مُجَلِّلاَتِ نِعَمِهِ وَ مُوجِبَاتِ مَنِّهِ وَ حَوَاجِزِ [حَوَائِزِ] عَافِيَتِهِ »[1]حيث الاستعمال للتنكير في (اسماع ، وابصار) وهما مما ذكرهما القرآن الكريم كثيراً .

قال تعالى ((وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(النحل:٧٨) ،وقال ((وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ))(الاحقاف: ٢٦) بشكل يغلب عليهما التعريف ، والتركيز في تقديم السمع على الإبصار والأفئدة* « إشارة إلى مبادئ العلم التي أنعم بها على الإنسان فمبدأ التصور هو الحسن والعمدة فيه السمع والبصر وأن كان هناك غيرهما من اللمس والذوق والشم ومبدأ الفكر هو الفؤاد»[2]أتى في مقدمتها السمع للأفضلية والشرف ، أو لسبب أخر غير الأفضلية هو أن مدى السمع أقل من مدى الرؤية فقدَّم ذل المدى ألأقل متدرجاً من القصر إلى الطول في المدى[3] قدّمها الإمام(ع) وأستعملها بصيغة التنكير لغرض التعظيم والتكثير ،فبالسمع يحفظ الإنسان ويفهم ما أهمه[4] وهو المسلك الأول في التفكر والتصور ، لا عن طريق الأذن فقط ،بل عن الفهم أو عن الطاعة ، فتارة تقول ، أسمع ما أقولُ لك ولم تسمع ما قُلْت وتعني لم تفهم ، قال تعالى ((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا))(الأنفال :31 } وقوله((سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا)) {النساء :46} أي فهمنا قولك ولم نأتمر لك ، وكذلك قوله ((سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)){البقرة:285} أي فهمنا وارتسمنا[5] . فضلاً عن ذلك التعظيم والتكثير في معنى الأسماع مجيؤها بصيغة الجمع الذي يتناسب والدلالة المنتجة.وبهذا يلحظ أنّ التنكير يؤكد نتيجة هامة و هي إنّ الحدث الكلامي له معنى ومن ثم فان دراسة هذا المعنى يبرز لنا طبيعة السياق واضحة جلية [6] ويفرز أثرها على المخاطب لاسِّيما أذا كان المخاطب مطلقاً ، فالتعبير الذي يلسبه ُ حينئذٍ هو ترك التخصيص لإشباع المعنى وانطباقه على متلقٍ غير محدد ، من خلال آليات اللغة وعوارض بناء الجملة أي التغير في مبانيها ، يقول (ع) :« وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ وَالنُّورِ السَّاطِعِ وَالضِّيَاءِ اللاَّمِعِ وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ وَتَحْذِيراً بِالْآيَاتِ وَتَخْوِيفاً بِالْمَثُلاَتِ »[7]أخذاً لفظة (والكتاب المسطور) من قوله تعالى :« ((وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ)) (الطور:٢) . مغيراً التركيب من تنكير إلى تعريف مقصود اقتضاه السياق ، فتنكيره في آية الطور يشير إلى التعميم في معنى الكتاب المسطور إذ قيل فيه هو الكتاب الذي كتبه الله على خلقه من الملائكة في السماء يقرءون فيه ما كان ويكون وقيل هو القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ وهو الرَّق المنشور[8]وقال الفراء:((الكتاب المسطور صحائف الإعمال فمن أخذ كتابه بيمينه ومن أخذ كتابه

---

١ ـ شرح نهج البلاغة /خ 6/82 :203

* ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : 456 -257

٢ ـ التبيان في تفسير القرآن :411/6 ، والميزان :333/12

٣ ـ ينظر:التعبير القرآني :52-53

٩ ـ شرح نهج البلاغة :خ 82/ 203 :6

٥ ـ مفردات ألفاظ القرآن :425

٦ ـ ينظر:البلاغة والأسلوبية : محمد عبد المطلب :260

٧ ـ شرح نهج البلاغة :خ 2/ 142 : 1

٨ ـ ينظر: البيان في تفسير القرآن :402/9 وينظر : الأمثل :143/17

بشماله))[1]وقيل هو التوراة كتبها الله لموسى (ع) .. وذكره لعظم موقعه في الدين[2] أو أن يكون المقصود هو كل كتاب سماوي ، لأن كتاب نكرة وهي شائعة في جنسها والتعيين يحتاج إلى قرينة[3]، والقرينة واضحة في سياق النص عند الإمام (ع) فهو يتحدث عن إرسال النبي ومعجزاته التي يقع القرآن الكريم في أولاها ، لذلك أقتضى ذلك التخصيص ، التعريف ب (آل) لأنَّ المعرَّف بآل ((أنما صار معرفةً لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته))[4].

فضلاً عن ذلك فأن التعريف بآل يشير إلى حقيقة حاضرةٍ في ذهن السامع من كون المراد بالكتاب المسطور هو القرآن الكريم . وبهذا يكون التصور للنص القرآني واستنطاقه بهذا الشكل وفق مقتض الحال ومراعاة المتلقي ((أُدخل في ميدان الإجادة البلاغية وأرفع مرتبة في مجال الأداء الفني))[5]يستطاع من خلاله الكشف عن دقائق الأسلوب وخصوصيات التراكيب ، وفي مقطعٍ أخر يقول (ع) **فَلاَ تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَ فَخْرِهَا وَ لاَ تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَ نَعِيمِهَا وَ لاَ تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَ بُؤْسِهَا فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ وَ إِنَّ زِينَتَهَا وَ نَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ وَ ضَرَّائَهَا وَ بُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ** »[6] إذ أن مناط الوصف هو التنفير من الدنيا وترك التعلق بها إن كانت لنفسها مشيراً إلى فتاء كل من فيها ، وهو ملحظ يستدعي قوله تعالى((كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)) (الرحمن:٢٦) أي انقطاع أمد النشأة الدنيا وارتفاع حكمها بفناء من عليها [7]عُبَّر عن ذلك بالفناء دون الموت لأن الموت يجري في الأحياء فقط ، والفناء يشمل كلَّ شيء مخلوق [8]وبهذا تكون دلالة التنكير في نص الأمام (ع)جليةً وواضحة تتضمن التحقير والتقليل من شأن الدنيا أذا قورنت بالآخرة ، فعزُّها منقطع ونعيمها زائل ، ومُدَّتُها مُنتهية وحيُّها فان ، على الرغم من كثرةِ النعم والملذات فيها .

أستحضر الإمام هذا المعنى في أسلوبه حتى غدا ((خاصية تكشف عن العالم الخاص الذي يراه))[9] وينطلق من أفاقه في أبلاغ المتلقي وشدِّه إلى تلك المعاني التي أرادها الله سبحانه وتعالى لعباده .

وهو أمر دقيق وقف عنده علماء النفس وأطالوا مناقشته فعندهم ((أن من يكرر لفظاً أو فكرة أو صيغة تكراراً متتابعاً يحوله إلى معتقد))[10]وهذا ما طغى على نصوص الإمام (ع) إذ وقف على أبرز ما تحدث عنه القرآن وأطال الكلام عنه ، مثال ذلك النار ، يقول (ع) في ذلك :« **وَ اتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ وَ قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَ حِلْيَتُهَا حَدِيدٌ وَ شَرَابُهَا صَدِيدٌ** .»[11]مستحضراً في ذلك ما قاله القرآن عن تلكم النار قال تعالى :يا((أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ))(التحريم:٦) ً وقوله تعالى : ((قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً))(التوبة: ٨١) مستعملاً إياها بصيغة (التنكير) (ناراً) لغرض تهويل تلك النار وبيان شدتها ، ومن ثم إحراز الأثر عند السامع في اتقائها والتجنب من شرِّها ، يؤازر ذلك الملحظ الدلالي قرائن أخرى أسهمت في تكثيف المعنى منها استعمال فعل الاتقاء بصيغة الأمر ووصفها بالحرارة الشديدة والقعر البعيد ، وحلية الحديد والشراب الصديد ، كلّ ذلك

---

١ ـ ينظر:معاني القرآن : الفراء : ٣ /٩١
٢ ـ ينظر:مجمع البيان في تفسير القرآن :163/5
٣ ـ ينظر:الكاشف :160/7
٤ ـ الكتاب :2/ 5
٥ ـ نحو المعاني :32
٦ ـ شرح نهج البلاغة : خ7/98 :63
٧ ـ ينظر:الأمثل :17 :367 ، الميزان :19 /113
٨ ـ ينظر:تفسير من هدى القرآن : 304/14
٩ ـ علم الأسلوبية مبادئه وإجراءاته ::85
١٠ ـ القرآن وعلم النفس : د، محمد عثمان :86
١١ ـ شرح نهج البلاغة : خ 119 /7 :224

منح النص تهويلاً وتفخيماً يتردد صداه ويعظم آثره في متلقيه . وفي موضعٍ أخر تتضح دلالة التنكير عند الإمام (ع) يقول : « إِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَلَّلُوكُمْ مِنْ بَدَلاً فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَ يَهْتِفُونَ بِالزُّهْدِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ وَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَ يَأْتَمِرُونَ بِهِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ »[1]حيث يشير قوله (ع) « فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه » إلى قوله تعالى : ((رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) { النور:37}. فالتجارة مع كثرتها لا تلهيهم عن ذكر الله[2].

جاءت في كلامه (ع) بصيغة التنكير لإضفاء دلالة التكثير على تلك التجارة ، فمع كثرتها وبما فيها من ملذّات لم يغتر به أهل الذكر ، أو ينشغلوا فيها . بل جعلوا ذكر الله سواءكان بالقلب أو اللسان[3]طريقهم إلى الله سبحانه وتعالى ،ومثل ذلك يتكرر في كثير من نصوصه (ع) بل قد يعمدُ أحياناً إلى إجرائية التغير في النص القرآني ((فالمتكلم يختار من الوسائل التعبيرية دالاً على نقل ما يريد إلى المخاطب يفترض فيه العلم بالشيء المراد أو الجهل به))[4] يقول (ع) في بني أميه :« فَمَطَلْتَ لَكُمُ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا وَ لَاَ تَمْكُنْتُمْ مِنْ ضَاعِ أَخْلَاقِهَا إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ بَعْدَ صَافَحْتُمُوهَا جَائِلاً خِطَامُهَا قَلِقاً وَضِينُهَا قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ وَ ظِلاًّ لَهُ مَمْدُوداً وَ عَيْشاً غَيْرَ رُجُوعٍ وَ صَافَحْتُمُوهَا وَ اللَّهِ ظِلاًّ مَمْدُوداً إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ»[5].

قال أبن أبي الحديد : ((لم يقل فصار حرامها بمنزلة السدر المخضود بل قال عند أقوامٍ فخصص))[6]ولا لحسب أن التخصيص أفُيد من (أقوام) فحسب بل من التقييد بالتعريف في (السدر المخضود) ، إذ أن الصفات المذكورة تنطبق على من هو معروف عند السامع ، لذاك عُيّن سبيلها في الحرام بما هو متعين ومعروف ، في حين أستعمل بصيغة التنكير في القرآن الكريم ، قال تعالى ((فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ)) (الواقعة:٢٨) ، فالسدر شجر قوي معمر يصل طوله إلى أربعة أمتار أحياناً وعمره يقرب من إلفي سنة ولها ظل ظليل ولطيف والسلبية الموجودة في هذا الشجر أنه ذو شوك ألا أن وصفه ب (مخضود) من مادة (خضد) بمعنى قصَّ الشوك تنهي آثاره هذه السلبية في شجر سدر الجنة[7]لغرض الدلالة على التفخيم والتعظيم لما عليه أصحاب اليمين من روح وريحان ، أفاد الإمام (ع) من ذلك المعنى فخصصه بالتعريف عندما تحدث عن مخاطب مقصود ، فدخول (آل)التعريف على النكرات يُكسبها درجة من التعريف والتعيين فتجعل لوها فرداً معنيٌ اً بعد ما كان مبهماً وشائعاً [8]وهو صيرورة الحرام بمنزلة النبات الذي لا شوك فيه عند هؤلاء القوم.

ويستمر توظيف النص القرآني عند الإمام (ع) بملامح متغيرة في التركيب تتناسب والمقام كاستعماله التعريف بالإضافة ، والإضافة ((باب كثير الدوران في اللغة العربية وأسلوب واسع الاستعمال بل هي أداةٌ عظيمة شائعة تستعمل في كثير من المواضع بياناً للمعاني المختلفة وأداءً للأغراض المتنوعة))[9] يقول (ع): « إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ وَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ وَ إِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ وَ إِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ وَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ وَ

---

١ ـ شرح نهج البلاغة : خ٢١٧ /١١ :١٣٥
٢ ـ ينظر:تفسير أبي السعود : ٤٦٥/٤
٣ ـ ينظر:مفردات ألفاظ القرآن : 328 ، والنهاية في غريب الحديث : ٢ /١٦٣
٤ ـ التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل :81
٥ ـ شرح نهج البلاغة : خ7/104 :93
٦ ـ شرح نهج البلاغة :خ 104 /7 : 95
٧ ـ ينظر:الأمثل : 17 /426
٨ ـ ينظر: النحو الوافي :383/1 - 385 ،
٩ ـ أحياء النحو : إبراهيم مصطفى :77

حَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيُحَطَّانِ الذُّنُوبَ وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ »[1]مستلهماً مما تحدث عنه القرآن في مواضع كثيرة ، مثل الإيمان بالله ورسله والجهاد والصلاة والصوم والحج وصلة الرحم والصدقة، حيث استعملت منكّره قال تعالى ((خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ))
(التوبة: ١٠٣): لغرض الإطلاق في مصاديقها،

وقد ذهب بعض المفسرين إلى إن الآية مطلقة مبينة بالسنة المطهرة[٢]، الهدف من أخذها التغلب على كل العوامل السلبية من الأنانية والأثرة والبخل والقسوة ومن ثم التّخلص من حالة الجدب الروحي الذي يمنع الإنسان من النمو في اتجاه السمو والإطلاق ليحل محله الخصب الذي تخضر فيه المشاعر و تتنامى لتبدع الإنسان الجديد في الخط الجديد[٣]أذن فهي تزيل الشوائب من جهة ووسيلة للتكامل من جانبٍ أخر [٤] فرَّعها الإمام لغرض تعيين الدلالة وتخصيصها ب(صدقة السر وصدقة العلانية) مصداقا من أنواع الصدقات وهو بذلك يُخرجها من الواجبات إلى النوافل فصدقة السر تكفر الخطيئة والتكفير هو إسقاط عقاب مستحق بثواب أزيد منه أو توبة

.. وصدقة العلانية فأنها تدفع ميتة السوء كالغرق والهدم وغيرها[٥] . وبذلك تكون للإضافة مقتضيات[٦]استدعاها المقام .

ويتحول الخطاب في بعض الأحيان؛ نتيجة تعلقه بجهة المخاطب،الامرالذي يفرض تغييرا في البنى التركيبية ودلالاتها،مثال ذلك،قوله(ع) ((اَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ حَمْداً يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ حَمْداً لَا يَحْجُبُ عَنْكَ وَلَا يَقْصُرُ دُونَكَ لَا يَنْقَطِعُ مَدَدُهُ وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ فَلَسْنَا نَعْلَمُ كَيْفَ عَظَمَةُ إِلَهِيَّتِكَ إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ أَدْرَكْتَ الْأَبْصَارَ وَأَحْصَيْتَ الْأَعْمَالَ وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ))[٧] فالغالب على النص هو الإفراد لما يتعلق بذات الله عزَّ وجل ، وكونه هو المخاطب ، لذلك غُيِّرت جهة الخطاب من الغائب ((لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ))(البقرة:)إلى المخاطب عند الإمام (ع) لا تأخذك سنةٌ ولا نوم ، ومن ((لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ))(الأنعام: ١٠٣) إلى ولم يدركك بصر وبصيغة الإفراد والتنكير ، في(بصر)، لمناسبة السياق في الإفراد وإرادة الوحدة ،أي إنْ لم يرك بصرٌ واحد فكيف تراك الإبصار مجتمعة، يقول أبن أبي الحديد ((وأنه لا يدركه بصر لان أبصار الأشياء بانطباع أمثلتها في الطروبة الجليدية كانطباع أشباح المرئيات في المرآة والباري تعالى لا يتمثل ولا يتشبح وإلا لم يكن قيوماً))[٨] ، وهذا فيه من دلالة التنزيه والتعظيم لله سبحانه ، فضلاً عن ذلك أن الإبصار لا تدرك إلا ماله لون وكيفية والله خالق الألوان والكيفيات[٩].

---

١ ـ شرح نهج البلاغة :خ 109/ 7: 173
٢ ـ التبيان في تفسير القران :٥ /٢٩١ ،والميزان :٩ /٣٩٧ ، وتفسير من هدى القران :٢٧١/٤ .
٣ ـ ينظر: تفسير من وحي القرآن : 201/11
٤ ـ ينظر:الأمثل :185/6
٥ ـ ينظر:شرح نهج البلاغة : خ 175:7/109
٦ ـ ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن:236
٧ـ شرح نهج البلاغة : خ 171: 9/161
٨ ـ شرح نهج البلاغة : خ 173: 9/161
٩ ـ ينظر:الميزان :326/7 ،و تفسير من وحي القرآن :108/9

السياق اللغوي:

لم يكن هذا المفهوم بعيداً عن القدماء فقد ء رد كثيراً في المعالجات اللغوية[١] إن لم بهذا الدقة من تحديد المصطلح لأن المصطلحات لم تستو على سوقها بعد او توسع فيه المحدثون تفريعاً وتصليلاً وتحديداً فهو عند هم ((حصيلة استعمال اللكمة داخل نظام الجملة عندما تساوق مع اخرى مما يكسبها معنى خاصاً محدداً فالمعنى في السياق هو بخلاف المعنى الذي يقدمه المعجم لان هذا المعنى الاخير متعدد ومحتمل في حين ان المعنى الذي يقدمه السياق اللغوي هو معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدد او الاشتراك او التعميم))[٢] او بوجه اخر ((هو المحيط الدلالي الذي يحدد المدلول العناصر اللسانية في فيختلف المدلول باختلاف السياقات التي يرد فيها))[٣]، ولعلها تعريفات قاصرة، لانها قصرة دور السياق بالكشف عن معاني الالفاظ المتعددة الى معنى مقيدة يفرضه تركب الكلام من جانب وشغلت بدور السياق وما يؤديه وظائف من جانب اخر، قال بعضهم((ولهذا النوع اثر في التغيير دلالة الكلمة نتيجة التغير في التركيب الذي وقعت فيه كالتقديم والتأخير وهي التي تسمى الرتبة))[١] والأرجح حده بالمحدد الدلالي لمكون التركيبي وما يطرأ عليه من تغير في مدللو اللفظ او انحراف على مستوى التركيب. ((فاذا كان العصر المطلوب تحليله غاو دراسته هو الوحدة الصوتيه فنحن اقل أمام حدود السياق في النص وهو السياق الصوتي ويكون حد السياق ويكون مطلوب تحليله هو (اللكلمة) او المورفيم فان حدود السياق تمتدد قليلا لتصل الى ما هو اكبر منها وهو الجملة، اما حين يكون العنصر المطلوب تحليله او الوصول الى معناه ما هو الجملة، فان حدود السياق تتماد الى النص المتكون من عدة جمل وقد تكون فقرة او عدة فقرات وقد يكون ما هو اكبر من ذلك))[٢] وهذا ما سيقف عليه البحث دون الموقف على حد الألفاظ ودلالاتها السليقية، بل كل ما يشكل ملمحاً دلالياً تثيره القرائن اللغوية، بدءأ بألفاظ التي أخذت حيزها الوافر في ذلك الموضوع عند الدارسين حتى عدة نقطة البدء في الاشتغال في بعلوم القران، قال الراغب في مفرداته: ((ان اول يحتاج ان يشغل به من علوم القران العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقق الافاظ المردة الفاظ القران هي الكلام العرب وزبد ته وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في احكامهم وحكمهم))[١]

---

١. الكتاب: ١/ ٢٤، الخصائص: ٨٤/١، الأضداد: ٢.
٢. الالسنيه: محاضرات في علم الدلالة : ١٥٩، ودلالة السياق:٥١
٣. مباحث في اللسانيات احمد حساني : ١٥٤ ونظر البحث الدلالي في تفسير الميزان :١٤٢
٤. علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات يحيى عبانيه ـ آمنه الزعبي: ٩٦
٥. دلالة السياق :٥٣

يستطاع تحديد معناها والمراد من استعمالها من خلال السياق الذي ترد فيه ((إذ إنّ الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتاً والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الرغم من المعاني المتفرقة التي في وسعها ان تدل عليها، والسياق أيضاً هو الذي يخلّص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية))[١] لأن المعاني في تطور دائم مسايرة للأحداث متطورة في العصر والحضارة والحاجة[٢] يقوم السياق برصدها وتبيان دلالاتها الملائمة لمعناها.

من ذلك الكلمة (السجود)، قال ابن فارس : ((السين والجيم الدال. أصل واحد مطرد يدل على تطامن وذل يقال سجد اذا تطامن وكل ماذلّ فقد سجد))[٣] وهو بذلك يشير الى المعنى اللغوي للسجود، أي الخضوع والتذلل،[٤] وهو مفهوم عام يشترك فيه الانسان والحيوانات، والجمادات، وذلك ضربان، سجود باختيار وليس ذلك إلا للانسان و به يستحق الثواب نحو قوله ((فاسجدوا لله واعبدوا)) (النجم : ٦٢) أي تذللوا له، وسجود تسخير وهو للانسان والحيوانات والنبات وعلى ذلك قوله((ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو الاصال)) [الرعد:١٥] .. فهذا سجود تسخير وهو الدلالة الصامته المنبهة على كونها مخلوقه وانها خلق فاعل حكيم، وقوله: ((ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون))[النحل: ٤٩] ينطوي على نوعين من السجود التسخير والاختيار .. اما قوله: ((ادخلوا الباب سجدا)) [النساء :١٥٤] أي متذللين منقادين[٣] خصصت، اللفظة فيما بعد بالشريعة بالدكن المعروف من الصلاة وما يجرى مجرى ذلك من سجود القران سجود الشكر وقد يعبر به عن الصلاة بقوله ((وإدبار السجود)) [ق:٤٠][٤] وقد يراد ممن استعمالها غير المعنى المعنوي المذكور كالميل كما يرى ابن السكيت[١] او وضح الجبهة على الأرض[٢] او طأطأة الرأس والانحناء[٣]، كلها معان محتملة تدل عليها المفردة لا يمكن تحديدها ان لب توضع في سياق))[٤] قال تعالى: ((غذ قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا الا إبليس)) [البقرة : ٣٤]، قال الطبرمي((واختلف في سجود الملائكة لادم(ع) على أي وجه كان، فالردي عن الائمة(ع)انه على وجه المتكرمة لادم والتعظيم لشأنه وتقديمه عليهم))[٥] ذهب اخرون الى انه وضع الجبهة على الارض واليه ذهب الجمهور وقال قوم هو مجرد التذلل والانقياد،[٦] الارجح هو الاول مون السياق يشير الى طلب الامتثال الانتقاد لأدم(ع) بما جاء به وحت عليه لا مجرد عليه لا مجرد الانحناء فقط والله اعلم، اخذ الامام ذلك المشهد وصورة بقوله: ((واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعة لديهم وعهد وصيته اليهم في الاذعان بالسجود ابليس اعترته الحمية وغلبت عيه الشقرة وتعزز بخلقة النار واستوهن خلق الصلصال))[٧]٢ يقول ابن ابي الحديد: ((ان

١.اصلاح المنطق
٢. لسان العرب : ٢٤٦/٣
٣. القاموس المحيط
٤. اللغة العربية معناها ومبناها :٣٤١
٥. مجتمع البيان: ١/ ١٦٠
٦. فتح القدير : ١/ ٨٢

السجود لم يكن إلا لله تعالى، وانما كان ادم عليه(ع) قبلة ويمكن ان يقول: عن السجود الله على وجه عبادة لغيره على وجه المتكرمة، كما سجد أبو يوسف وأخواته له، ويجوز ان تختلف الأحوال الأوقات ف حسن ذلك قبحه))[١] والمتكرمة هنا الخضوع والتذلل والتعظيم لما أبدعه الله في خلق ادم(ع) هو ما يدل عليه السياق، فقوله(ع) (واستادى الله سبحانه الملائكة وديعته ليعم) أي طالبهم بأدائها وتنفيذ وصيته في الاذعان لأدم(ع) وهو الانقياد والطاعة ومن ثم الخضوع وهو الخضوع((وانما كرر الخضوع بعد الاذعان لان هذا الاول يفيد انهم أمروا بالخضوع له في السجود والثاني يفيد ثباتهم على الخضوع لتكرمته ابداً))[٢]، وبهذا يتحدد المعنى للكلمة ((بملاحظة الوحدات الاخرى التي تقع مجاورة لها))[٣]، فهي تكتسب قيمتها من مقابلتها لما يسبقها او يلحقها من كلمات،[٤] وكلها تشير الى التعظيم والامتثال لما في ذلك المخلوق من تعلق بالله بحانه وتعالى((ونفخت فيه من روحي)) [ ] عبر الامام عن ذلك يقول: ((ثم نفخ فيها من روحه مثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها وفكر يتصرف بها..))[٥] وقد تزداد[٣] أهمية الرضية السياقية حينما نلاحظ ان التحول الدلالي الألفاظ يضضع خضوعاً ملموحاً الى ما يضفيه السياق عليها من دلالات كقولة تعالى: ((ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سيلا)) [ ] فالهج في اللغة العربية القصد الى كل شي:[٢] خصص استعماله بقصد البيت على نهج مخصوص بينه الشرع،[٣] هو ما ارادته الايه بقرائنها أمختلفة ((فاللام في قوله (الله) هي التي يقال لها لام الايجاب والإلزام ثم زاد هذا المعنى تأكيداً حرف (علي) فانه من اوصح الدلالات على وجوب عند العرب كما قال القائل لفلان علي كذا فذكر الله سبحانه الحج بابلغ ما يدل على الوجوب تأكيداً طقه وتعظيماً لحرمته))[٤] استعمله الامام(ع) بذلك المعنى الدال على الوجوب من خلال ارتباطات الكلمة بالكلمات الاخرى السابقه اللاحقة لها في السياق إذ ((يشترط في حسن الارتباط الكلام ان ينفع آمر متعمد مرتبط أدله باخره فان وقع على أباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أجد هما بالأخر وستكمل جميع حروفه))[٥]٤ يقول(ع) : ((وفرض عليهم حج بيته الحرام، الذي قبلة للانام يردونه ورود الانعام ويا لهون أليه ولوه الحمام، وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته إذ عانهم لعزمته، واختار من خلقه سماماً اجالبوا أليه دعوته وصدقوا كملته

---

٧. شرح نهج البلاغة :
٨. شرح نهج البلاغة: خ ١/١ :١١٣
٩. م.ن :١٢٢
١٠. علم الدلالة : احمد مختار عمر : ٦٨ـ ٦٩ ، ينظر المجال الدلالي بين كتب الألفاظ والنظرية الدلالية الحديثة :٧٥
١١. البلاغة والأسلوبية : محمد عبد المطلب : ٢٣٠، وينظر : الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى: ١٦٤
١٢. شرح نهج البلاغة : خ١/١ :١١٠

١. مباحث في اللسانيات :١٦٠ وننظر : منهج : البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة احديث علي روين: ١٨٥
٢. لسان العرب: ٢٧/٢ ، والنهاية غريب الحديث:
٣. مفردات ألفاظ القران : ٢/ ٨ ، الميزان : ٣/ ٣٨٨ ، الأمثل :٢/ ٤٥٤
٤. فتح القدير : ١/ ٤٥٧
٥. الأضداد : ابن الانباري :٢ ينظر : البرهان في العوم القران : ١/ ٦٣
٦. شرح نهج البلاغة : خ ١/ ١: ١٣١
٧. المجال الدلالي بين كتب الألفاظ والنظرية الدلالية الحديثة: علي زدين : ٧٣ دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها : صاحب ابو ضياع:

ووفوا موافق أبيانيه وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الارباح في متجر عبادته ويتبادرون عنده موعد مغفرته، جعلهسبحانه وتعالى الاسلام علماً وللعائدين حرماً فرض حقه واوجب حجه وكتب عليهم ووفادته فقال سبحانه ((ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفرا فان الله غني عن العالمين))[1] فاستعماله(ع) جاء على نحوا التخصيص الدلالة وهو ذكر الحج مقروناً بالبيت، عن استعماله دلالة الوجوب التي أرادها القران الكريم بتكراره لـ (فوض) متين، وتوظيف الفعل او جب في (واوجب حجه) مع ختم المشهد النص القرآني لتصعيد عظمة تلك الشعيرة وتبيان مكانته، وبهذا يكون ((للسياق ميزة التوضيح لحدود معاني الكلمات سواء أكانسياقاً لغوياً ام سياق حال))[2] ولكي ترف دلالة المفردة ينبقي ملاحظتها في السياق أو متعددة من الاستعمال ويستخلص من الواقع العملي لاستعمالها العامل المشترك فهو او المعنى او المعاني المتعددة للكلمة[1]، مثال ذلك كلمة(((احد) تكون بمعنى (الواحد) وهو أول العدد))[2] في حين ذا جاءت في السياق معين فإنها لا تقبل المعنى العددية، إذ ((لا يقال رجل واحد ولا درهم احد كما يقال رجل واحد ودرهم واحد))[3] باستثناء العدد إذ يقال احد وعشرون ونحوه،[4]جاء اسماً للذات الأهمية في قولة تعالى: ((قل هو الله احد الله الصمد))

[الاخلاص:١] بمعنى ((الفرد الذي لم يزل واحده ولم يكن معه أخر وهو اسم بني لنفي ما يذكر معه من العدد))[5] لا يوصف به الا الله سبحانه وتعالى لخلوص هذا الاسم الشريف له تعالى.. والأحد أي الذي لا مثل وهو ابلغ المدح،[6] يطلق على ما لا يقبل الكثرة لا خارجاً ولا ذهنا ولذلك لا يقبل العد ولا يدخل في العددبخلاف الواحد فان كل واحد له ثان وثالثاً اما خارجاً واما ذهنا بتوهم أو بغرض العقل فيصير بانضمامه كثيراً، ما[5] الأحد فكل ما فرص له كان هوهو لم يزد عليه شيء واعتبر ذلك في قول ما جاء اني ن قوم احد فانك تنفي به مجيء اثنين منهم او اكثر كما تنفي مجي واحد منهم بخلاف ما لو قلت ما جاءني واحد مهم فانك انما تنفي به مجيء واحد منهم بالعدد ولا ينافسه مجيء اثنين منهم او كثر ولا فادته هذا المعنى لا يستعمل في الايجاب مطلقاً الى فيه تعالى))[1] وهذا غير صحيح إذ ورد مثبتاً في قوله تعالى: ((فابعثوا أحدكم بورقكم هذا)) [ ] . مع ذلك تبقى له خصوصية الاستعمال مع الذات الالهية، وهو نفي العدديه وتنزيهه عنها، المعنى الذي ذهب اليه الامام في قوله: ((الحمد لله الدال على وجوده بخلقه ومبحث خلقه على اذ ليته وباشتباههم على ان لا شبه له لا تستعمله المشاعر ولا تحجبه السواتر لافتراق الصانع والمصنوع الحاد والحدود والرب والمربوب، الأحد لا بتا ويل عدد والخالق لا بمعنى حركة ونصب والسميع لا باداة والبصير لا بنقر يق أله والمشاهد لا بمماسه والبائن لا بتراخي مسافة والظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافه، بان من الأشياء بالقهر لها، والقدرة عليها وبانت الأشياء منه

---

١. دور الكلمة في اللغة: استيفن اولمان :
٢ . لسان العرب : ١/ ٤٥، البحر المحيط :
٣. فتح القدير :
٤. البحر المحيط
٥. لسان العرب: ١/ ٤٥، النهاية في الغريب الحديث:
٦. قاموس المحيط :
٧. الميزان : ٢٠/ ٥٤٣

بالخضوع له، والرجوع اليه، من وصفه فقد حده ومن حده فقد عده ومن عده فقد أبطل أزاله ومن قال كيف فقد استو صفه ومن قال أين فقد حيزه عالم اذ لا معلوم ورب إذ لا مربوب وقادر إذ لا مقدور))[1]، إذ ينفي الامام(ع) معنى العددية التي قد تصرف الى الذهن في معنى قوله تعالى:((قل هو الله احد)) وهو ما ذهبت أليه المجسمة،[2] بقوله الأحد بلا عدد أي ((انه ليس بمعنى العدد كما يقوله الناس: أول العدد احد وواحد، بل المراد بأحاديته كونه لا يقبل التجزؤ باعتبار أخر كونه لا ثاني له في الربوبية))[3]، وهو معنى وظف السياق بكامله لتأكيده أي أثبات الربوبية عما لا يليق بجلاله بواسطة ((المعنى الذي دل عليه سياق النص))[4]٦ واذا كان ((للسياق الذي ترد فيه الايه سمة تعبيرية خاصة فتتردد فيه الألفاظ معنية بحسب تلك السمة))[1]، فان يشير الى عمق الأسلوب والدقة في الاختيار لا نتاج الدلالة، يقول(ع): ((لا يزهدنك في المعروف من لا يشكره لك، فقد يشكر من لا يسمع بشيء منه، وقد ترك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر ((والله يحث المحسنين))[2] والسؤال هنا، هل من توافق بين النص والشاهد ألقراني، ولماذا اخترت هذه الايه دون سواها. لعل يمكن في معرفة الإحسان وهو على وجهين احدهما الانعام علىالغير يقال أحسن الى فلان، والثاني أحسن في فعله وذلك اذا علم علماً حسناً او عمل عملا حسناً .. الإحسان فوق العدل وذلك ان العدل هو ان يعطي ما عليه ويأخذ اقل ممالـه، والإحسان ان يعطي اكثر مما عليه مما عليه وياخذ اقل ماله .. ولذالكم عظم الله ثواب المحسنين، فقال تعالى: ((وان الله لمع المحسنين)) [العنكبوت :٦٩] وقال تعالى : ((ان الله يجب المحسنين)) [البقرة :١٩٥][3] وغيرها. وبذلك تتضح المناسبة، فالمراد هو الإكثار من الأنفاق عمل المعروف وزهد فيه من لا يعرف قدره كون هذا العمل من دواعي المحبة الله لعبده، تلك غاية الشرف لمن كان موسوماً بصفة الاحسان وهي شريعة أخلاقية أكد عليها القران في اكثر من ايه كل الأعمال التي يقوم بها الإنسان في علاقته مع الاخرين في حالة السلم وفي حالة الحرب من موقع الترغيب لان ذلك يحقق الانسان محبة الله فان الله يجب المحسنين،[1]

وبهذا يكون للآية معناها المنسجم مع مكونات النص من خلال ترابط الألفاظ فيما بينها، واستدعاء المقطع القرآني المناسب لها. إذ إنّ ((الدلالات تولد في الصياغة وتولد أكثر تخصصا في حركة انتظام

---

١. شرح النهج البلاغة :خ ١٥٢ : ٩: ١١٣
٢. ينظر: تفضيل ذلك : التبيان : ١٠/ ٤٢٩
٣. شرح النهج البلاغة : خ ١٥٢: ٩: ١١٤
٤. دلالة الألفاظ العربية وتطورها : مراد كامل : ٢٢
٥. التعبير القراني : ٢١٢
٦. شرح نهج البلاغة : حكمة : ٢٠٠/ ١٩: ١٩
٧. شرح نهج مفردات الفاظ القران: ٢٣٦- ٢٣٧ وينظر : البنيان : ٢/ ٥٩٣

البنية ، تشكل العلاقات بينها فضاء هذه الحركة))[1] والتنافر والغموض إن غير او أبدل له علاقة بالسياق.

حكي أنّ اعرابياً سمع قارئا يقرا: ((فان زللتم من بعد ما جاء تكم البيات فاعملوا إنّ الله غفور رحيم)) [ولم يكن يقرأ القران فقال إنّ كان هذا كلام الله فلا، الرحيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه والآية إنما ختمت بقوله تعالى: ((فاعلمو أنّ الله عزيز حكيم)) [البقرة : ٢٠٩][3]

ومثل ذلك أي الترابط بين مكونات السياق . ووضع الشيء مكانه قوله(ع) في توبيخ أصحابه: م((يت بمن لا يطيع إذا أمرت و لا يجيب إذا دعوت لا أبا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم أما دين يجمعكم و لا حمية تحمشكم أقوم فيكم مستصرخا و أناديكم متغوثا فلا تسمعون لي قولا و لا تطيعون لي أمرا حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة فما يدرك بثأركم و لا يبلغ بكم مرام دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الأسرّ و تثاقلتم تثاقل النضو الأدبر خذلا منكم جيد مذائب ضعيف(كأنما يساقون إلى الموت و هم ينظرون)(الانفال :٦))[3] .

فالإمام(ع): ((يشّبههم بمن يساق الى الموت وهو ينظر في تثاقله واضرابه وضعفه عن الحركة إلى ما يساق اليه لشدة خوفه، وهو ذم وتوبيخ يستثير به طباعهم عما هي عليه من التثاقل عن ندائه والتقصير في إجابة دعائه))[4] مختارا من القران الكريم ما ينسجم والوصف، وكأّنه قطعة لا تتجزأ من نصه، فقوله(منيت أي بليت وتحمشكم تغضبكم والمستصرخ المستنصر والمتغوث القائل وغوثاه والجرجرة صوت يردده البعير في حنجرته وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء والتعب والجمل الآسر الذي بكركرته دبرة و النضو ، البعير المهزول ، والادبر الذي به دبر وهو المعقور من القتب وغيره))[5]، تفاعل مع قوله تعالى((ويساقون إلى الموت وهم ينظرون)) [الأنفال:٦] لان السوق يعني حدو الشي، يقال ساقه يسوقه سوقا و السيقة ما استيق من الدواب،[6] لإعطاء صورة التردد والتراجع الذي هم عليه من خلال ذلك النظم والتوافق بين الألفاظ مجتمعة لا منفردة إذ ((إنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة.. وان الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة، لمعنى التي تليها))[7] .

(١) في معرفة النص :يمنى العيد :٨٢
(٢) الإتقان في علوم القرآن :٢ /١٤ ،١٠١
(٣) شرح نهج البلاغة :خ٣٩ /٢ :٢٣٦
(٤) من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة :٢١٥
(٥) شرح نهج البلاغة :خ٣٩ /٢ :٢٣٦
(٦) ينظر : مقاييـــــــس اللغة :٣ :١١٧
(٧) دلائل الإعـــــــــــجاز:٩٤

وهو ما ذهب اليه الدرس الحديث((فمعنى الوحدة الكلامية يعتمد بشكل جوهري على سياق))[4] والسياق وحده هو الذي سيساعدنا على أدراك المعاني الكلمات لا تكفي بان يكون لها معنى فقط بل تثير معاني

كلمان تتصل فيها بالصوت او معنى او بالاشتقاق او حتى كلمات تعارضها او تنفيها))[٥][٧] وفي المقطع أخر يتضح دور السياق اللفظي في الشف عن المعنى عند الامام(ع)، يقول: ((فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع واعتبروا بالآي السواطع وازدجروا بالنذر البوالغ وانقفوا بالذكر والمواعظ فكان قد علقتكم مخالب المنية وانقطعت منكم علائق الامنية ودهمتكم منظعات الأمور والسياقة الورد المورود فـ ركل نفس معها سائق وشهيد)) سائق يسوقها الى محشرها وشاهد يشهد عليها بعملها))[١] موضحا المواد من السائق والشهيد بأنهما (سائق يسوقها الى محشرها وشاهد يشهد عليها بعملها)[٢] يوم لابعث وهو ما يشر اليه السياق فمخالب المنية وانقطاع علائق الأمنية واشدائد الامور ألسياقه الى الموت تصرف ذلك الحدث الى اليوم الاخر لا الحياة الدنيا كما ذهب بعض المفسرين: ((معها سائق يسوقها الى الله وشهيد عليها بما في الدنيا من خير او شر))[٣] فضلا عن ذلك تتضح جمالية الانسجام بين النص ألقراني، بما قبله فالآية تشير الى العموم أي: ((جاءت كل من النفوس معها من يسوقها ومن يشهد لها او عليها))[٤] وخطاب الامام(ع) موجه للمجتمع (فاتعظو ، اعتبروا ، وازدجروا، وانتفعوا وغيرها) لا فاد التحذير والتنبيه من ذلك اليوم الذي تحضر فيه كل نفس عنده لفصل القضاء،[١]

وبهذا يكون للسياق دوره في وحدة الخطاب وتبيان المعنى من خلال ترابط الألفاظ فيما بينها لان أي معنى للفظة ما يقوم على معطيات السياق الذي ترد فيه هذه اللفظة،[١] إذ قد يعطيها معنى آخر يختلف عما يتصوره المتلقي .

---

١. شرح النهج البلاغة : خ ٣٩/ ٢: ٢٣٦
٢. مقاييس اللغة : ٣/ ١١٧
٣. دلائل الأعجاز : ٩٢
٤. اللغة والمعنى و السياق :٢١٥
٥. نظرية الادب : دينيه ويليك : ٢٢٥
٦. شرح نهج البلاغة : خ ٨٤/ ٦: ٢٧٠
٧. م. ن
٨. البحر المحيط :
٩. فتح القدير
١٠. الميزان : ١٨/ ٣٧٩

وهو أمر مرتبط بمقاصد المتكلم ودواعي استعماله لذلك المؤشر الدلالي((فالنزوع لإنشاء النص أو الشروع في الكلام إنما يكون من المتكلم ويخضع بالدرجة لمراده و غرضه))[٢] باختلاف حال المخاطب إذ يكيف المتكلم(النص . الكلام) على وفق حال المخاطب نفسياً واجتماعياً وثقافياً،[٣] وهذا يعني أنّه ينبغي أن ننظر إلى أي عمل فني على انه يتضمن خطاباً مباشراً أو غير مباشر، يتضمن خطاباً مباشراً لما فيه من معان وأحاسيس ومفاهيم مقصود بها أن تصل إلى المستقبل في خطاب يفهمه جيداً بغض النظر عن لغته وزمانه ومكانه، ويتضمن خطاباً غيرمباشرلان اللغة هنا ليست لغة النطق والكلام ولكنها لغة الإيحاء والإشارة لغة الإفصاح بكل وسائل الإفصاح التي تتجاوز المعنى التقليدي الضيق لهذا الكلمة [٤] ومن تلك الإيحائية يستلهم الإمام(ع) معاني بعض الألفاظ ويستظهر حقائقها العميقة .

ففي تلاوته لقوله تعالى:((يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ رِجالٌ لا تُلْهيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)) (النور:٣٦، ٣٧) يقول (ع): ((جَعَلَ الذِّكْرَ جَلاءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ))[٥] جاعلا (الذكر) مدار حديثه على طول الخطبة ليشكل النواة المركزية في نصه، قال أهل اللغة :((الذكر الحفظ للشي تذكره والذكر أيضا الشيء يجرى على اللسان)[٦] .

وأضاف بعضهم :الذكر ما ذكرته بلسانك وأظهرته والذكر بالقلب يقال مازال مني على ذكر أي لم انسه،[٧] إذن فهو يكون تارة باللسان وتارة بالقلب فالذي باللسان نحو التسبيح والتكبير والتهليل والحمد والدعاء والذي بالقلب فهو التعظيم والتبجيل والاعتراف والطاعة،[٨] ..

(١) الألسنية محاضرات في علم الدلالة:١٥٨
(٢) دلالة السياق:٦٠١
(٣) ينظر:م.ن:٦٠٥
(٤) ينظر:اللغة وسيكولوجية الخطاب :سمير ستيتيه:١٦
(٥) شرح نهج البلاغة:خ١١/٢١٧ : ١٣٥
(٦) مقاييس اللغة:٢ /٣٥٨ ، ولسان العرب :٢ /٤٦٤
(٧) ينظر : مجمع البحرين:٩٦/١
(٨) ينظر :شرح نهج البلاغة :خ٢١٧/ ١١ :١٣٦ .

خصه الامام أو وصفه بكونه جلاءًللقلوب وهذا يدل على عظمة الذكر القلبي وأثره في تذهيب النفس الإنسانية إذ ان من معانيه ((استحضار مضمون الأسماء الحسيني .. كالعظيم والرحيم والحليم الغفور والشكور وغيرها ثم التفكير في الخلق لذي يرجع الى مضمون مجموعة أخرى من الأسماء الحسنى كالخالق والرازق والمدبر والمنعم والمعطي والحان والمنان ونحوها ثم التفكير في شان الفرد امام خالقه من القصور والجهل الذنب والتقصير وحسن النطن به تبارك وتعالى وكونه محل لطفه ونعمه سبحانه ونحو ذلك))[١] فاذا تحصل ذلك تحول الإنسان الى حقيقة الاسماء والصفات بل الى صورة اسم الله الأعظم ومظهرة الغاية القصوى لكمال الانان ومنتهى رجاء الله،[٢]وهذا ما يمكن فهمة تاكيد الامام(ع) على حقيقة تلك المفردة دون الانتقاص من المعنى الظاهري أي الذكر باللسان ((كونه مقدمة لتفتح لسان القلب بعد المواظبة الاستمرار عليه بشروطه))[٣] وهو في نهاية تأكيد يقتضي تحقق قدر مشترك من الخبرة للمجتمع في التماس تلك المفاهيم او الحقائق[٤] وقد يقتضي السياق عملية الاستبدال وهو حالة((تتم داخ النص انه تعويض العنصر في النص بعنصر اخر.. وهو وسيلة أساسية تعتمد في اتساق النص))[١] مثاله قوله(ع): ((تزول الجبال ولا تزول عض ناجذك اعد الله جمجمتك، تد في الأرض قدماك، ارم ببصرك الاقضى القوم، وغض بصرك واعلم ان النصر من عند الله سبحانه))[٢]محولاً الحصر في قوله تعالى: ((وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم)) [الـ عمران:[٢] وقوله تعالى : ((وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم)) [الأنفال: ١٠] الى أمر مؤكد بـ (أن) للتناسب مع السياق القائم على التثبيت بواسطة مؤكد اشعاراً ببيان انحصار الحقيقة النصر فيه تعالى[٣]. من خلال ارتباط كل كلمة بسيادتها التي يهبها المعنى[٤] او حسب ما يقتضه السياق والمقام[٥] ويلحظ عند الامام(ع) دقة استعمال اللفظ الملائم للمعنى، فهو حين يوظف النص القراني يضع شاهده في محله فياتي حين حينئذ مكملا للمعنى ورافداً للدالة المراة، يقول(ع): ((اللهم وهذا المقام من افردك بالتوحيد هولك ولم ير مستحقاً لهذه المحامد والممادح غيرك في فاقة اليك لا يجبر مسكنها الافضلك ولا ينعش من خلتها الا منك وجودك فهب لنا في

---

١. قناديل العارفين: محمد اليعقوبي : ١٤٨- ١٤٩
٢إلأربعون حديثاً : السيد الخميني : ٢٧٢
٣. م.ن :: ٢٧٢
٤. علم اللغة الاجتماعي: كمال بشم : ٢٨
٥. لسينيات النص، مدخل الى انسجام الخطاب: محمد الخطابي: ١٩
٦. شرح نهج البلاغة : خ ١١/ ١ : ٢٢٧
٧. التبيان: ٥/ ٨٤، الكاشف: ٣/ ٤٥٧، الميزان: ٩/ ١٧
٨. الالسينة المحاضرات في علم الدلالة: ١١٥
٩. بلاغة أللكلمة في التعبير ألقراني : ٩٧
١٠. شرح نهج البلاغة : خ ٩٠/ ٧ : ٢٦
١١. شرح نهج البلاغة :.

هذا المقام رضاك واغنتا عن مد ايدي الى سواك (انك على كل شي قدير)))،[1] وفي النص الاخر يقول: ((اما بعد فاني احذركم الدنيا اهنا حلوة خضرة حفت بالشهوات والتحبب بالعجالة وراقت بالقليل وتصلت بالامال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة حائلة الزائلة نافذة البائدة اكالة غوالة لا تعدو اذا تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضاء بها ان تكون ما قال الله تعالى سبحانه ((كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيئ مقتدرا))[2] ففي نص الأول ختم كلامه بقوله (ان الله على كل شي قدير) والنص الثاني بـ (وكان الله على كل شيئ مقتدرا) ولكل منهما مقامه((فالقدير والقادر من صفات الله عز وجل يكونان من القدرة ويكونان من التقدير))[1] والقادر اسم الفاعل من قدر يقدر القدير منه وهو لمبالغة والمقتدر مفتعل من اقتدر وهوة ابلغ [2] من قدير وقادر للدلالة على المبالغة في الوصف بالقدرة،[3] استعمل الامام(ع) في المقطع الاول الصفة المشبهة (قدير) لا ثبات كمال القدرة لله اجابة الدعاء وغيره ((فهو لا يعجز عن شيء لان كل شيء حادث وكل حادث فهو مخلوق ومعلول له تعالى فله التوحيد في المعبوديه وفي الذات وفي الفعل[4] اما في الايه الثانية في المقطع الثاني ذكر(وكان اله على كل شيء مقتدرا) أي على كل شيء من الاشياء يحيه وينفيه بقدرته لا يعجز عن شيء[5] وبصيغة اسم الفاعل(مقتدر) لما تطلبه المقام من تفخيم وتهويل، فالنص القائم على التحذير نن الدنيا بصفات لها أثرها في الوقع السامع وبصيغ المبالغة الدلالة على تصعيد المعنى (غدارة ، ضرارة، أكالة، غواله) واستعمال أسماء الفاعل (حائلة، زائلة نافذة بائدة) هذا ما ناسه استعمال اسم الفاعل (مقتدر) للدلالة على التمكن وزيادة في قوة المعنى مقارنه في بالنص الأول وبذلك يكون لكل من الكلمتين معنى زائد مجموعة سمات هي ما يقل لها ظلال المعنى[1]، اختلافت باختلاف السياقات التي وردت فيها أو بعبارة أخرى تبعا لتوزيعها اللغوي.[2]

وللتكرار دون أيضا في تحقيق التماسك النصي بين مكونات الخطاب فهو يؤدي وظيفية مزدوجة الأولى الربط أو المجتمع بين كلامين والثانية الوظيفية التداولية المعبر عنها بالاهتمام بالخطاب،[3] لغرض إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق .. بواسطة أعادة الفظ. ولأنه ادعى للتذكير وأقوى ضمانا للوصول أليه،[4] عمد اليه الامام(ع) في بعض توظيفاته ألقرانيه، يقول(ع) :((يا همام اتق الله وأحسن، (أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون))[5] مرفرداً خطابه بـ (اتق وأحسن) كونه لمخاطب واحد، متبعاً ذلك ومؤكده بالنص ألقراني (ان الله مع الذين اتقوا والذين اتقوا والذين هم محسنون) [النحل:١٢٨] وهو

---

١. لسان العرب : ٥/ ٢٠٩
٢. نهاية في غريب الحديث : الفروق الغوية: ابو هلال العسكري : ٤/ ٧
٣. تفسير اسماء اله الحسنى جاج : ٥٩
٤. مواهب الرحمن : ١/ ١١٩
٥. فتح القدير :
٦. الالسنية محاضرات في علم الدلالة : ١٣٣ ، وينظر : ظلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث : علي زوين: بحث منشور : ٧١
٧. علم الدلالة عمر: ٦٩ وينظر : اسس علم اللغة : ماريوباي: ١٥٦
٨. لسينات النص مدخل الى انسجام الخطاب : ١٧٩، وينظر : اللغة النصي :
٩. البيان في روائع القران : ١٢٨
١٠. شرح نهج البلاغة : خ ١٨٦/ ١٠ : ١٠٤

الشاره الى تعظيم امر الله، والذين هم محسنون الى الشفقه على عباد الله تعالى[١] او بكون كل منهما سبباً متقبل في هبة النصرة الإلهية[٢] للذين اخلصه القول والعمل والتزاموا بحركة العقيدة في الوجادن فحلوها الى حركة في الواقع على مستوى الاعمال والاقوال والمواقف العلاقات وخافوا الله في انفسهم وفي الناس في السر والعلن وانطلقوا مع لتقوى في خط مستقيم يتحرك في حدود الله ولا يتجاوزها الذين هم محسنون في الخط العملي للحياة الذي يحول الحيال الى إحسان روحي وعملي يفتح القلوب على خير فيما يصنعة من اجراء الخير وفيما يثير من مشارو أحاسيس[٣]، يمعن أثرها في النقاذ الى المتلقي هذا ولتكرار دورة ايضاً في أعادة المعنى القائم على التقوى والاحسان اللذين يمثلان دعامة المتلقي.وفي السياق التأكيد تتضح دلالات الترابط بين الالفاظ وبشكل تتدرج فيه الكلمات من العموم الى التخصص عند الامام (ع): ((ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حصيلة لهم من المشركين والمحتاجين واهل البؤسى والزمنى، فان في هذه الطبقة قانعاً ومعترا))[١] القانع هو السائل الذي لا يلح في السؤال ويرضى بما يأتيه عفواً[٢] .. اما المعتر فهو الذي لا يعرض لك ولا يسألك[٣] قدوردا في قوله تعالى: ((فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر)) [الحج: ٣٦] ذكرنا الامام(ع) ضمن مجوعة كليه تتمثل بالمساكين والمحتاجين واهل البؤسى الزمني(وهم اهل الفقر وارباب العاهات ألمانعه لهم عن الاكتساب)،[٤] لدخول القانع والمعتر فيها، مما يجعل الكل في دائرة واحدة تتسق وتنسجم فيما بينها او ما يمكن قوله ان كلمتي (القانع و المعتر) ((اشد ارتباطاً بهذا المجموعة من ارتباطاً بمجموعة أخرى)[٥]، وهو ما يسمى في الدراسات ألحديثه بالرف أي، استعمال وحدتين معجميتي منفصلين استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى))[٦] وتارة يعمد الامام(ع) الى التفصيل بعد الإجمال مستنطقاً دلالة المفردة بما يقابلها من القران الكريم، في صورة تتكرر فيما تلك المفردة، لا ظهار الترابط بين المكونات السياق، يقول(ع) : ((فلم يستنصركم من ذل ولم يستقرضكم من قبل، استنصركم((وله جنود السموات و الأرض وهو العزيز الحكيم)) واستقرضكم ((وله خزائن السماوات و الأرض وهو الغني الحميد)) وانما أراد أن يبلوكم أيكم أحسن عملا))[١] مكرراً ويستنصركم ويستقرضكم بتغير بنسبة النص من لا مضارع المنفي الى الماضي، قاصداً ن ذلك أي (الاستنصار وهو استمداد النصر.. واستنصره على هدوه أي سأله أن ينصره عليه، والاستعراض، من استقراض، يقال استقرضت من فلان أي طلبت منه القرض فاقرضني وأقرضت منه أي أخذت منه القرض)[٢] ان الله سبحانه غير محتاج لنصرتكم فله جنود السموات والأرض أي، الملائكة والجن والإنس والشياطين))[٣] وهو جواد لا يستقرض من عوز فله خزائن السماوات والأرض ينفق منها ويرزق من يشاء

---

١. فتح القدير : ٣/ ٢٥٢
٢. الميزان : ١٢/ ٤٠٢
٣. من وحي القران : ١٣/ ٤١٠
٤. شرح نهج البلاغة : ك ٥٣/ ١٧ : ٦٧
٥. مفردات الفاظ القران : ٦٨٥
٦. شرح نهج البلاغة : ٥٢/ ١٧: ٦٧
٧. نهج البلاغة الصالح : ٥٦
٨. لسانيات النص مدخل الى انسجام الى الخطاب : ٢٥
٩. علم الدلالة : عمر ٧٤

كيف يشاء فلوشاء لا غنى الفقراء من المؤمنين لكنه تعالى يختار ما هو الأصلح فيمتحنهم بالفقر ويتعبد هم بالصبر ليؤجرهم اجداً كريماً ويهددهم صراطاً مستقيماً [١]، وبالتالي فهو تفصيل تطلبه السياق، وضحه الامام في تلك المقابلة من خلال الوقوف على لفظتي (استنصر واستعرض) اللتين كسبتا إيحاءات أضافية داخل السياق الخاص[٢] القائم على البيان بالتوظيف ألقراني من خلال (مظهر معجمي قائم على إعادة الكلمة نفسها)[٣]، يفرض على النص سمات التماسك والترابط [٤] وفي مظهر اخر يلحظ عناية الامام(ع) بالأدلة العقلية لا ثبات أو تنزيه ما يتعلق بالله سبحانه او بأنبيائه، بشكل يفهم من السياق الذي ترد فيه تلك الدلائل((لا نها أدله يعلم بصحتها العقل)[٥] يقول الامام(ع): ((الحمد لله الذ ي تدركه الشواهد ولا تحتويه المشاهد ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر الدال على قدمه البحوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده وباشتباههم على ان لا شبه له))[٦] فالامام(ع) ينفي تلك الرؤية (لاتراه النواظر) ، وهي مسالة يمكن ان يستدل عليها بالعقل، فالله سبحانه وتعالى((ليس كمثله شي)) [ ] ومن ثم فهو خارج عن اطار التصورات التي قد تحظر على الذهن، عكس ما أراده المجسمة من العقول برؤية الله وتحديد صورته[١] يقول ابن ابي الحديد: ((هو ليس بجسم ولا عرض لا يرى))[٢] فالله سبحانه غير قابل للرؤية في مطلق الزمان وجميع الظروف[٣]، وهذا ما يفهم من كلامه(ع)، حيث اتضاح المواد بغلبة السياق العقلي او ما استدل بالعقل على معرفته، إذ لا يمكن اخذ النص دون تحكيم القرانية العقلية في الفهم، ولعل هذا التحكم في بعض النصوص يعود الى قصور اللغة وتقصها في سد هذ المعاني وهو باب واسع لا يقتصر على هذا المجال[٤] قال تعالى : ((ربي ارني انظر اليك)) [الأعراف: ١٤٣]

سياق الحالي:.هو ((كل ما يحيط باللفظة من ظروف تتصل با المكان او المتكلم او المخاطب في أثناء التفوه فتعطيها هذه الظروف دلالتها التي التي يولدها هذا النوع من السياق))[١] تنبه إليه القدماء وتصدوه في أمثلتهم دون تحديده بتلك الشمسية[٢] كوسيلة يتم من خلالها التقط المعان الكامنة في النص ومنتجة على لسان متكلميها، إحاطة المحدثون بعناية خاصة بدءاً باعالم المجتمعات البشرية

---

١٠. شرح نهج البلاغة : خ ١٨٤/ ١٠ :٩٨
١١. لسان العرب ٦/ ١٩٦: ٥٠ / ٢٣٤
١٢. مجمع البيان : ٥٠/ ١١١
١. الميزان : ١٩/ ٣٢٦
٢. اللغة الشعرية دراسة في شعر حميد سعيد: محمد كوني : ٢٨٠
٣. لسينيات النص مدخل الى انسجام الخطاب: ١٣٣
٤. اللغة والمعنى والسياق : ٢١٩
٦. شرح نهج البلاغة : خ ٢٣١/ ١٣ : ٣٥
٧. التفكير الدلالي عند المعتزلة : ، التفسير العقلي في القران الكريم :
٨. شرح نهج البلاغة : خ ٢٣١/ ١٣: ٣٩
٩. الأمثل: ة٥/ ١٩١
١٠. منة في الدفاع عن القران : ٢٦
١١. منهج الخليل في دراسة الدلالة القرانية : بحث (احمد نصيف الجاني) ١٦٢-٢١٦٣ وينظر : الدلالة القرانية عند الشريف المرتضى : ١٧٠
١٢. الكتاب : الخصائص
١٣. علم اللغة :: السعران : ٣٣٩
١٤. المدخل -١- علم اللغة : رمضان عبد التراب : ١٢٨

(الانثروبولوجي) مالسنو فسكي، ومن بعده فيرث صاحب النظرية سياق الحال[٣]، حتى تفرع الى مجالات عديدة تنطوي تحته يدرس فيها السياق العاطفي والاجتماعي والنفسي ولا اظنها تصلح للقيام بذاتها كونها جزءا من بواعث سياق الموقف او الحال او المقام، (فالسياق او المقام هو العنصر الاجتماعي في المعنى وهو موقف الذي يكتف عن المقام الذي يؤدي به الحدث الكلامي المعين، ولما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية وادارة التعبير عن الفكر فمن الطبيعي ان تتأثر بكل الظواهر المعنى الذي حملته الا بمعرفة المقام))[٤] إذ ((أن ما يقال في موظف ما قد لا يصلح ان يقال في غيره من الناحية اللغوية والمقامية لعدم قضاء احدهما إلى الأخر))[١] أي لا يستعمل الدعاء في مقام الاعتذار، والتقريع في مقام الثناء وغيره، بل لابد من ملازمة موضوعية بين المعتال والموظف لكشن تجليات النص وهو ما عبر عنه البلاغيون ((لكل كلمة مع صاحبتها مقام))[٢] وهذا ما يمكن تلمسه في قوله(ع) : ((اللهم إليك أفضت القلوب ومدت الاغناق وشخصت الابصار ونفلت الاقدام وانصت الابدان، اللهم صرح مكنون الشنان وجاشت مراجل الاضفان، اللهم نشكو اليك غيبة بنينا وكثرة عدونا وتشتت اهوائنا ((ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت[١٤] خير الفاتحين)) [الأعراف : ٨٩] [٣] حيث وظف قوله تعالى مع مجريات النص القائم على الدعاء بمناسبة واضحة تفهم من المقام، إذ إن هذ الدعاء كان يدعو به اذا لقي محارباً والحرب قائمة على انكشاف البغضاء والأحقاد بين الطرفين المتنازعين[٤] لذلك نسبه استعمال الاية المذكورة مبدوءة بالدعاء ثم الفتح وهو إزالة الإغلاق والأشكال[٥]، من خلال الحكم الفصل بين شيئين يستلزم إبعاد كل منهكا عن صاحبه حتى لا يماس هذا ذاك ولا ذاك هذا، وهذا ما أراده الامام (ع) حين طلب الحكم الفصل العسر عنه بالفتح من الله عز وجل، حيث حسد ما مطالب الدعاء كلهما في النص ألقراني حتى((غدا مكملاً للعنوان او موضحاً له))[٢] بتلك الخاتمة القرانية المكثفة الدلالات.

وتظهر الدلالة المقام من جانب اخر من خلال عرفة الظروف المصاحبة لقل الامام لان الدلالة المقامية ((تمثل الجانب غير اللفظي من جوانب السياق اللغوي المحيطة بالحدث الكلامي))[٣] مثال ذلك قول الامام(ع) : ((اصابكم صحاب ولا بقي منكم اثر ابعد ايماني بالله وجهادي مع الرسول الله (ص) اشهد لى نفسي بالكفر لقد ((ضللت إذا وما انا من المهتدين)) [ ] فأوبوا شر مآب و ارجعوا على اثر الأعقاب))[٤] وهو كلام قاله للخوارج لما زعموا انه خطا في يقول التحكم فشرطوا في العدوة إلى طاعته ان يتعرف بأنه كفر ثم امن[٥] مسنداً اياه بقوله تعالى((ظللت اذا وما انا من المهتدين)) [الأنفال: ٥٦] إي خارجاً عن جماعة المهتدين الذي اتصفوا بصفة القبول هداية الله سبحانه[٦] وهو على خلاق ذلك، حيث القرائن تدل على ما أردا. مستعيناً بالنص ألقراني لما يلاءم الموقف ومن ثم يبرز الدلالة

---

١. دلالة السياق : ٥٩٦
٢. الإيضاح : ٩٢٨
٣. شرح نهج البلاغة : ك ١٥/ ١٥/ : ٨٥
٤. شرح نهج البلاغة : ك ١٥/ ١٥/ : ٨٥
٥. مفردات ألفاظ القران : ٦٢١
٦. الميزان : ٨/ ١٩٨
٧. علم اللغة النصي: ١/ ٤٠- ٤١
٨. علم اللغة العصر مقدمات وتطبيقات :٣٧

بوساطة ذلك التناسب فـ ((كلما كانت وصف المقام اكثر تفصيلا كان المعنى الدلالي الذي نريد الوصول اليه اكثر وضوحاً))[1] واكثر إثارة للذهن فيكل عناصره الفنية التي انعقدت في سياق يؤدي الى غرض ما في وقت يجسد وظيفة من الوظائف او كثر،[2] يتنوع القاصد التي ينفها المتكلم في تشكلاته للغة، يقول(ع) في احد نصوصه وفيه يذم اهل الرأي ويكل أمر الحكم في أمور الدين للقران، يقول: ((ترد على احدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بينها على غيره فيحكم فيها بخلاق قوله ثم يجتمع لقضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعاً إلههم واد بينهم واحد وكتابهم واحد ، افا مرهم الله سبحنه بالاختلاف فا طاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام أزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى ام انزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول(ص) عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول: ((ما فرطنا في الكتاب من شيء)) وفيه تبيان لكل شيء[1] أي أبان الله فيه كل شيء مما يحتاجه الناس مما مما يدخل في نطاق مسؤوليتهم فيما أحلة الله وفيما صدمه،[2] خطب الامام(ع) هذا الكلام لما بويع

كقوله(ع) ((سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ أَوْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ يُنَازِعُهُ أَوْ يَكُونَ مَعَهُ إِلَهٌ آخَرُ لَوْ كَانَ لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ)) [1] وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى: ((لم يلد ولم يولد)) [الإخلاص:٣]

فهو لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا .. ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده...ومن ثم فقوله(لم يولد) وصف بالقدم والأولية وقوله (لم يلد) نفي للشبه والمجانسة،[2]

استدعى الإمام (ع) ذلك في معرض تنزيه الخالق جلّ وعلا لما أثير في ذلك من جدل بين الأديان من أن الله سبحانه له ولد، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . إذ قيل إنّ عزيزاً ابن الله وان المسيح ابن الله ونحو ذلك كما نطق به القران الكريم[3] ،

نافياً(ع) أن يكون البارئ سبحانه مولوداً فيكون لديه شريك في العز والآلهية .. ونفى أن يكون له ولد جريا أيضا على عادة البشر[4] مثبتاً معنى الكمال ((الذي دل عليه القران بعبارات متنوعة دالة على

---

٩. شرح نهج البلاغة : خ ٥٧/ ٤: ٩٨
١٠. تاريخ الطبري : ٣/ ٩٠٥، والمدخل إلى علوم نهج البلاغة : ٢٨٤
١١. الميزان : ٧/ ١١٤

١. اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٤٦- ٢٥٢
٢. التقابل الجمالي في النص ألقراني، دراسة جمالية فكرية وأسلوبية: حسين جمعة: ٢٥٤
٣. شرح نهج البلاغة :. خ ١٨ / ١: ٢٦٦
٤. من وحي القران : ٩/ ٦٦
٥. المدخل إلى علوم نهج البلاغة :
٦. شرح نهج البلاغة : خ ١٨/ ١: ٢٦٧
٧. أبيان في الروائع القران : ١/ ١٧٣
٨

معان متضمنة لهذا المعنى، فما في القران من إثبات الحمد له وتفصيل محامده إن له المثل الأعلى وإثبات معاني أسمائه ونحو ذلك كله ، دال على هذا المعنى))[٥]

ومن ثم تبقى تلك المصاحبة المقامية غير اللفظية لها دورها في إنتاج المعنى ((وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسراً للكلام))[٦] يدل على وضوح معناه،

مثال ذلك قوله(ع) حينما قال له بعض اليهود ماد فنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال(ع) له:((إنما اختلفنا عنه لا فيه، ولكنكم ما جفت أرجلهم من البحر حتى قلتم لنبيكم ((اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فقال إنكم قوم تجهلون))[٧] إذ يروي الشعبي وابن المسبب انه: جاء حبر من أحبار اليهود إلى علي(ع) فناظره فقطعه فقال له : ماد فنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال(ع) قوله[٨] .

.(١) شرح نهج البلاغة: خ ١٠/١٨٣: ٦٦
(٢) ينظر:. الكشاف: ٤/ ٨١٨
(٣)ينظر : منة المنان في الفاع عن القران: ٩٢
(٤)ينظر:. شرح نهج البلاغة : خ ١٨٣/ ١٠ : ٦٦
(٥). الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم : ٢٥٨
.(٦) المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث : محمد احمد أبو الفرج: ١١٦،
(٧). شرح نهج البلاغة : حكمة/٣٢٣: ١٩ /١٨٤
(٨). تذكرة الخواص : ابن الجوزي : ١٦٢

وهذا يشير الى تحكم الموقف في صدور النص والتجلية بهذا الإطار اللفظي، فضلاً عن استيلاء المعنى ن خلال ذلك. وبذلك يكون((وصف المعنى بموجب السياق الحالة ليس اذن سوى احد الأساليب التي تعالج اللساني اللغة وليس مختلفاً مبدئياً الطرق الأخرى من يؤدي اللساني سها عمله))[٤] واذا كانت اللغة

با جمعها تشكل حلقة التخاطب بين الناس عن طريق التعبير عن الحالات واقف وتقديرات وأحكام فائها من جانب أخر تحدداً عدد من الخيارات التي يمكن ان يلجأ اليها المتكلم عند تأكيده على بعض الأمور او طرحه لبعض الأسئلة،[١] او اعتماد التغير في بنية الكلام، قول الامام(ع): ((اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان عزب الرأي أمريء تختف عن ما شككت في الحق مذ اريته لم يوجس موسى خيفة على نفسه بل اشتق من غلبة الجهال ودول الضلال اليوم توقفها على سبيل الحق والباطل، من وثق بما لم يظما))[٢] وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى((فأوجس في نفيه الخفية موسى))[طه:٦٧]، إيجاس الخوف، إضمار شيء منه[٣].. وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو منه مثله، وقيل: خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه،[٤] وهو لا يرجح في كلام الامام(ع)، قال ابن ابي الحديد: ((ان موسى لما وأجس الخفية بدلالة قوله تعالى: ((

وهذا يشير الى تحكم الموقف في صدور النص والتجلية بهذا الإطار اللفظي، فضلاً عن استيلاء المعنى ن خلال ذلك. وبذلك يكون((وصف المعنى بموجب السياق الحالة ليس اذن سوى احد الأساليب التي تعالج اللساني اللغة وليس مختلفاً مبدئياً الطرق الأخرى من يؤدي اللساني سها عمله))[٤] واذا كانت اللغة با جمعها تشكل حلقة التخاطب بين الناس عن طريق التعبير عن الحالات واقف وتقديرات وأحكام فائها من جانب أخر تحدداً عدد من الخيارات التي يمكن ان يلجأ اليها المتكلم عند تأكيده على بعض الأمور او طرحه لبعض الأسئلة،[١] او اعتماد التغير في بنية الكلام، قول الامام(ع): ((اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان عزب الرأي أمريء تختف عن ما شككت في الحق مذ اريته لم يوجس موسى خيفة على نفسه بل اشتق من غلبة الجهال ودول الضلال اليوم توقفها على سبيل الحق والباطل، من وثق بما لم يظما))[٢] وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى((فأوجس في نفيه الخفية موسى))[طه:٦٧]، إيجاس الخوف، إضمار شيء منه[٣].. وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو منه مثله، وقيل: خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه،[٤] وهو لا يرجح في كلام الامام(ع)، قال ابن ابي الحديد: ((ان موسى لما وأجس الخفية بدلالة قوله تعالى: ((

١. المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث : محمد احمد أبو الفرج: ١١٦، وينظر: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى: ١٧٠
٢. شرح نهج البلاغة :
٣. تذكرة الخواص : ابن الجوزي : ١٦٢، والمدخل إلى علوم نهج البلاغة : ٣٧٦
٤. علم الدلالة : بالمر: ٦٤

وهذا يشير الى تحكم الموقف في صدور النص والتجلية بهذا الإطار اللفظي، فضلاً عن استيلاء المعنى ن خلال ذلك. وبذلك يكون((وصف المعنى بموجب السياق الحالة ليس اذن سوى احد الأساليب التي تعالج اللساني اللغة وليس مختلفاً مبدئياً الطرق الأخرى من يؤدي اللساني سها عمله))[٤] واذا كانت اللغة با جمعها تشكل حلقة التخاطب بين الناس عن طريق التعبير عن الحالات واقف وتقديرات وأحكام فائها من جانب أخر تحدداً عدد من الخيارات التي يمكن ان يلجأ اليها المتكلم عند تأكيده على بعض الأمور او طرحه لبعض الأسئلة،[١] او اعتماد التغير في بنية الكلام، قول الامام(ع): ((اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان عزب الرأي أمريء تختف عن ما شككت في الحق مذ اريته لم يوجس موسى خيفة على نفسه بل اشتق من غلبة الجهال ودول الضلال اليوم توقفها على سبيل الحق والباطل، من وثق بما لم يظما))[٢] وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى((فأوجس في نفيه الخفية موسى))[طه:٦٧]، إيجاس الخوف، إضمار شيء منه[٣].. وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو منه مثله، وقيل: خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه،[٤] وهو لا يرجح في كلام الامام(ع)، قال ابن ابي الحديد: ((ان موسى لما وأجس الخفية بدلالة قوله تعالى: ((

١. المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث : محمد احمد أبو الفرج: ١١٦، وينظر: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى: ١٧٠
٢. شرح نهج البلاغة :
٣. تذكرة الخواص : ابن الجوزي : ١٦٢، والمدخل إلى علوم نهج البلاغة : ٣٧٦
٤. علم الدلالة : بالمر: ٦٤

وهذا يشير الى تحكم الموقف في صدور النص والتجلية بهذا الإطار اللفظي، فضلاً عن استيلاء المعنى ن خلال ذلك. وبذلك يكون((وصف المعنى بموجب السياق الحالة ليس اذن سوى احد الأساليب التي تعالج اللساني اللغة وليس مختلفاً مبدئياً الطرق الأخرى من يؤدي اللساني سها عمله))[٤] واذا كانت اللغة با جمعها تشكل حلقة التخاطب بين الناس عن طريق التعبير عن الحالات واقف وتقديرات وأحكام فائها من جانب أخر تحدداً عدد من الخيارات التي يمكن ان يلجأ اليها المتكلم عند تأكيده على بعض الأمور او طرحه لبعض الأسئلة،[١] او اعتماد التغير في بنية الكلام، قول الامام(ع): ((اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان عزب الرأي أمريء تختف عن ما شككت في الحق مذ اريته لم يوجس موسى خيفة على نفسه بل اشتق من غلبة الجهال ودول الضلال اليوم توقفها على سبيل الحق والباطل، من وثق بما لم يظما))[٢] وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى((فأوجس في نفيه الخفية موسى))[طه:٦٧]، إيجاس الخوف، إضمار شيء منه[٢].. وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو منه مثله، وقيل: خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه،[٤] وهو لا يرجح في كلام الامام(ع)، قال ابن ابي الحديد: ((ان موسى لما وأجس الخفية بدلالة قوله تعالى: ((فأوجس في خفية موسى)) [طه : ٦٧] لم يكن ذلك خوف على نفسه وإنما خاف من الفنية والشبهة الداخلة على المكلفين عند القاء السحرة عصيهم فحيل اليه من سحرهم انها تسعى، وكذلك انا لا أخاف على نفسي من الأعداء الذين لي البائل وارصدوا لي المكائد وسعروا على نيران الحرب، إنما أخاف ان يفتتن المكلفون بشبههم تمويها تهم فتقوى دول فتقوى دول الضلال وتغلب كلمة الجهال))[١] ناسب الامام(ع) بين مقام الحال وتوظيفه النص ألقراني لما بينها من علاقة وطيدة أفصحت عن المعنى المراد لا سما وإنه خطب ذلك ((بعد مقتل طلحة والزبير مخاطباً إياهما ولغيرها من أمثالها))[٢] برؤية لها مضمونها اللغوي المؤثر في الوجدان الحسي[٣] مون التعبير عن أي فكرة لا يخلو مطلقاً من لون عاطفي والسلم الانفعالي نفسه لا يحوي نغمة واحدة تخلو من العاطفة إذ ليس هناك الى الاعواطف يختلف بعضها عن بعض،[٤] نتيجة التغاير في الموقف وما يرتبط به من معضدات الكلام، فمن الظروف النفسية المحيطة بالنص قولة(ع) : ((بعداً لهم ((كما بعدت الثمور)) أمالوا شرعت الأسنة أليهم وصبحت السيوف على هاماتهم، لقد ندموا على ما كان منهم))[٥] قال هذا حينا أرسل رجلاً من أصحابه يعلم له علم أحوال قدم من جند الكوفة قد هموا باللحاق بالخوارج وكانوا على خوف منه(ع) فلما عاد أليه الرجل قال له امنوا فقطعوا، أم جبنوا فظعنوا فقال الرجال : بل ظنوا يا أمير المؤمنين،[٦] فأجاب

---

١. المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث : محمد احمد أبو الفرج: ١١٦، وينظر: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى: ١٧٠
٢. شرح نهج البلاغة :
٣. تذكرة الخواص : ابن الجوزي : ١٦٢، والمدخل إلى علوم نهج البلاغة : ٣٧٦
٤. علم الدلالة : بالمر: ٦٤
٥. اللغة العربية في إطارها الاجتماعي : مصطفى لطفي : ٢٣١
٦. شرح هج البلاغة : خ ٤/ ١: ١٩٩
٧. مفردات الفاظ القران : لسان العرب :٦: ٤٠٣ الكشاف : ٣/ ٧٣
٨. الكشاف : ٣/ ٧٤

بلامه المذكور مظهراً ذلك الانزعاج النفسي بالدعاء عليهم بـ (العبد) وهو أكثر ما يقال في الهلاك نحو (بعدت ثمود) [هود: ٩٥][١] ومعناه بعداً لهم من الرحمة الله كما بعدت ثمود،[٢] إذ ان الدعاء ألقراني جاء على مدين، قال تعالى: ((كان لم يفنوا فيهما ألا بعداً لمدين كما ثمود)) [هود : ٩٥]، استشهد به الامام لتبيان حقيقة الارتداد والتنصل الذي كان عليه جيشه، وبصورة تظهر عمق الدوافع لذلك التوظيف، من خلال الملابسات المحيطة بالنص. وقد تكون البواعث تاريخية تسهم في أيضا دلالات النص، وتجلى الكثير من غموضه أو الإبهام الذي فيه، مثال ذلك قوله(ع) محذرا من الدنيا : ((فاعملوا وانتم تعلمون بالكم تاركوها وظاعنون عنها وتغطوا فيها بالذين ((قالوا من اشد منا قوة))[فعلت : ١١] جملوا الى قبورهم فلا دعون ركباناً وانزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفنا وجعل لهم من الصفيح أجنان ومن التراب أكفان ومن الرفات أجيران))[٣] فتوظيفه للنص القراني يمثل محورية النص وانطلاقه الوعظ والتنبه من ذلك المصير الذي مر بالبشرية في بعدها التاريخي والـ الى الاندثار والهلاك، إذ أنهم كانوا أقوياء فيما هي القوة الجسدية فقد زادهم الله بسيطة في الجسد لا نهم كانوا من العمالقة كما قيل ولهذا شعروا بالنفوق والعلو على الآخرين الذين كانوا اضعف منهم في قوة مما يجعلهم يتحسسون الضخامة الشخصية في مواقعهم وامتيازاتهم، كما يتحسس البعض ضخامة الحجم في اجسادهم فتحدث لديهم عقدة الكهرباء التي تدفعهم الى الاستكبار والاستعلاء فيما يمثل ذلك من انانية في الذات تتحول الى انانية في الموقف الفري الذي لا يخضع لفكر الآخرين لوكأن حقاً أو أنانية في الموقف ف الموقف العقيدي حتى لوكان هو الحقيقة ولم يكتفوا بذلك بل وقفوا وقفة استعراضي في الحجم القوة الت يملكونها حتى خيل اليهم انهم يملكون قوة المطلق فقالوا وهم يتطلعون الى كل من حولهم من اشد منا قوة،[١] عمد اليه الامام(ع) لتحريك النوازع لمخاطبين واثارة ذلك المشهد الذي يفوق كل ما كل يعملونه او يتصورونه، وهو في نهاية قرينة على فهم النص ومعطياته. ولقرنية الزمان دورها إيضاح سياق الحال الشامل لكل ما يتصل بالمتكلم والخطاب الظروف الملابسة ولا بيئة[١] وغيرها، إذ انها تمثل قيمة الكبرى التي يتحرك عليها الانسان مدى تاريخ[٢] وفي نشاته مختلفة. يقول(ع)معتمداً تلك القرنية، بانياً عليها نصبه لا ثارة المتلقي((وعالموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدينا على سبيل من قد مضى قبلكم عن كان ألمول منكم أعمارا وأعمر ديارا وابعد اثاراً، أصبحت أصواتهم هامدة ورياحهم راكدة وأجسادهم بالية وديارهم خالية وأثارهم عافية .. وكان قد صرتم الى ما صاروا اليه وارتهنكم ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو تناهت بكم الامر وبعثرت القبور ((هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت زودوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم

---

١. شرح نهج البلاغة : خ ٤/ ١: ٢٠٢
٢. المدخل إلى علوم نهج البلاغة : ٢٧٢
٣. نحو نظرية أسلوبية لسانيه : فيلي ساند ريس، ترجمة خالد محمود جمعة : ٣٣
٤. اللغة : ١٨٣
٥. شرح نهج البلاغة : خ ١٨٢: ٦٠/١٠
٦. م . ن
٧. مفردات ألفاظ القران : ١٣٣
٨. الكشاف : ٢/ ٤٢٥
٩. شرح نهج البلاغة :
١٠. من وحي القران : ٢٠/ ١٢٧

ماكانوا يفترون))[٣] في ذلك الموقف الذي فيه((تختبر تمتص كل نفس ما أسلفت وقد مت من الأعمال فتتكشف لها حقيقة اعمالها وشاهدها مشاهدة عيان لا مجرد الذكر او البيان وبمشاهدة الحق من كل شي عياناً ينكشف ان المولى الحق هو سبحانه وتسقط وتنهدم جميع الارهام))[٤] تقصده الامام (ع) كشاهد حال لما الـ اليه من سبق من الذين ذاقوا ذلك المصير، وتصوير يتحرك فيه الحدث وصولا الى ذلك الاختبار الاقدام على الله سبحانه وتعالى، وفيه ما يكتفي من الاعتبار والموعظة المشيرة يا حوالها قبل الفاظها بـ (إيحاء استهدف الذات المتعلقة)[١] وهو استهدف يختلف باختلاف الذوات والموقف المتطاب لذلك الايحاء، فمثلا حينما تكون قرنية الحال متصلة بالمخاطب، قد يعمد الى غريب الصورة من التصور من خلال حكمين (حكم ظاهر للحواس وحكم بان للعقول)[٢] لغرض إحداث مفعول الخطاب في المتلقي ظاهراً وباطناً، من ذلك قوله(ع) في خطاب لمعاويه: ((فسيطلبك من تطلب ويقرب ما تستعد وانا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والمتابعين لهم باحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم متسربلين سرابيل الموت، احب اللقاء اليهم لقاء ربهم وقد عرفت مواقع نصالها في اخيك وخالك وجدك واهلك (وما هي من الظالمين ببعيد)[٣] أي م اكل ظالم ببعيد .. او ماهي بمكان بعيد[١] اراد عليه السلام بذلك تصعيد الخطاب المتضمن للانذار والوعيد باثارة احداث قد خلت لها وقعها على مخاطب (معاويه) والتنبيه مستقبلا على ما هو اشد من ذلك بواسطة استعمال التعبير ألقراني لكي يتم أيقاظ الاحساس والنفاذ مباشرة إلى البصيرة والتخطي الى الوجدان[٢] سواء كان ذلك البعد في (المحسوس وهو الاكثر او في المعقول)[٣] وهو في نهايته مقصد جلي له وظيفته في كشف مكامن النص ودلالاته.

---

١. علم اللغة : السعران : ٣٤١
٢. التقابل الإجمالي في نص ألقراني : ٢٤٢
٣. شرح نهج البلاغة : خ ٢٢١/ ١١ : ١٩٧
٤. الميزان : ١٠ / ٤٥، الكاشف : ٤/ ١٥٣
٥. جدلية الخفاء والتجلي : ٢٢
٦. أحيوان : الجاحظ : ١/ ٢٠٧
٧. شرح نهج البلاغة : ك ٢٨/ ١٥ : ١٣٩
٨. الكشاف : ٢/ ٤١٦
٩. التصدير الفني في القران : ١٧٤
١٠. مفردات ألفاظ القران : ١٣٣

خاتمة البحث ونتائجه

وبعد التنقل في رحاب نهج البلاغة ،واستظهار ملامح النص القراني ،وتجلياته في كلام الامام (ع)،اسفر البحث عن جملة من النتائج اتـــى اكلها بعد هذه الرحلة :

. لم يكن الوازع الجمالي او الذوقي الدافع الوحيد لتوجه الامام (ع) صوب القران الكريم ، بل حقيقة القران المطلقة ودلالاته المتنوعة حركت الامام (ع) لاعادتها وتثبييها في ذهن السامع.

. تجلي المعرفة القرانية الواسعة عند الامام (ع) جعلت منه يوظف النص القراني في ملاحظ متنوعة تتنوع بتنوع النص المتحدث عنه ،كونيا او تشريعيا او انسانيا اواخلاقيا او غير ذلك .

. تكثيفه لكثرة النصوص المشيرة الى حقيقة القران ينبئ بدلالة تعظيم النص المنزل واتساع فسحته لا على نحو مقيد بل مطلق الدلالات ؛إذ اورد (ع) مايقارب المئة نص كلها تتحدث عن القران.

. محاولة الامام (ع) تاصيل الفهم او مايمكن ان يسمى بفقه التاسيس(أي فهم القران) يدل على وعيه الكامل بضرورة امتلاك الادوات الكاملة في فهم القران ، وهو ما تجسد باشاراته الى ابي الاسود الدؤلي وعبدالله بن عباس ، فالدوافع كانت قرانية ولأجل القران .

. شكل الحضور القراني من حيث حفظ القران وجمعه وتفسيره عند الامام (ع) مدخلا واضحا في انطباع لغته (ع) وتشبعها بلغة القران الكريم ،وهو امر انعكس على اسلوبه وطبعه بتفرد خاص .

. ارتباط تنوع الشاهد القراني عند الامام (ع) بمقاصد لاتخرج عن دلالات النص القراني ،اذ استهدف (ع) في اغلبها تبيان عظيم النعمة الالهية وتمجيد الله ، اوتصوير مشاهد القدرة في الابداع او تقويم الانسان شرعيا او سلوكيا .

.

. بين الامام (ع)خطر القراءة ذات المقاصد السياسية (ابتغاء الفتنة) من خلال الرجوع الى من هو اهل لتلك المعرفة ،اذ لايعرف القران الا من خوطب به وهو باعث دفع الامام (ع) الى ان يكون مفسرا ومؤولا وشارحا ،وان كانت اشارات الا ان اهدافها كانت منوطة بدلالات بعيدة .

. استظهر الامام (ع) حقيقة المتشابه في القران الكريم ،اما بتنزيه الله عز وجل عن العددية او الجسمية ، او المحدودية وغيرها ،او تبيين حقيقة العرش او الكرسي منطلقا في ذلك من القران الكريم (ليس كمثله شيء) .

. تاكيد الامام (ع) منهج تفسير القران بالقران بتعبير (الناطقية) لتلافي كل ما يعترض الذهن من تناقض او مخالفة في النص القراني ، فالقران يفسر بعضه بعضا هذا من جانب والابتعاد عن الاهواء والتاويلات المفترضة من جانب اخر ،وهذا مرتبط عنده (ع) بانتاج الدلالة القرانية .

. لا تقتصر اليات قراءة النص القراني عند الامام(ع) بما ذكرناه ،بل ان هـذه الاليات منوطة بمقاصد ترتبط بالمقام والمتلقي ،كشف عنها الامام في ذلك المسلك التحليلي ، اما غيرها من النصوص القرانية ترتبط بمقاصد الامام وذوقـه في توظيف هذا النص او ذاك.
. لم يكن توظيفه المفردة القرانية اعتباطا بل لها حضورها الفاعل في نصـه بما لها من اضاءات دلالية وجمالية تمنح النص تفاعلا وقيمة ينعكس اثرها على إنـتاج المعنى المكثف.
. تدافع النسق الموسيقي ملحوظ في كلامه (ع)وخاصـة بما في تلك النصوص من توظيف قراني ،استماله (ع)لاحراز المنجز الدلالي الاقوى اثرا والاكثر اثارة في ذهن السامع.

. تفعيل التوظيف الصوتي بما يناسبه من اختيار المفردة او الايـة القرانية ،لا للتاثير على السامع فحسب ،بل يمتد ذلك لاستشعار الجمال بما في هذا الكون من خلق بديع وتصوير متقن وسحر عجيب .

. ماسك الامام (ع)بين التصوير الفني وخطاب الاقناع او التوحيداو الارشاد بلغة لها جمالتها في التاثير قاصدا تحريك الاثر في السامع بذلك الوعظ الممتزج بلغة مؤثرة.
. تصعيد الخطاب بشكل متدرج يصل الى مداه عند تناسب الالفاظ لاسيما اذا كانت من القران اذ يكثف الامام (ع) المعنى عندها ويـبلغ ذروته في استكمال الدلالة المرادة.

. التوافق الاستعمالي بين الحروف وسياقاتها لوحظ في كثير من نصوصـه (ع) مجانسا بين الشكل الاستعمالي والمعنى مثال ذلك مشاهد خلق الكون او احداث القيامة ،لما فيها من فخامة الحدث والهول.

. الاكثار من اجرائية التحويل للمفردة القرانية من شكل الى اخر تبعا لمناسبات الكلام ودلالات الاستعمال فعلمه (ع) بدقائق اللغة املى علـيه هذا التغيير كي يتحقق الانسجام الكامل للنص من حيث دلالاته .
. اعتماد التكثيف في استعمال النص القراني في قصص ادم وموسى وعيسى عليهم السلام ، او في مشاهد الخلق الكوني ،لـما في ذلك من دلالات ترتبط بالاتعاظ

والتوجيه والاذعان والخضوع لعظمة القدرة الالهية .
. حضورالحدث القراني او التجربة القرانية في قصص الانبياء (ع)و لاسيما النبي محمد (ص) لاعادة مابدأه النبي (ص) من معان روحية سامية من جانب واستذكار عظيم ما قدمه النبي (ص)من اجلهم من جانب اخر بعد ان رجعوا على الاعقاب وانكبوا على الدنيا
.. دقة الانقياد والمتابعة في إحتذاء الاسلوب القراني (تراكيب وصور) يشير الى المقدرة اللغوية الكاملة عند الامام (ع) ؛لما فيها من تجل قراني واضح .

. التنوع في استعمال الاسلوب الحاضن للاستعمال القراني من خبر الى انشاء لمقصدية دلالية هدفها التذكرة او تجديد نشاط السامع بما فيها من تنوع وكله مرتبط بالمقام والسامع .
. تغيير البنية التركيبية القرانية بعوارض اسلوبية تطرا على الكلام ، الهدف منها تحقيق دلالة مقصدية ترتبط بالنص لها دواعيها الدافعة الى ذلك الانحراف التركيبي .

. تمثل الاية الصريحة او المحورة منوط بالنص فكثير ما يعمد (ع)الى توظيف الاية المقتبسة (الصريحة) في مواقف تصعيد الدلالة بحيث ياتي مبنى الجملة وتنوعه ملازما لدلالات السياق .
. انفتاح التوسع الاستعمالي اللغوي عند الامام (ع) بما يناسب النص المتحدث عنه لاسيما في توظيف النص القراني لما في ذلك النص من ثراء دلالي ينسجم مع الموضوعات المصورة .
. انعكاس مقام الحال في كثير من النصوص القرانية الموظفة عند الامام (ع) بتباين انواع تلك المناسبات المقامية فالمناسبة عنده تفصح عن معنى الاية المستشهد بها .
. غلبة التوظيف القراني عند الامام (ع) في الخطب اكثر من الرسائل والحكم لما فيها من تنوع في الموضوع يتيح الاستطراد والتناول اكثر مما في غيرها.

. اثارة الدوافع او الشبهات في الخالق او في النبي (ص) او في الاسلام او في مواقف الحق لها دورها في توظيف النص القراني عند الامام (ع) اذ غالبا ماتدفعه تلك المواقف الى بيان حقيقتها معضدا اياها بالاستعمال القراني وهو مايسمى بسياق الحال .

مصادر البحث ومراجعه

القران الكريم

. ابحاث في بلاغة القران الكريم ،محمد الكواز ،الانتشار العربي بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٦

. ابحاث ونصـــوص في فقه اللغة العربية ،د ،رشيد العبيدي ،بغداد ١٩٨٨.

. ابو عمرو بن العلاء وجهوده في القراءة والنحو ،د ،زهير غازي زاهد ،مطبعة جامعة البصرة ،مركز دراسات الخليج ،١٩٨٧

ـالاتقان في علوم القران ،السيوطي ، تحقيق ،محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهـرة ،١٩٧٥ .

. اثر الدلالة النحويه واللغوية في استنباط الاحكام من آيات القرآن التشريعية،عبد القادر عبد الرحمن السعدي،مطبعة الخلود،ط١بغداد،١٩٨٦ .

. اثر القران في الادب العربي ،القرن الاول الهجري ،ابتسام مرهون الصفار ،مطبعة اليرموك ،بغداد ،ط٤ ١٩٧٤ .

ـاثر القران في الشعر العربي ،دراسة في الشعر الاندلسي ،منذ الفتـح وحتى سقوط الخلافة .٩٢ .٤٢٢ ،د محمد شهاب العاني ،دار دجـلة ،الاردن ط ١ ١٤٢٩ /٢٠٠٨ .

. احياء علوم الدين ،الغزالي ،دراسة وتدقيق محمد خير طعمة الحلبي ،دار احياء التراث العربي ،بيروت لبنان ،ط١ ،١٤٢٣ ،٢٠٠٢.

. احياء النحو ،ابراهيم مصطفى ،القاهرة ،مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنـشر ،١٩٥٩

. ادب الشريعة الاسلامي ، دراسة جديدة في بلاغة القران الكريم ونصـوص الاربعة عشر معصوما ، د، محمود البستاني ، مؤسسة السبطين العالميه ،مطبـعة محمد ايران ،ط١ ١٤٢٤.

ـادب الكاتب ،ابن قتيبة ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحمـيد ،ط٤ ،١٣٨٢ ،١٩٦٣ .

ـالادب والدلالة ،تودروف ،مـــركز الانماء الحضاري ،حلب ،١٩٩٦

. الاربعون حديثا،السيد الخميني، النجف الاشرف ،١٤١١ ،١٩٩١ .

. اساس البلاغة ،الزمخشري ،دار احياء التراث العربي ،بيروت لبنان ،ط١ ١٤٢٢ .٢٠٠١

. اساليب بلاغية ، د احمد مطلوب ، وكالة المطبوعات الكويت ،ط١ ١٩٨٠ .

. اساليب الشعرية المعاصـرة ، د ،صلاح فضل ،بيروت دار الاداب ،ط١،١٩٩٥

. اساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ،قيس اسماعيل الالوسي ،بغداد ،بيت الحكمة ١٩٨٢

. استقبال النص عند العرب ،محمد رضا مبارك ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ط١ ١٩٩٦ . اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق السيد محمد رشيد رضا ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،ط١ ،١٤٠٩ ، ١٩٨٨ .

. الاسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة ،عز الدين اسماعيل ،القاهرة دار الفكر العربي ،٢٠٠٠ .
.. اسس علم اللغة ،ماريو باي، ترجمة احمد مختار عمر ، عالم الكتب ،بيروت،ط٨ ١٩٩٨ .
. اسطورة الادب الرفيع ،علي الوردي ،منشورات سعيد بن جبير ،قم المقدسة ،ط١ ،١٤٢٦. ٢٠٠٥ .
. الاسلوب دراسة لغوية احصائية ،سعد مصلوح ، ،دار الفكر ، القاهرة ،ط٢ ١٩٨٤ . اسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث ،البدراوي زهران ،القاهرة دار المعارف ،١٩٨٢ .
. الاسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ،د ،فتح الله احمد سليمان ،الدار الفنية للنشر والتوزيع ، المطبعة الفنية ،د.ط ١٩٩٠.
. الاسلوب والاسلوبية ،غراهام هوف ،ترجمة كاظم سعد الدين ،دار افاق عربية ،بغداد ،١٩٨٥ .
اسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة ،احمد مختار عمر ،عالم الكتب ،ط١،١٩٩٧.
. اشراق من القران الكريم ،محمود الطالقاني ،ترجمة عباس الترجمان ،مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع ،ايران ،ط،١ ١٤٢١ ، ٢٠٠٠ .
. اشكالية التلقي في الشعر العربي الحديث، سهام حسن خضير ،رسالة ماجستير،كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ،١٩٩٨ .
. اشكاليات التلقي والتاويل ،دراسة في الشعر العربي الحديث ،سامح الرواشدة ،جامعة مؤتة ،الاردن عمان ،ط١، ١٤٢٢ ،٢٠٠١ .
. اشكاليات القراءة واليات التاويل ،نصر حامد ابو زيد ،المركز الثقافي العربي ،بيروت دار البيضاء ،ط٤ ١٩٩٦ .
. الاصول ،دراسة ابستمولوجية في الفكر اللغوي عند العرب ،د تمام حسان ،عالم الكتب القاهرة،١٤٢٥ ،٢٠٠٤ .
. اصول علم النفس ،احمد عزت راجح ، دار المعارف ،مصر، ط٩د.ت
. الاصول في النحو ،ابو بكر بن السراج ، تحقيق د عبد الخسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة بيروت ،ط٢، ١٤٠٧ ، ١٩٨٧ .
الاصول المعرفية لنظرية التلقي ،ناظم عودة خضير ،دار الشروق للنشر والتوزيع ،عمان الاردن ط١ ١٩٩٧ .

. الاضداد ،محمد بن القاسم الانباري ،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،المكتبة العصرية ،صيدا بيروت ،١٤١٨ ،١٩٩٨ .

. اطياف الوجه الواحد دراسات نقدية في النظرية والتطبيق ،د نعيم اليافي ،منشورات اتحاد الكتاب العربي ،دمشق حلب ١٩٩٥ .

. الاعجاز البياني للقران ومسائل ابن الازرق دراسة قرانية ولغوية ،د عائشة عبد الرحمن ،دار المعارف ،ط٣ ١٤٠٤ ،١٩٨٤

. الاعجاز الصرفي في القران الكريم ، دراسة نظرية تطبيقية ،التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة ،د،عبد الحميد الهنداوي ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،بيروت ،٢٠٠٢ .

. الاعجاز الفني في القران ،عمر السلامي ،تونس ،د.ط ،١٩٨٠.

. اعجاز القران ،الباقلاني ،تحقيق الاستاذ ،ابو بـكر عبد الرزاق ،مصر ١٩٩٤

. الاعجاز النحوي في القران الكريم ،فتحي عبد الفتاح الدجني ،مكتبة الفلاح ،الكويت ط١ ١٤٠٤ ، ١٩٨٤ .

. الالسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ،د ميشال زكريا ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ط١ ١٤٠٣ ،١٩٨٣ .

. الالسنية العربية ،ريمون طحان ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت لبنان ،ط٢ ١٩٨١

. الالفاظ القرانية في نهج البلاغة ،محمد جعفر الحكيم ،مجلة النجف الاشرف ١٩٧٦ .

. الامالي ،الزجـاجي ،بيروت ،دار الكتـاب العربي ،د.ت

. الامالي ،المفـيد ،النـجف ،١٣٦٤

. الامالي (غرر الفوائد ودرر القلائد) ،الشريف المرتضى ،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،دار الكتاب العربي بيروت لبنان ،ط٢ ١٣٨٧ ، ١٩٦٧

. الامام علي ومدرسة القران ،نعمة هادي الساعدي ،مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر ،بيروت لبنان ط١ ١٤٢٥ ،٢٠٠٤

. الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ،ناصر مكارم شيرازي،بيروت مؤسسة البعثة للطباعة والنشر ،ط١ ١٤١٢

. الانسان في الادب الاسلامي ، تاصيل وتحليل ،محمد عادل الهاشمي ،مكتبة الطالب الجامعي ،مكة المكرمة ،١٤٠٣ ، ١٩٨٤

انفتاح النسق اللساني دراسة في التداخل الاختصاصي ،محيي الدين محسب ،دار فرحة للنشر والتوزيع ،عمان ٢٠٠٣ .

. اوزان الفعل ومعانيها ، د هاشم طه شلاش ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ،١٩٧١ .
. اوضح المسالك الى الفية ابن مالك ، ابن هشام الانصاري،دار الجيل ،ط ٥ بيروت ١٩٧٩ .
. الايضاح في علوم البلاغة ، المعاني والبيان والبديع ،القزويني ، شرح وتعليق وتنقيح ،د محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،ط٥ ،١٤٠٠ ، ١٩٨٠.
. الايقاع انماطه ودلالاته في لغة القران الكريم ، د عبد الواحد زيارة المنصوري ،رسالة ماجستير ،كلية الاداب ،جامعة البصرة ،١٩٩٥.
. بحار الانوار ،محمد باقر المجلسي ، طهران ،د.ت .
. البحث الدلالي في تفسير الميزان ،مشكور كاظم العوادي ،مؤسسة البلاغ ،بيروت لبنان ط١ ١٤٢٤ ،٢٠٠٣ .
. البحث النحوي عند الاصوليين ،مصطفى جمال الدين ،دار الرشيد بغداد ،١٩٨٠
. البحر المحيط ،ابو حيان الاندلسي ،مطنعة النصر الحديثة ، الرياض ،د.ت.
. بحوث لسانية بين نحو اللسان ونحو الفكر ،نعيم علوية ،المؤسسة العربية ، بيروت لبنان ، ط١ ١٤٠٤ .١٩٨٤
. بحوث ومقالات في اللغة ،د رمضان عبد التواب ،الناشر مكتبة الخانجي ،القاهرة ط٢ ١٤٠٨ ،١٩٨٨ .
. البرهان في علوم القران ،الزركشي ،علق عليه مصطفى عبد القادر عطا ،دار السكيت العلمية ،بيروت لبنان ط١ ١٤٠٨ ،١٩٨٨
. البرهان الكاشف عن اعجاز القران ،الزملكاني ،تحقيق ،د احمد مطلوب ، و،د خديجة الحديثي ، بغداد ، ١٩٧٤ .
. البلاغة فنونها وافنانها ، د فضل حسن عبدالله ،دار الفرقان ،عمان ١٩٨٧ .
. بلاغة الكلمة في التعبير القراني ،فاضل السامرائي ، دار الشؤون الثقافية بغداد ،٢٠٠٠
. البلاغة والاسلوبية ،د محمد عبد المطلب ،الهياة العامة ،مصر ،١٩٨٤ .
. البلاغة والتطبيق ، د ،احمد مطلوب ، ود كامل حسن البصير ،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،ط١ ١٤٠٢ . ١٩٨٢ .
. البنيات الاسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، دمصطفى السعدني ،منشاة المعارف الاسكندرية ، ١٩٨٢ .
. بنية اللغة الشعرية ،جان كوهين ،ترجمة محمد الولي ،ومحمد العمري ،منشورات دار توبقال ،المغرب ١٩٨٦ .

. البيان في روائع القران ،تمام حسـان ،عالم الكتب القاهرة ،ط٢ ١٤٢٠ ،٢٠٠٠ .
. البيان والتبيين ،الجاحظ ،تحقيق ،عبد السلام هارون ،دار الجـيل بيروت.
. تاريخ الطبري ،تاريخ الامم والملوك ،ابن جرير الطبري ،راجعه وقدم له نواف الجراح ،دار ومكتبة الهلال ،ط١ ١٤٢٤ ،٢٠٠٣.
. التبيان في تفسير القران ، الطوسي ، تحقيق ،احمد حبيب قصير العاملي ،قم مكتب الاعلام الاسلامي ،ط١ ١٤٠٩
. تجلي القران في نهج البلاغة ،محمد تقي مصباح اليزدي ، ترجمة ماجد الخاقاني،قم ،ط٢ ١٤٢٨ د.ت
. تذكرة خواص الامة بذكر خصائص الائمة ،سبط بن الجوزي ،تحقيق محمد صادق بحر العلوم ،١٩٨٠ .
. التركيب اللغوي في الشعر العراقي المعاصر ،د مالك المطلبي ،وزارة الثقافة والاعلام ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،ط٢ ١٩٨٦ .
. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ،ابن مالك ،تحقيق محمد كامل بركات ، مصـر ١٩٦٨
. تصنيف نهـج البلاغة ،لبيب بيضون ،مكتبة الاعلام الاسلامي ،ط٢ ١٤٠٨ .
. التصوير الفني في القران ،سيـد قطب ،دار المعارف ،مصر ،١٩٦٣
. التطبيق الصرفي ،د عبدة الراجحي ،دار المعـرفة الجامعية القاهرة ،ط٢ ٢٠٠٠ .
. تطور تفسير القران قراءة جديدة ،د محسن عبد الحميد ،دار الكتب للطباعة والنشر ،بغداد ،١٤٠٨ .
.التطور النحوي للغة العربية،برجشتراسر،اخرجه وصححه وعلق عليه ،د رمضان عبد التواب ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط٤ ١٤٢٣ ،٢٠٠٣ .
. التعبير القراني ،فاضل السامرائي ،بيت الحـكمة ،بغداد ،١٩٨٦ ،١٩٨٧ .
. تعدد القراءات ،محمد تقي مصباح اليزدي ،ترجمة ماجد الخاقاني ،قم ، ط٢ ١٤٢٨
. التعريفات ،الشريف الجرجاني ، . حققه وقدم له ووضع فهارسه ، د ابراهيم الابياري ،دار الكتاب العربي بيروت ،ط١ ١٤٢٣ ،٢٠٠٢ .
. التلقي والتاويل مدخل نظري ، د ، محمد مفتاح ، المركز الثتقافي العربي ،ط١ ١٩٩٤ .
. تفسير ابي السعود وارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ،ابو السعود العمادي الحنفي ،وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن ، منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٤١٩، ١٩٩٩.

. التفسير الاسلامي للتاريخ ، د عماد الدين خليل ،منشورات مكتبة ،٣٠ تموز مطبعة الشعب ،الموصل ،ط٤ ،١٩٨٦ .
. تفسير القران بالقران ،احمد رسن ،اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ،جامعة البصرة ،٢٠٠٥. .
تفسير القران الكريم ،صدر المتالهين ،الشـــيرازي ، تحقبق ،محمد جعفر شمس الدين ،دار النعمان للمطبوعات ،لبنان ،١٤١٩ ، ١٩٩٩ .
. تفسير القران الكريم ،عبدالله شبر ،مؤسســة دار الهجرة ،ايران ،ط٢ ١٤١٧.
. تفسير القرطبي ،ابو عبدالله القرطبي ،تحقيق سالم مصطفى البدري ،منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ط١ ١٤٢٠ ،٢٠٠٠ .
. تفسير الكاشف ،مخمد خواد مغنية ، بيروت، دار العلم للمــلايين ،ط٣ ١٩٨١
. تفسير من هدى القران ،محمد تقي المدرسي ، دار الهـــدى ،ط١ ١٤٠٦
. تفسير من وحي القران ،محمد حسين فضل الله ،بيروت دار الزهراء للطباعة والنشر ،ط٣ ،د.ت.
. التفسير النفسي للادب ،د عز الدين اسماعيل ،دار العودة بيروت لبـنان ،ط٤ ١٩٨١
. التفسير والمفسرون ،د محمد حسين الذهبي ،دار الكتب الحديثة ،ط٢ ١٣٩٦ ،١٩٧٦
. التفسير والمفسرون في العصر الحديث ،عبد القادر محمد صالح ،دار المعرفة بيروت لبنان ،ط١ ١٤٢٤ ،٢٠٠٣ .
. التفكير اللساني في الحضارة العربية ،د عبد السلام المسدي ،الدار العربية للكتاب ،تونس ،١٩٨١
. التقابل الجمالي في النص القراني ،دراسة جمالية فكرية واسلوبية ،حسين جمعة ،منـشورات دارالنمير للطباعة والنشر ،دمشق ،ط١ ٢٠٠٥
. التقديم والتاخير في القران الكريم ،حميد احمد عيسى العامري ، دار الشؤؤن الثقافية العامة ،بغداد ،١٩٩٦ .
. التكرير بين المثير والتاثير ، عز الدين علي السيد ، عالم الكتب ،ط٢ ،١٤٠٧ .١٩٨٦ .
. التكملة ،ابو علي الفارسي ،تحقيق ودراسة ،د كاظم بحر المرجان ،الجمهورية العراقية ،١٤٠١ ، ١٩٨١ .
. تمهيد في النقد الخديث ،روز غريب ، دار المكشوف ،بيروت لبـنان ،ط١ ١٩٧١ .
. تهذيب اللغة ،الازهري ،علق عليه ،عمر السلامي ،وعبد الكريم حامد ،دار احياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان ،ط١ ،١٤٢١ ،٢٠٠١ .

. جدلية الخفاء والتجلي ،كمال ابو ديب ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ط١ ١٩٧٩.
. جرس الالفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ،ماهر مهدي هلال ،دار الرشيد للنشر ،دار الحرية للطباعة ، الدار الوطنية للتوزيع والاعلان ، بغداد ، ١٩٨٠ .
. الجرس والايقاع في التعبير القراني ، د كاصد ياسر الزيدي ،مجلة اداب الرافدين ،العدد (٩) ١٩٧٨
. جماليات الاسلوب ،الصورة الفنية في الادب العربي ،فايز الداية ،دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ،١٩٩٦ .
. جماليات المفردة القرانية في كتب الاعجاز والتفسير ،احمد ياسوف ،دار المكتبي للطباعة ، دمشق ،سورية ط١ ١٤١٥ .، ١٩٩٤
. جمالية الالفة ،(النص ومتقبله في التراث النقدي)،شكري المبخوت ،المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون ،بيت الحكمة تونس ،ط١ ١٩٩٣ .
. الجملة العربية والمعنى ،فاضل السامرائي ،دار ابن حزم بيروت لبنان ،ط١ ١٤٢١ .
. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ،احمد الهاشمي ،منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،١٤٢٢ ،٢٠٠١ .
. حركة التاريخ عند الامام علي (ع) دراسة في نهج البلاغة ،محمد مهدي شمس الدين ،المؤسسة الدولية بيروت ،ط٤ ١٤١٨ ، ١٩٩٧ .
الحكمة النظريةوالعملية في نهج البلاغة،جوادي املي، منشورات ذوي القربى قم ،ط١ ١٣٨٤
. الحيوان ،الجاحظ ، تحقيق وشرح ،عبد السلام هارون ،دار احياء التراث العربي ،بيروت لبنان ،١٩٥٠ .
. الخصائص ،ابن جني ،تحقيق ،محمد علي النجار ،دار الهدى للطباعة والنشر ،بيروت لبنان ،ط٢ ،د.ت.
. الخطاب الاصولي مقدمة تاسيسية لاستكشاف البنية ،عبد الرحمن علي مشنتل ،مكتبة الاداب القاهرة ،ط١ ٢٠٠٦ .
. الخطاب والتاويل ،د ،نصر حامد ابو زيد ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب ،ط٢ ٢٠٠٥ .
. الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية قراءة نقدية في نموذج انساني معاصر ،محمد عبدالله الغذامي ،النادي الادبي الثقافي ،جدة ،المملكة العربية السعودية ،١٩٨٥ .
. الخلاصة النحوية ،تمام حسان القاهرة ،عالم الكتب ط٢ ١٤٢٣ .

. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، د غانم قدوري الحمد ، مطبعة الخلود بغداد ،ط١ ١٤٠٦، ١٩٨٦

. دراسات في فقه اللغة ،صبحي الصالح ،دار العـلم للملايين بيروت ،ط٦ ١٩٧٦

. دراسات في القران الكريم ، السيد احمـــد خليل ، بيروت ،١٩٧٤

. دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها ،د صاحب ابو جناح ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،عمان الاردن ،١٤١٩ ، ١٩٩٨ .

. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ،د حسام النعيمي ،منشورات وزارة الثقافة والاعلام ،دار الرشيد للنشر ،١٩٨٠ .

. دراسة الصوت اللغوي ،احمد مختار عمر ، اسهمت جامعة الكويت في طبعه ، ط١ ١٣٩٦ ، ١٩٧٦ .

. دراسة المعنى عند الاصوليين ،د طاهر سليمان حمودة ،الدار الجامعية للطبـاعة والنشر الاسكندرية ،١٤٠٣ ، ١٩٨٣ .

. درجة الصفر في الكتابة ، رولان بارت ، بـــيروت ،دار الطليعة ،ط١ ١٩٨٠

. دروس التصريف في المقدمات وتصريف الافعال ،محمد محيي الدين عند الحميد ،دار الطلائع ، القاهرة ،٢٠٠٥ .

. الدلالة الزمنية في الجملة العربية ،د، علي المنصوري ، بغداد ، مطبعة الجامعة ، ١٩٨٤ .

. الدلالة اللغوية عند العرب ،د ،عبد الكريم مجاهد ،دار الضيـــاء عمان ،١٩٨٥

. دلالة الالفاظ ،ابراهيم انيس ، مكتبة الانجلو مصرية ١٩٥٨ .

. الدلالة القرانية عند الشريف المرتضى ،حامد كاظم عباس ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،ط١ ٢٠٠٤ .

. دلالة السيا ق ، ردة اللة بن ردة بن ضيف الله الطلحي ، جامعة ام القرى السعودية ، ط١ ١٤٢٣

. دور الكلمة في اللغة ،استيفن اولمان ،ترجمة ،د كمال بشر ،دار غريب القاهرة ، ط١٢ ١٩٩٧ .

. رؤى الحياة في نهج البلاغة ،حسن الصفار ، بيروت ط٤ ١٩٩٧ .

. رماد الشعر ، عبد الكريم راضي جعفر ، بغداد دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٨

. روائع نهج البلاغة ،جورج جرداق ،دائرة معارف الفقه الاسلامي ،قم ، ايران ،ط٣ ١٤٢٦ ، ٢٠٠٥.

. روح المعاني ، الالوسي،تحقيق محمداحمد الامد ،عمر عبد السلام السلامي ،دار احياء التراث العربي،بيروت لبنان،١٤٢١ ، ٢٠٠٠

. سر صناعة الاعراب ،ابن جني ، تحقيق ،محمد حسن اسماعيل ،احمد رشدي ، شحاتة عامر ، منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط١ ١٤٢١ ، ٢٠٠٠ .

. سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة ١٩٦٩

. سنة التعميم في القران الكريم ، محمد مهدي الاصفي ، المشرق للثقافة والنشر ،طهران ، ١٤٢٤ ، ٢٠٠٣

.. سنن الترمذي ،الترمذي السلمي ،تحقيق احمد محمد شاكر واخرون ،دار احياء التراالعربي ،بيروت .

. سيكولوجية التذوق الفني ،مصري عبد الحميد حنورة ،منشورات جماعة علم النفس التكاملي ،دار المعارف القاهرة ،١٩٨٥ .

. شذا العرف في فن الصرف ، احمد الحملاوي ، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ، ١٤٢٠ ، ٢٠٠٠ .

. شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ، ابن عقيل الهمداني تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة الهداية ، دار الطلائع ، العراق .

. شرح الحدود النحوية ، الفاكهي ، دراسة وتحقيق ،زكي فهمي الالوسي ،دار الكتب للطباعة والنشر ،الموصل ،١٩٨٨

. شرح الرضي على الكافية ، الرضي الاستراباذي ، تصحيح وتعليق ،يوسف حسن عمر ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ، ايران ، ط٢ ١٣٨٤ .

. شرح شافية ابن الحاجب ، رضي الدين الاستراباذي ، تحقيق محمد نور الدين الحسن ،محمد الزفزاف ،محمد محيي الدين عبد الحميد ،منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ، د.ت

. شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء التراث العربي ،ط١ ١٤٢٦ .

.. شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني ،منشورات مؤسسة النصر ، المطبعة الحيدرية طهران ،١٣٧٨ .

. الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، ابن فارس ، علق عليه احمد حسن بسبح ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط١ ١٤١٨ ، ١٩٩٧ .

. الصافي في تفسير كلام الله ،الفيض الكاشاني ،مشهد دار المرتضى ،للنشر ،ط١ د.ت.

. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،الجوهري ،تحقيق ،احمد عبد الغفور عطار ،دار العلم بيروت لبنان ،د.ت.

. صوت الامام علي في نهج البلاغة ، حسنى القبانجي ، مؤسسة التراث الشيعي ، النجف الاشرف ، ط١ ١٤٢٦

. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د جابر احمد عصفور ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

. الصورة الفنية في المثل القراني ، د محمد حسين الصغير ، الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١ .

. الصورة الفنية في نهج البلاغة ، د خالد محيي الدين البرادعي ، مجلة المنهاج ، العدد (٥) السنة الثانية ، ١٩٩٧ .

. ضبط نص نهج البلاغة ،صبحي الصالح ،بـــيروت ،ط١ ١٩٦٧ .

. الطبيعة في القران الكريم ، د كاصد ياسر الزيدي ، دار الرشيد للنشر ،بغداد ،١٩٨١

. الطراز المتضمن لاسرار البلاغة ، العلوي ،مراجعة محمد عبد السلام شاهين ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط١ ١٤١٥ ، ١٩٩٥ .

. ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية ، محمود سليمان ياقوت ،دار المعارف الجامعية ،الاسكندرية ، ١٩٨٥ .

. الظاهرة الجمالية في القران الكريم ، د نذير حمدان ، دار المنامة السعودية ، ط١ ،١٤١٢ ١٩٩١ .

. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٢

. الظاهرة القرانية ، مالك بن نبي ، دار الـــفكر دمشق ، ١٤٢٧ ، ٢٠٠٦ .

. ظلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث ، علي زوين ، مجلة افاق عربية ، ١٩٩٠ .

. عبقرية الامام علي ، عباس محمود العقاد ، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ٢٠٠١ .
. عبقرية اللغة العربية ، د عمر فروخ ،دار الكتـــاب العربي ،بيروت ،١٩٨١
. العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد ، هنري فليش ،ترجمة عبد الصبور شاهين ،القاهرة،ط١ ١٩٦٦.
. العربية وعلم اللغة الحديث ، محمد محمد داوود ،دار غريب للطباعة والنشر والتـوزيع ،القاهرة ،٢٠٠١
. العربية والغموض، دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى ،د حلمي خليل ،دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ط١ ١٩٨٨
. العقد الفريد ، ابن عبد ربه الاندلسي ،تحقيق ،د محمد التونجي ،دار صـادر بيروت ، ط٢ ١٤٢٧ . ٢٠٠٦ .
. علم اجتماع الادب ،عاطف احمد فؤاد ،دار المعرفة الجامعية ، الاسكـندرية ،١٩٦٦.
. علم الجمال وقراءات النص الفني ، د عفيف البهنسي ،دار الشرق للنشر ،مطبعة العجلوني دمشق ،ط١ ٢٠٠٤ .
. علم الدلالة ، احمد مختار عمر ،مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ،ط١ ١٤٠٢ ،١٩٨٢
. علم الدلالة ، بالمر ، ترجمة مجيد الماشطة ،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،الجامـعة المستنصرية ، ،١٩٨ .
. علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ،د ،هادي نهر ،دار الامل للنشر والتوزيـع ،الاردن ،اربد ،ط١ ، ١٤٢٤،٢٠٠٧ .
. علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات ،يحيى عبابنة وامنة الزعبي ،دار الكتاب الثقافي ،الاردن اربد ،١٤٢٦ . ٢٠٠٥
. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د محمود السعران ،دار الفكر العربي القاهرة ،ط٢ ١٩٩٧..
علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، صبحي ابراهيم الفقي ،القاهرة ،دار قبـاء ٢٠٠٠
. علم المعاني ، عبد العزيز عتيق ، دار الافاق العربية ، القاهرة ،ط١ ،١٤٢٧،٢٠٠٦
. علوم نهج البلاغة ، محسن باقر الموسوي ، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ط١ ١٤٢٣ ، ٢٠٠٢ .
. علي بن ابي طالب سلطة الحق ، عزيز السيد جاسم ،مكتبة الانتشار العربي ،بيروت ١٩٩٧ .

. العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت ،١٩٧٢ .
. عوامل التطور اللغوي ،دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية ،احمد عبد الرحمن حماد ،دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،ط١ ١٤٠٣ . ١٩٨٣ .
. العين ، الخليل بن احمد ، تحقيق ، د مهدي المخزومي ،ود ابراهيم السامرائي ، مؤسسة الميلاد ، قم ط١ ١٤١٤ .
. الفاصلة في القران ، الحسناوي ، محمد الحسناوي ،المكتب الاسلامي بيروت ،دار عمار ،عمان ،ط٢ ١٤٠٦ ،١٩٨٦
. فتح القدير ،الشوكاني ،ضبطه وصححه ،احمد عبد السلام ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،١٤١٥ ، ١٩٩٤
. فصول في فقه العربية ، د رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي القاهرة ،ط٦ ١٤٢٠ ، ١٩٩٩
. فعالية القراءة واشكالية تحديد المعنى في النص القراني ،محمد بن احمد جهلان ،دار صفحات للدراسات والنشر ،دمشق ،٢٠٠٨
. الفعل زمانه وابنيته ، د ابراهيم السامرائي ، مطبعة العاني ،بغداد ، ١٣٨٦ ،١٩٦٦
. الفعل والزمن ،د عصام نور الدين ،المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر ،بيروت ،١٤٠٤ ١٩٨٤.
. فقه اللغة ،د حاتم الضامن ،مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر ،الموصل ،١٩٩٠ .
. فقه اللغة وسر العربية ،الثعالبي ،تحقيق مجدي فتحي السيد ،المكتبة التوفيقية القاهرة
. فلسفة التاويل دراسة في تاويل القران عند محيي الدين ابن عربي ،د نصر حامد ابو زيد ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،ط٥ ،٢٠٠٣ .
. الفكر العربي والالسنية ،عبد السلام المسدي ،بحث منشور ضمن كتاب اللسانيات واللغة العربية ،تونس ١٩٧٨ .
. في رحاب نهج البلاغة ، مرتضى مطهري ..،ترجمة هادي اليوسفي ،دار التبليـغ. الاسلامي،١٩٧٨
. في سيمياء الشعر القديم ، محمد مفتاح ،دار الثقافة ، الدار البيضاء ،١٩٨٢ .
. في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد ،محمد جواد مغنية ، مؤسسة الكتاب الاسلامي ،ط٢ ١٤٢٦ ،٢٠٠٥.

. في علم الصـــرف ،د امين علي السيد ، دار المعارف ،مصر ،ط٣ ،١٩٨٥
. في قراءة النص ، قاسم المومني ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،وزارة الثقافة عمان الاردن ،ط١ ١٩٩٩ .
. في اللهجات العربية ،د ابراهيم انيس ،مكتبة الانجلو مصرية ،القـاهرة ،٢٠٠٣ .
. في معرفة النص ،د يمنى العيد ،دار الافاق الجديدة ،بيروت لبنان ط٣ ١٩٨٥ .
. في النحو العربي نقد وتوجيه ،د مهدي المخزومي ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،ط٢ ٢٠٠٥ .
. الفهرست ، ابن النديم ،دار المعرفة ،بيروت ،١٩٧٨
. القاموس المحيط ، الفيروز ابادي ،اعداد وتقديم ،محمد عبد الرحمن المرعشلي ،دار احياء التراث العربي بيروت لبنان ،ط٢ ،١٤٢٤ ،٢٠٠٣
. قراءة معاصرة في اعجاز القران ،د، ابراهيم محمود خليل ،دار الحوار للنشر والتوزيع ،سورية ،ط١ ٢٠٠٢ .
. القران في الاسلام ، محمد حسين الطبطبائي ، مؤسسة الثقلين ،دمشق ،ط٢ ١٤٢٨ ، ٢٠٠٧
. القران في مدرسة اهل البيت ،هاشم الموسوي ،مركز الغدير للدراسات الاسلامية ،ط١ ١٤٢٠ .٢٠٠٠ .
. القران وعلم القراءة ، جاك بيرك ،ترجمة ،د منذر عياشي ،بيروت دار التنوير ١٩٩٦
. القران وعلم النفس ، د ،محمد عثمان نجاتي ،دار الشروق القاهرة ،١٩٨٩
. القران ونهج الحضارة ،عبد الشهيد الستراوي ،دار العلوم بيروت لبنان ،ط٢ ١٤٢٤ ،٢٠٠٤ .
. قضايا اسلامية ،مجلة فكرية اسلامية ، اصدار مؤسسة الرسول الاعظم ،ايران ،العـدد(٧) ١٤٢٠ . ١٩٩٩ .
. قضايا الشعر المعاصر ،نازك الملائكة مكتبة النهضة بغداد ، ١٩٦٥ .
. قضايا لغوية قرانية ،دراسات نظرية وتطبيقية في المنهج الاصولي لتحليل النص القراني ، د عبد الامير كاظم زاهد ،مطبعة انوار دجلة ، بغداد ،ط١ ١٤٢٤ ، ٢٠٠٣ .
. قناديل العارفين ، مراسلات اخلاقية بين السيد محمد صادق الصدر والشيخ محمد اليعقوبي ،اعداد عبد العظيم الاسدي ،النجف الاشرف ط١ ١٤٢٦ .

. الكتاب ،سيبويه ،تحقيق ،عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط٣ ١٤٠٨ ،١٩٨٨ .
. الكشاف في تفسير القران ، الزمخشري ، دار التاب العربي ، بيروت لبنان ،د.ت.
. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، مكي القيسي ،تحقيق ،د محيي الدين رمضان ،مؤسسة الرسالة بيروت ،ط٣ ١٩٨٤ .
. الكلمة دراسة لغوية معجمية ،د حلمي خليل ،دار المعرفة الجامعية ،القاهرة ،ط٢ ١٩٩٢
. الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، ابو البقاء الكفوي ، قابله واعده للطبع ووضع حواشيه ،د عدنان درويش ،ود محمد المصري ،مؤسسة الرسالة ،ط٢ ١٤١٩ ،١٩٨٨
. لسان العرب ، ابن منظور ،دار صادر بيروت ، ط١ ٢٠٠٧
. اللسانيات من خلال النصوص ، عبد السلام المسدي ، الدار التونسية للنشر ،١٩٨٤
. لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٢ ٢٠٠٦ .
. اللسانيات وافاق الدرس اللغوي ،د احمد محمد قدور ،دار الفكر ،دمشق ،ط١ ١٤٢٢ ،٢٠٠١
. اللسانيات والدلالة (الكلمة)، د منذر عياشي ، مركز الانماء الحضاري ، ط٢ ٢٠٠٧ .
. اللغة والتاويل مقاربات في الهيرمونيطيقيا الغربية والتاويل العربي الاسلامي ، عمارة ناصر ، دار الفارابي ، منشورات الاختلاف ، ط١ ٢٠٠٧ .
. اللغة الشاعرة ، ، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية ، عباس محمود العقاد ،المكتبة العصرية بيروت ،د.ت .
. اللغة الشعرية دراسة في شعر حميد سعيد ، محمد كنوني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ١٩٩٧ .
. اللغة العربية في اطارها الاجتماعي ، مصطفى لطفي ، معهد الانماء العربي ، بيروت ،ط١ ١٩٧٦ .
. اللغة العربية معناها ومبناها ، د تمام حسان ، عالم الكتب ،القاهرة ،ط٤ ١٤٢٥ ، ٢٠٠٤ .
اللغة ، فندريس ، تعريب محمد الدواخلي ومحمد القصاص ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٠ .
. لغة القران الكريم ، د، عبد الجليل ابراهيم ، مكتبة الرسالة الحديثة ،الاردن عمان ،د.ت

. لغة القران الكريم في جزء عم ،د ، محمود احمد نحلة ، دار النهضة العربية بيروت ،١٩٨١
.اللغة وسيكولوجية الخطاب ،د سمير شريف ستيتيه ،وزارة الثقافة ، عمان ،ط١، ٢٠٠٧ .
. اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ترجمة عباس صادق الوهاب مراجعة يوئيل يوسف عزيز ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ .
. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ،فاضل السامرائي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،١٩٩٨
. اللمع في العربية ،ابن جني ، تحقيق ،حامد المؤمن ، مطبعة العاني ،بغداد ،ط١ ١٩٨٢ .
. مالايقوله النص (الكتابة بالحذف) جبار النجدي ، مجلة الموقف الثقافي ، العدد (٤٠) ٢٠٠٠
. مباحث في اللسانيات ، احمد حساني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٩٩
. المباحث اللغوية في العراق ، محاضرات القاها ، د ،مصطفى جواد ،على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية، مطبعة لجنة البيان العربي ،١٩٥٥ .
. مبادئ النقد الادبي ، ريتشاردز ، ترجمة مصطفى البدري ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر
. المتخيل الشعري ، محمد صابر عبيد ، العراق ، الاتحاد العام للادباء ، ط١ ٢٠٠٠
. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، ابن الاثير .منشورات محمد علي بيضون ،دارالكتب العلمية بيروت ،لبنان ،ط١ ١٤١٩ ، ١٩٩٨ .
. المجال الدلالي بين كتب الالفاظ والنظرية الدلالية الحديثة ، علي زوين ، مجلة افاق عربية ، العدد (١) ١٩٩٢
. مجمع البحرين ، الطريحي ، تحقيق سيد احمد حسيني ، مطبعة دفتر نشر اسلامي ،١٣٧٨
. مجمع البيان في تفسير القران ، الطبرسي ، بيروت دار احياء التراث العربي،١٣٧٩ .
. المحصول في علم اصول الفقه ، فخر الدين الرازي ، دراسة وتخقيق ،طه جابر فياض العلواني،مؤسسة الرسالة بيروت ، لبنان ،ط٣ ١٩٩٧
. مختار الصحاح ، ابو بكر الرازي ، دار الرسالة ، الكويت ، ١٤٠٣ . ١٩٨٣ .
. المدارس النحوية ، د خديجه الحديثي ،بغداد ،١٩٨١
.. المدخل الى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية ،د عبد المجيد عابدين ، القاهرة ، ١٩٥١.
. المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث ، د رمضان عبد التواب ،مكتبة الخانجي القاهرة ،ط٣ ١٤١٧

. المدخل الى علوم نهج البلاغة ،محسن باقر الموسوي ،دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ط١ ١٤٢٣ . ٢٠٠٣.
. المدرسة القرآنية ،محمد باقر الصدر،النجف ١٤٢٤.
. مراح الارواح في الصرف ،ابن مسعود ، تحقيق محمد الطهراني ، دار الصادقين ايران ، ط١ ١٣٧٩
. المزهر في علوم اللغة وانواعها ، السيوطي ،شرح محمد احمد جاد المولى ، علي محمد البجاري ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الجيل بيروت ، د.ت.
. مسائل في فلسفة الفن المعاصر ، جان ماري جويو، ترجمة سامي الدروبي ، دار اليقظة العربية للتاليف والترجمة والنشر ، دمشق ، ط٢ ١٩٦٥ .
. المشاكلة والاختلاف قراءة نقدية في الشبيه المختلف ،عبدالله الغذامي ،المركز الثقافي العربي ، بيروت ١٩٩٤ .
. مشاهد القيامة في القران ، سيد قطب ،دار الشـــروق ، القاهرة ، د.ت.
. مع الامام علي في منهجيته ونهجه ، محمد تقي الحكيم ،المؤسسة الدولية للدراسات والنشر بيروت ،ط١ ١٤٢٣ ، ٢٠٠٢.
. مع نهج البلاغة دراسة ومعجم ، د ابراهيـم السامرائي ، عمان دار الفكر ،١٩٨٧ .
. المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث ، محمد احمد ابو الفرج ،دار النهـضة العربية ،القاهرة ، ١٩٦٦.
. معارف القران ، محمد تقي مصباح اليزدي ، تعريب محمد عبد المنعم الخاقاني ، الدار الاسلامية بيروت ، لبنان ط٢ ١٤٠٨ . ١٩٨٨
. معاني الابنية في العربية ، د فاضل السامرائي ، جامعة الكويت ،الكويت ، ط١، ١٤٠١ ،
. المعاني في ضوء اساليب القران ، عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف مصر، ط٣ ١٩٧٨
. معاني القران ، الفراء .،تحقيـق ،احمد يوسف نجاتي ،واخرين ،القاهرة ١٩٥٥ . ١٩٨٠ .
. معاني القران ،الفراء ،تحقيق د عبد الفتاخ اسماعيل شلبي ،والاستاذ علي نجدي ناصـف ،دار السرور ،د.ت.
. معاني القران واعرابه ، الزجاج ، شرح وتحقيق ، عبد الجليل عبده شلبي ، خرج احاديثه الاستاذ علي جمال الدين محمد ،دار الحديث القاهرة ،١٤٢٤ ، ٢٠٠٤.
. معاني النحو ، د فاضل السامرائي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان ط١ ٢٠٠٧

. معايير تحليل الاسلوب ، ميكائيل ريفاتير ، ترجمة حميد الحمداني ، منشورات دراسات سال ،البيضاء ، دار النجاح الجديدة ، ط١ ١٩٩٣

. معجم الفروق اللغوية ،ابو هلال العسكري تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي،قم ط٢ ١٤٢١

. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، احمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٣ ، ١٩٨٣

. المعجم المفهرس لالفاظ القران ، محمد فؤاد عبد الباقي ، منشورات ذوي القربى ، ايران ، ط٣ ١٣٨٤

. المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة ،محمد دشتي ،سيد كاظم محمدي ،مؤسسة انتشارات مشهور ،قم ،١٣٨٠ .

. معجم النقد العربي القديم ،د احمد مطلوب دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ١٩٨٩ .

. المعجم الوسيط ،د ابراهيم انيس ،عبد الحليم منتصر ،عطية الصوالحي محمد خلف الله الاحمر ،القاهرة، ط٢ ١٣٩٢ ، ١٩٧٢

. المعنى الادبي من الظاهراتية الى التفكيكية ، وليم راي ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز ،دار المامون للترجمة والنشر ، ١٩٨٧ .

. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، ابن هشام الانصاري ،تحقيق ،د مازن المبارك ، ود محمد علي حمد الله ،دار الفكر بيروت ،ط٥ ١٩٧٩ .

. مفاهيم القران ،محمد جعفر سبحاني ، مطبعة اعـــتماد قم ،١٤٢٥

..مفتاح العلوم ، السكاكي .تحقـــيق ،د اكرم عثمان يوسف ،بغداد ،١٤٠٠ .

. مفردات الفاظ القران ، الراغب الاصفهاني ، تحقيق ،صفوان عدنان داوودي ،منشورات طليعة النور ، قم ،ط٢ ، ١٤٠٨ .

.. المفصـــل ، الزمخشري ، دار الجيـــل بيروت ،ط٢

. مفهوم النص دراسة في علوم القران ، نصر حامد ابو زيد ، بيروت المركز الثقافي ،ط٤ ١٩٩٨ .

. مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ،دار الفكر ،. ١٣٧٩، ١٣٩٩.

. المقتضب ، المبرد ، تحقيق ، محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتـب بيروت ، د.ت

. المقدمة ،ابن خلدون ، تحقيق ، خليل شحادة ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنـــان ،١٤٢٤،٢٠٠٤.

. من اسرار اللغة ،د ابراهيم انيس ، مكتـــبة الانجلو مصرية ، ط٨ ٢٠٠٣ .

. من بلاغة الامام علي في نهج البلاغة ، دراسة وشرح لاهم الصور البلاغية ، عادل حسن الاسدي ، ط١ ٢٠٠٦ .

. من بلاغة القران ،احمد بدوي ،مكـــتبة نهضة مصر ، القاهرة ،ط٣ ١٩٥٠

. مناهج البحث في اللغة ،د تمام حسان ، دار الثقافة مصـــــر ،١٤٠٠ ، ١٩٧٩ .

. منة المنان في الدفاع عن القران ، محمد محمد صادق الصدر ، منشورات ذوي القربى ، قم ، ط١ ١٤٢٦ .

. من سمات الاداء في ثقافة العرب الاولين ، بلقاسم بلعـــرج بن حمد ، (نت)

. من صور الاعجاز الصوتي في القران الكريم ،محمد سليمان العبد ، المجلة العربية للعـلوم الانسانية ،العدد (٣٦) لسنة ١٩٨٩

. من قضايا اللغة ،د ،مصطفى النحاس ، مطبعة جامعة الكويت ،ط١ ، ١٤١٥ ،١٩٩٥. . من وحي القران وثلاثية الظهور والرواية والعقل ،مقابلة مع السيد محمد حسين فضل الله ،مجلة قضايا اسلامية ،العدد السابع ،١٤٢٠ .

. منهاج البراعة في شرح البلاغة ، حبيب الله الهاشمي الخوئي ،المكتبة الاسلامية طهران ،ط٤ ١٤٠٥

. منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ،علي زوين ،دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ،ط١ ١٩٨٦

.. المنهج الترابطي ونظرية التاويل دراسة في التفسير الكاشف ،جواد علي كسار ،مجلة قضايا اسلامية ،العدد السابع ،١٤٢٠ .

. منهج الخليل في دراسة الدلالة القرانية في كتاب العين ،د احمد نصيف الجنابي ،المعجـمية العربية ابحاث الندوة التي عقدها المجمع العلمي العراقي ،١٩٩٢،١٤١٢ .

. المنهج الصوتي للبنية العربية ، رؤية جديدة في الصرف العربي ، د عبد الصـبور شاهين ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤٠٠، ١٩٨٠ . ،

. منهجية القران المعرفية ، محمد ابو القاسم حاج حمد ،دار الهادي للطباعة والنـشر ، ط١ ١٤٢٤ ، ٢٠٠٣ .

. المهذب في علم التصريف ،د هاشم طه شلاش ،ود صلاح الفرطوسي ،ود عبد الجليل العاني ،مطبعة التعليم العالي ،الموصل ١٩٨٩.

.. الموجز في تاريخ البلاغة ، د ،مازن المبارك ،دار الفكر المعاصر بيروت ،ودار الفكر دمشق، ط٣ ١٩٦٥ .

. موسيقى الشعر ، د ابراهيم انيس ،مكتبة الانجلو مصرية ، القـاهرة ، ط٣ ١٩٦٥
. الموسيقى الكبير ، الفارابي ، تحقيق ،غطاس عبد الملك خشبة ،دار الكتاب العربي ،القاهرة ، ١٩٦٣
. الموسيقى والغناء عند العرب من الجاهلية الى القرن العشرين ، خازن عبود ، دار الحرف العربي ،بيروت لبنان ، ط١ ٢٠٠٤ .
. مواهب الرحمن في تفسير القران ،السبزواري ،النجف الاشرف ،مطبعة الاداب ،١٤٠٤ . .
الميزان في تفسير القران ، السيد الطبطبائي ،طهران دار الكتب الاسلامية ،ط٣ ١٣٩٧.
. نحن والتراث قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي ،د، محمد عابد الجابري ، دار الطـليعة للطباعة والنشر ، بيروت ،ط١ ١٩٨٠ .
. نحو نظرية اسلوبية لسانية ، فيلي ساندیمروس ، ترجمة خالد محمود جمعة ، دار الفكر دمشق ، ط١ ١٤٢٤ . ٢٠٠٣ ..
. النحو الوافي ، د عباس حسن ،دار المعـارف ، مصر ،القاهرة ،١٩٦٤ ، ١٩٧١
. نزهة الالباء في طبقات الادباء ، ابو البركات الانباري ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، العجالة القاهرة، د.ت .
. نشاة اللغة عند الانسان والطفل ، د عبد الواحد وافي ، مطبعة العالم العربي ، القاهرة ، ط٣ ١٩٧١ .
. النص ، السلطة ، الحقيقة ،الفكر الديني بين ارادة المعرفة وارادة الهيمنة ، نصر حامد ابو زيد ،المركز الثقافي العربي بيروت ،الدارالبيضاء ،ط٢ ١٩٩٧ .
. النص القراني امام اشكالية البنية والقراءة ، طيب تيزيني ،دار الينابيع ،دمشق ،ط١ ١٩٩٧ .
النص القراني وافاق الكتـــابة ، ادونيس ، دار الاداب بيروت لبنان ، ط١ ١٩٩٣ .
. نظريات قراءة النص ، لمياء ياعشن ، مجلة عـلامات في النقد ، المجلد العاشر ، ١٤٢١
. نظـرية الادب ، رينيه ويليك ، اوستن وارين ، ترجمة محيي الدين صبحي ،ط٣ ١٩٦٢.
. نظرية الاعجاز القراني واثرها في النقد العربي القديم ، احمد سيد محمد عمار ،دار الفكر دمشق ،١٩٩٨ .
. نظرية التوصيل في النقد الادبي العربي الحديث ،سحر كاظم حمزه ،اطروحة ماجستير جامعة بابل ، ٢٠٠٣ .
. النظرية العربية نهج دراسة، انتاج وتداول المصطلح النقدي ، ناظم عوده خضير ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦

. نظرية النص من بنية المعنى الى سيميائية الدال ،حسين خمري ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،منشورات الاختلاف ،ط١ ٢٠٠٧ .١٤٢٦ .

. النقد الادبي الحديث من المحاكاة الى التفكيك ،د ابراهيم محمود خليل ،دار المسيرة للنشر والتوزيع ،عمان ،ط١ ٢٠٠٣ .

.. نقد الخـــطاب الديني ، نصر حامد ابو زيد ،القاهرة ،٢٠٠٣ .

. النقد والحداثة ،د عبد السلام المسدي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت ،ط١ ١٩٨٣ .

. نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ،فخر الدين الرازي ، تحقيق ،د ابراهيم السامرائي ، و،د محمد بركات حمدي ابو علي ،دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان الاردن ، ١٩٨٥ .

. النهاية في غريب الحديث والاثر ، ابن الاثير ، تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود احمد الطناحي ، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، قم ايران ، ١٣٢١ .

. نهج البـلاغة ، الامام علي (ع) ، جمع صبحـي الصالح ،قم المقدسة ،ط٢ ١٤٢٧ .

. نهج البلاغة ، الامام علي (ع) ،جمع محمد عبده ، منشورات ذوي القربى ، قم المقـدسة ،ط١ ١٤٢٧

. النيابة النحوية من خلال القران الكريم ،انماطها ودلالاتها ،د هادي نهر ، دار الكتب صنعاء ،ط١ ١٤٢٣ . ٢٠٠٢ .

(ملحق رقم (١) ما ذكره الامام (ع) من لفظ القران والكتاب في نهج البلاغة)

قال (ع) :((ان هذا القران هو الناصح الذي لايغش))
قال (ع): ((يعطف الراي على القران))
قال (ع): ((فصافون اقدامهم تالين لاجزاء القران)) .
قال (ع): ((في القران نبا ماقبلكم وخبر مابعدكم)) .
قال (ع):((ولاالاحد قبل القران من غنى فاستشفوه)) .
قال (ع): ((فاخذنا عليهما ان يجعجعا عند القران)) .
قال (ع) : ((فانظر ايها السائل فمادلك عليه القران فائتم به)) .
قال (ع) : ((واعلموا) :وتمسك بحبل القران)).
قال(ع): ((الزهد كله بين كلمتين من القران)).
قال (ع): ((وان الله سبحانه لم يعظ احدا بمثل هذا القران)).
قال (ع) : ((فالقران امر زاجر وصامت ناطق)).
قال (ع): ((الا ان كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القران فكونو من حرثته))
قال(ع): ((لايبقى من القران الارسمه)).
قال(ع): ((فعدوت على طلب الدنيا بتاويل القران)).
قال:((فانزلوهم باحسن منازل القران)).
قال(ع): ((متمسكون بحبل القران)).
قال(ع): ((وقد دعوتنا الى حكم القران)).
قال(ع): ((الله الله في القران.))
قال(ع): ((اوه على اخواني الذين تلوا القران فاحكموه.))
قال(ع): ((وماجالس هذا القران من احد الاقام عنه بزيادة او نقصان.))
قال(ع): ((وان القران ظاهره انيق وباطنه عميق)).
قال(ع): ((ولكنا اجبنا القران في حكمه .))
قال(ع): ((ومن صدقك بهذا فقد كذب القران.))
قال(ع):وقراوا القران فاحكموه.
قال(ع): ((ويميتا ماامات القران.))
قال (ع): ((فبعث الله محمدا (ص)بقران قد بينه)) .
قال(ع): ((فيهم كرائم القران وهم كنوز الرحمن)).
قال(ع): ((فاستنطقوه ولن ينطق .))
قال(ع): ((من شفع له القران يوم القيامة شفع فيه)).
قال(ع): ((هذا القران فانه حبل الله المتين)) .
قال(ع): ((فان القران حمال وجوه.))
قال(ع): ((واتخذوا ماءها طيبا والقران شعارا.))
قال(ع): ((ان هذا القران انزل على النبي (ص).))
قال(ع): ((وحق الولد على الوالد ان يحسن اسمه ويحسن ادبه ويعلمه القران .))
قال(ع): ((كتاب ربكم فيكم مبينا حلاله وحرامه.))
قال(ع): ((مابين مثبت في الكتاب فرضه ومرخص في الكتاب تركه)).
قال(ع): ((ارسله بالدين المشهور والكتاب المسطور.))
قال(ع): ((والطريق الوسطى هي الجادة عليها باقي الكتاب.))
قال(ع): ((ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب .))
قال(ع): ((ان الكتاب يصدق بعضه بعضا.))

قال(ع): ((واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله.))
قال(ع): ((وعلى كتاب الله تعرض الامثال.))
قال(ع): ((وكفى بالكتاب حجيجا وخصيما)).
قال(ع): ((وانزل عليكم الكتاب تبيانا لكل شيء.))
قال(ع): ((قد امكن الكتاب من زمامه.))
قال(ع): ((قد حمل الكتاب على ارائه.))
قال(ع): ((وماكلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب)).
قال(ع): ((فلكل اجل كتاب ولكل غيبة اياب)).
قال(ع): ((حتى اذا بلغ الكتاب اجله.))
قال(ع): ((واحصاه كتابه علم غير قاصر)).
قال(ع): ((وان الكتاب لمعي.))
قال)ع): ((فاذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن احق الناس به)).
قال(ع): ((جفاة عن الكتاب .))
قال(ع): ((وكتاب الله بين اظهركم .))
قال(ع): ((كتاب الله تبصرون به وتنطقون به.))
قال(ع): ((ويحيي ميت الكتاب والسنة)).
قال(ع): ((فقد نبذ الكتاب حملته .))
قال(ع): ((فالكتاب واهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم.))
قال(ع): ((كانهم ائمة الكتاب وليس الكتاب امامهم)).
قال(ع): ((وعليكم بكتاب الله)).
قال(ع): ((ابتعثه بالنور المضيء والكتاب الهادي.))
قال(ع): ((ان الله بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق وامر قائم)) .
قال(ع): ((ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى)) .
قال(ع): ((قد دارستكم الكتاب)).
قال(ع): ((ثم انزل عليه الكتاب نورا لاتطفا مصابيحه)).
قال(ع): ((فلما افضت الي نظرت الى كتاب الله وما وضع لنا)) .
قال(ع): ((تدعوني جزعا الى كتاب الله)).
قال(ع): ((لنقسمها على كتاب الله .))
قال(ع): ((بعضهم اولى ببعض في كتاب الله))
قال(ع): ((وان ابتدءك بتعليم كتاب الله .))
قال(ع): ((او فريضة في كتاب الله))
قال(ع): ((احملك واياهم على كتاب الله .))
قال (ع). : ((انهم على كتاب الله يدعون اليه .))
قال(ع): ((ولم ينزل الكتاب للعباد عبثا .))
قال(ع): ((بهم علم الكتاب وبهم علموا)).
قال(ع): ((الله الله ايها الناس فيما استحفظكم من كتابه)).
قال(ع): ((ولكم فيما انزل من كتابه دينه.))
قال(ع): ((فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير ان يكونوا راوه)).
قال(ع): ((وقد قلتم ربنا الله فاستقيموا على كتابه)).
قال(ع): ((ووضع على حده فريضة من كتابه.))
قال(ع): ((فالرد الى الله الاخذ بمحكم كتابه))

Abstract

According to Burses statement that human activity is totally semiosemantic the prent study entitled "The semantic Effect of the koran on Nuhjulbalghi "
Will be of importance . Imam Ali (PBUH) is the most Knowledgeable man who devoted his Life to extensive understanding of the Koran . His tackling of the Koran is based on thorough cognitive system as regarding the approach and the mechanisms What the researcher tries to reflect , in the farst chapter is the fact that how the Koranic text is of great significance as for Immam Ali and what mechanisms he has to deal with that Glorious Book. The following chapters focus on the phonetic, morphological, syntactic and contextual denotations in this respect . the results arrived at are the fruits of the researchers extensive investigation, analysis and evaluation of the books of explanations of Nahjulbalagha, the old and modern lingustic studies .
Among the aims of this study are: firstly, revealing Immam Alis Koranic thinking mechanism as compared to that of other Muslims. Secondly. Identifying Alis self- readiness as to be all- hearing mind of the Koran and the most sublime styles of that Book since he lived the time when the said book revealed to the Messenger(PBUH)Immam Ali was individual in his understanding and creativity as far as the very meanings of the Glorious Koran are concerned. IT is said that Immam Alis speech is less than the speech of the Greator and above that of all creatures. Similarly, linguists and critics emphasize the fact that the texts of Nahjulbalghi are of special unigueness .